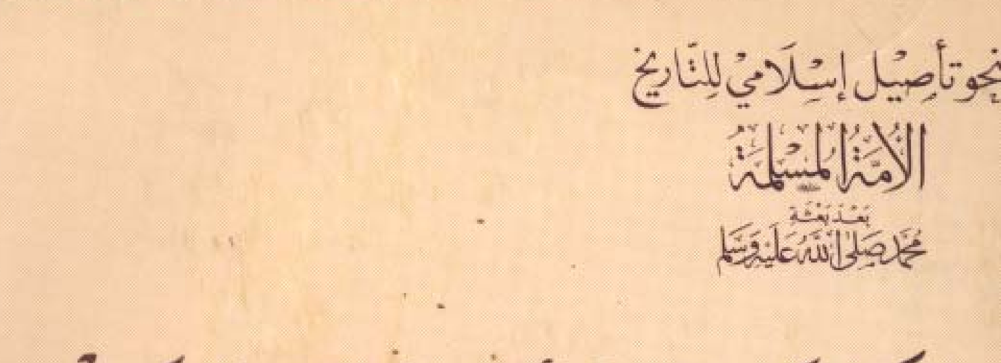


نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة

بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

استخلاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة



الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م



التوزيع : شارع البحر أمام كلية الطب . ت : ٣٤٧٤٢٣

المطابع : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب - عمارة الوفاء

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠ - تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

الأمة المسلمة

قبل بعثة محمد ﷺ

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

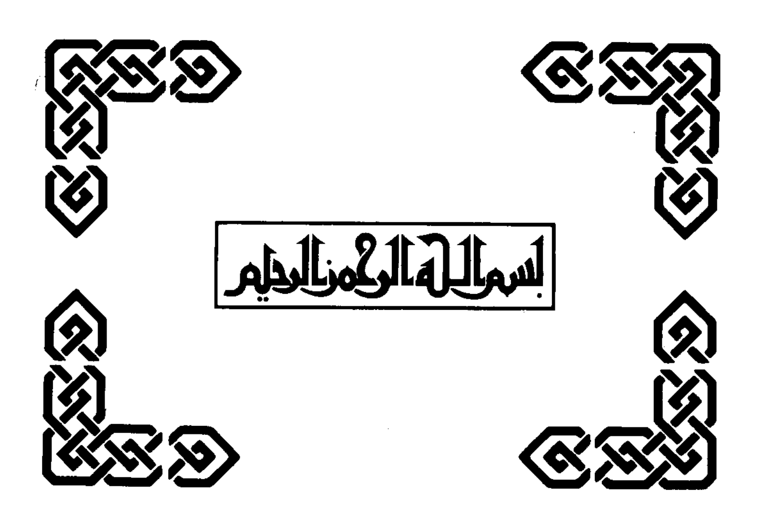
استخلاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود

الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة

الأستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامى
« طالبات » كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى


بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم :

﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ﴾
[سورة إبراهيم]

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى بعث النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد هو سبحانه وتعالى أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى ختم به أنبياءه وهدى به أولياءه وبعثه بقوله فى القرآن الكريم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ . صلى الله عليه أفضل صلاة وأكمل تسليم .

[أما بعد] إذا ما أتيح لشخص أن يتعرف على تاريخ الفترة الأخيرة ، من سيرة خاتم رسل الإسلام محمد ﷺ ، من خلال ما كتبه المستشرقون ، والكثير من أبناء العرب والمسلمين ، فى القرن الأخير ، يروعه ما زعمه الزاعمون ، من أن رسول الله ﷺ ، ترك أمته حائرة ، لا تدرى أى شخص تختار خليفة لها بعد موته ، وأن رسول الإسلام ﷺ لم يحدد شكلا للحكم من بعده ، وأن هذا العمل من جانبه يعتبر من أعمال الديمقراطية .

وإذا قدر له أن يقرأ فى تاريخ أبى بكر الصديق وصحبه بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة من خلال ما كتبه المستشرقون ، وكثير من أبناء المسلمين فى القرن

الأخير ، سوف يزعجه كثيرا تصوير كتاب التاريخ لهؤلاء الصحابة بصورة الانتهازيين الذين يتصارعون من أجل السلطة .

وبالرجوع إلى المصادر الشرعية عن تاريخ هذا النبى الكريم ، وتاريخ صحابته - رضوان الله عليهم - سوف ندرك ، أن الصور التى رسمها كتاب التاريخ - قديما وحديثا - لرسول الله ﷺ وصحبه ، ليست هى الصور الحقيقية ، بل هى صور مشوهة ومزيفة لتاريخ الإسلام ورسول الإسلام ﷺ ، وصحابة رسول الله رضوان الله عليهم .

ومن هنا ، فقد ارتأينا اختيار مسألة من تاريخ الخلفاء الراشدين ، وهى مسألة استخلاف أبى بكر الصديق - رضى الله عنه فنعرض لبعض ما كتب فيها من خلال ما كتبه المستشرقون ومن سار على نهجهم من أبناء العرب والمسلمين فى القرن الأخير ثم نقوم بتصحيحها التصحيح الواجب ، وما توفيقنا إلا بالله .

وثمة شىء آخر لابد من ذكره بين يدى تقديمنا لهذه المسألة : هل من غير المتوقع من الذين اعتدوا على ذات الله بألسنتهم ، وتناولوا سير الأنبياء ببذىء أقوالهم ، وزعموا أن سليمان عليه السلام ، كان سفاكا للدماء ، وأنه قد قتل أخاه لينفرد بالحكم ، وأنه قتل كبير الحاخاميين حتى لا يقف فى وجهه إذا ما أراد أن يخالف تعاليم الدين[1] ، وزعموا أن عيسى[2] لم يولد من أم عذراء ، وأن أمه كانت على علاقة بيوسف النجار ، وزعموا أن محمداً ﷺ كان متهوساً[3] ، مصابا بالصرع ، وأنه ألف من النصرانية واليهودية والجاهلية دينا هو[4] الإسلام ،

---

(١) ديورانت (ترجمة محمد بدران) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ١ ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، ص ٣٨٧ .

(٢) قصة الحضارة ، جـ ١١ ، ص ١٢٤ .

(٣) جوستاف لوبون (ترجمة عادل زعيتر) حضارة العرب ، عيسى الحلبى ، القاهرة ، ص ٢٧ ، ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) س. موسكاتى (ترجمة د. السيد يعقوب بكر) ، الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٠٨ .

هل من المتوقع ألَّا يزيفوا تاريخ الصحابة ؟ ، ويشوهوا صورتهم ؟ أبدا العكس هو الصحيح ؛ إن الذين تجرأوا على ذات الله سبحانه وتعالى ، وتجرأوا على الأنبياء ، لا يستبعد تجرؤهم على تاريخ الصحابة والتابعين .

وكان من فضل الله علينا حفظ أخبار الرسل وما حملوه إلينا من الخير ، ومن خلال ذلك الحفظ الربانى يمكن للبشرية أن يكون لديها علما صحيحا بتاريخ الرسل والأنبياء ، وأمكنها أيضا أن تتبين الكذب والوقاحة والدس الذى قام به أحفاد القردة والخنازير من المستشرقين ومن نهج نهجهم لتشويه وتزيف تاريخ الأنبياء والمرسلين .

فالذى كذب على الله ، وعلى الأنبياء والرسل ، لابد وأنه قد اعتاد الكذب على أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ، ومن هنا فقد وجب على أبناء المسلمين أن لا يثقوا كثيرا فى ما كتبه المستشرقون ومن سار على نهجهم فى أحداث التاريخ الإسلامى . فليس للمسلم أن يأخذ تاريخه عن يهودى أو نصرانى أو ممن سار على نهجه .

ولا عجب فى سلوك هؤلاء الذين كتبوا تاريخ الأمة الإسلامية ، لأن ذلك هو الاتجاه العام الذى تواصوا على السير فيه ، منطلقين من عداء دائم للإسلام وأهله وعمل دائب على هدم الدين الإسلامى . ولتحقيق أهدافهم نراهم حريصين على التجاهل والتجهيل والتشويه المتعمد وغير المتعمد لصور الصحابة والتابعين والدعاة والعلماء الذين شرفهم الله بحمل أمانة الدعوة الإسلامية على مدار تاريخ البشرية . كما يحرصون أيضا على تجريحهم والتشكيك فى عدالتهم وأمانتهم ودينهم كما سنرى من خلال تقديم نماذج لذلك .

وكتب التاريخ - سواء تلك التى كتبت بأيدى المستشرقين أو تلك التى صُنِّفت بأيدى الكثير من أبناء العرب والمسلمين حديثا - تتواطأ على تزييف وتشويه تاريخ الصحابى الجليل أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - على وجه الخصوص وتاريخ الصحابة على وجه العموم ، وتاريخ الإسلام والرسول محمد ﷺ بطريق مباشر أو غير مباشر .

والأخطاء التى وقع فيها هؤلاء الكتّاب ، نجمت عن كونهم يعالجون التاريخ الإسلامى بمنهج معاد للإسلام فكثير من المسائل الواردة فى تلك الكتب باطلة متنا وسندا ، لأن الوثائق المعتمد عليها لم تخضع فى معظمها لقواعد الجرح والتعديل[1] التى قررها علم مصطلح الحديث ؛ والمسائل الواردة فى تلك الكتب ، بالإضافة إلى كونها لم تخضع للتحقيق الذى ضبط أصوله علم مصطلح الحديث ، فإنها مستقاة من معلومات مأخوذة عن كتب رواياتها التاريخية غير محققة المتن أو السند ، وبالتالى فهى لا يعتد بها من الناحية الشرعية .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن الزاوية التى نظر منها أولئك الكتاب إلى شخصيات الصحابة – ومنهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه – زاوية غير إسلامية وبالتالى فإن شخصية الصحابى لم تعط كل إيحاءاتها فتكون كالنور الذى يضىء الطريق أمام الأجيال المسلمة التى تتطلع إلى القدوة والأسوة الحسنة ، لتتمثل بها وهى تمارس الدعوة إلى دين الله عز وجل وهو الإسلام ؛ نظرا لثقافتهم الإسلامية المحدودة ؛ ونَسُوا أن المؤرخ لابد وأن يكون لديه قاعدة من العلوم الشرعية والثقافة الإسلامية .

وذلك غير علم هؤلاء الكتاب المحدثين المحدود فيما يتصل بالإسلام كنظام حياة شامل على عكس ما كان عليه الكتاب والمؤرخون القدامى ؛ فمثلا الطبرى قبل أن يكون مؤرخا ، كان مفسرا وكان محدثا ، وكان فقيها ، وكان لغوياً ، بل وكان عروضيا . ولذلك لا نستغرب من كاتب من الكتاب المحدثين ادّعاءه أن الرسول ﷺ قد توفى دون أن يحدد لأمته شكلا من أشكال الحكم من بعده ، لأنه لا علم لديه يدفعه إلى كتابة غير ذلك ، وإن كان الادعاء يعكس جهلا بمصادر الإسلام التشريعية والجهل لا يصلح أن يكون دليلا .

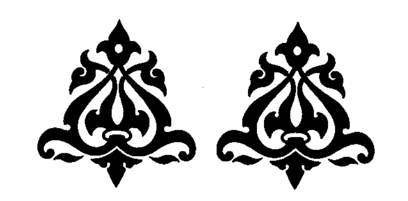
وواجب المؤرخ المسلم فى هذه الظروف ، أن يصحح الخطأ وأن يبين للناس حقيقة الأمر على قدر ما لديه من علم فى المسألة الواجب تصحيحها . ويستلزم ذلك منه جمع كل الوثائق التى تتعلق بالمسألة ، مع إخضاعها للجرح

---

(١) الكفاية تأليف الإمام الحافظ المحدث أبوبكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (٣٩٢ – ٤٩٣) م ، الهند ١٣٥٧ م ، علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٨٧ .

والتعديل لتبيين الصحيح من غير الصحيح وإذا لم يكن له علم بقواعد الجرح والتعديل فعليه أن يعتمد على المصادر التى أخضعت وثائقها للجرح والتعديل وإذا تعذر الحكم بصحة بعض جوانب هذه المسألة لعلة أو لأخرى ، يرجع فى ذلك إلى الأصول الكلية فى مقومات التصور الإسلامى .

ثم تأتى مرحلة التحليل لهذه الوثائق التى تتعلق بمسألة بعينها ، بعد ترتيبها ترتيبا زمنيا - واستخلاص النتائج وما تعطيه من توجيه وتعليم للدارس والقارىء أو المحقق . ولا يمكن أن يقوم بذلك كله سوى مسلم موثوق فى دينه وأمانته ، يعيش بحسه ووجدانه الإسلام كنظام حياة شامل .





الفصـــل الأول

الجــزء الأول

هذا الجزء يتضمن مزاعم المستشرقين ومن سار على نهجهم وهم يعالجون مسألة استخلاف أبي بكر الصديق رضى الله عنه وتاريخ صحابة رسول الله ﷺ عقب وفاته مباشرة



الجـزء الأول

مزاعـم المستشرقيـن ومن سار على نهجهـم

١ - تصوير صحابة رسول الله ﷺ بمظهر الانتهازيين المتصارعين على السلطة ، ورتبوا هذا العرض على أساس - فى زعمهم - أن رسول الله ﷺ لم يحدد شكلا لحكم الدولة الإسلامية من بعده ، بل ترك هذا الأمر دون أن يقرر نظاما ثابتا ، وأنه لم يستخلف أحدا قبل وفاته .

٢ - أن الرسول محمد ﷺ قد أشربت نفسه حب الديمقراطية التى كانت سائدة لدى العرب فى الجاهلية (مع أن الديمقراطية مبدأ غير إسلامى لأنها تنزع الحاكمية من يد الله سبحانه وتعالى وتجعلها حقاً للشعب) ، ولذلك ترك أمر الخلافة من بعده دون أن يبت فى أمرها .

٣ - حدوث أزمة سياسية خطيرة بعد وفاة النبى ﷺ ، وحدوث الانقسام فى صفوف المسلمين ، فظهرت ثلاث تكتلات أو فرق لكل منها مرشحها :

فرقة الأنصار ، وفرقة المهاجرين ، وفرقة من الهاشميين والأمويين ومعها طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام .

٤ - أن الصفات التى أهلت أبا بكر للخلافة ، كونه كبير السن ، وأنه والد السيدة عائشة - رضى الله عنها - زوج رسول الله ﷺ ، وعصبيته وقرابته للمهاجرين ، وأن اختياره جرى بعد نزاع كبير نشأ بين المهاجرين والأنصار ، وكاد يفتت وحدتهم ، ويصدع إحدى المقومات الرئيسية التى قامت عليها الدولة الإسلامية وهى رباط الأخوة ، وأن اختياره قد جرى وفقا للعادات العربية الجاهلية القديمة .

٥ - أن قبيلة الخزرج قد سارعت إلى بيعة أبى بكر الصديق فى السقيفة نكاية فى قبيلة الأوس .

٦ - تآمر أبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح فى أواخر حياة الرسول ﷺ على احتكار الحكم بعد وفاته ، وأن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر - رضى الله عنهما - قد مهدتا لهم السبيل .

٧ - أن عليا قد اتهم عمر بن الخطاب بالتواطؤ مع أبى بكر الصديق ليكون الأمر له من بعده ، وأن عمرا قد بايع أبا بكر الصديق أملا فى أن يعهد إليه بالأمر من بعده .

وأن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قد رفض تشكيل هيئة نيابية تنوب عن الأمة فى مراقبة أعماله ، وأن الصحابة قد تركوه يحكم حكما مطلقا ، ولم يكن حكمه يخضع للشورى . كما أن الصحابة - رضوان الله عليهم - هم الذين تنازلوا عن حقهم فى الشورى ، وسبب ذلك - فى زعمهم - أن الصحابة كانوا حديثى عهد بالحكومة .

٨ - أن عليا بن أبى طالب وبنى هاشم قد تخلفوا عن بيعة أبى بكر لأن عليا كان يطلب الأمر لنفسه ، واتهم أبا بكر أنه قد غصبه حقا له . كما تخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، - وزعموا - أنه لما حاول الصحابة إكراه على على مبايعة أبى بكر بكت فاطمة ، وزجرت أبا بكر ، وأعلنت سخطها عليه وعلى عمر وبقى علىٌّ لم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة (بعد ستة أشهر) .

أن سعدا بن عبادة قد امتنع عن بيعة أبى بكر ، وأنه كان لا يصلى بصلاة المسلمين ولا يجتمع معهم .

٩ - أن عليا كان على يقين من إجماع المسلمين عليه بدليل أنه قال لعمر : ومن يطلب الأمرَ غيرُنا ؛ لأن أباه حَمَى النبى ﷺ ، ولأنه زوج فاطمة بنت رسول الله ، وأنه أخٌ للنبى كهارون لموسى .

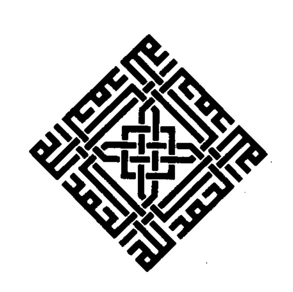
أن الرسول محمد ﷺ لو كان له ولد لاستخلفه من بعده .

١٠ - إن الإسلام ليس فيه نظام سياسى ، فهو - كما زعموا - « جاء كدين » ، ولم يأت ليقيم دولة .

١١ - أن الحكومة الصحابية لا تسمى حكومة دستورية . لأنه لم يكن لها مجلس نيابى .

١٢ - الأحاديث النبوية التى تقول بأن « الأئمة من قريش »[1] ، معظمها موضوعة وغير صحيحة ، وأن أبا بكر لم يذكر هذه الأحاديث يوم السقيفة ، رغم أنها كانت أمضى سلاح له فى ذلك اليوم العصيب ، ويزعم الكاتب أن هذه الأحاديث قد وضعت لتبرير النظام السياسى للدولة الإسلامية على عهد أبى بكر وصحبه ؛ واعتبارها (أى الأحاديث) من باب الإخبار بالغيب لا من باب جعل القرشية شرطا فى الخلافة .

إلى غير ذلك من المسائل التى سنرد عليها تفصيلا ، وما توفيقنا إلا بالله .



---

(١) الرد ص ٧٣ - ٧٥ من بحثنا الذى بين يديك .

الجـزء الثـانى

أ - بعض كتب المحدثين التى رددت تلك المزاعم الاستشراقية كلها ، أو بعض منها :

★ دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٢ .

★ ل. أ. سيديو ، (ترجمة عادل زعيتر) ، تاريخ العرب العام ، جـ ٢ ، القاهرة ١٣٨٩ هـ ، ص ١٠٩ .

★ فان فلوتن ، (ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن ، د. محمد زكى إبراهيم) ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ٦٩ .

★ كارل بروكلمان ، (ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى) ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط ٦ ، بيروت ١٩٧٤ م ، ص ٨٣ .

★ هاملتون جب ، (تحرير ستانفورد شو وليم بولك) ، (ترجمة إحسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمد زايد) دراسات فى حضارة الإسلام ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٤ م ، ص ١٨٦ .

★ مولوى س ١٠ . ق حُسينى . ط ترجمة د. إبراهيم العدوى ، مراجعة عبد العزيز عبد الحق الإدارة العربية ، القاهرة ص ٦٩ ، ٧٤ .

★ جرجى زيدان (راجعها وعلق عليها د. حسين مؤنس) ، تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ١ ، ص ٦٥ - ٦٧ .

★ إبراهيم حداد ، الديمقراطية عند العرب ، ص ٦ ، ٨ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

★ د. إبراهيم درويش وآخرون ، علم السياسة فى علاقته بالاقتصاد والإدارة ، ص ٤٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٠ .

★ حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ؛ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .

★ د. على حسنى الخربوطلى ، الإسلام والخلافة[1] ، بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٤٢ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٢ .

★ د. على حسنى الخربوطلى ، غروب الخلافة الإسلامية ، القاهرة ، ص ٣ – ١٠ .

★ د. على حسنى الخربوطلى ، العرب والحضارة ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ص ١٣٣ – ١٤٣ .

★ د. محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، دار الفكر العربى، ط ٤ ، القاهرة ١٣٩٣هـ.

★ د. عبد العزيز السيد سالم ، دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، جـ ٢ .

★ د. عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .

★ د. عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٣ م .

★ توفيق سلطان اليوذبكى[2] ، دراسات فى النظم العربية والإسلامية ، الموصل ١٣٩٧ هـ ، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

★ أحمد إبراهيم الشريف ، دولة الرسول فى المدينة ، دار البيان ، الكويت ، ١٣٩٢ هـ .

---

(١) وهو يعتمد فى ذلك على رأى جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ص ٢٠٥ .

(٢) يزعم الكاتب أن محمد لم يضع نظاماً سياسياً ليسير عليه المسلمون من بعده ولم يُحدِّد شكل أعلم من بعده وصفات الحاكم . ويستند الكاتب على رأى اليهودى أرنولد الذى أورده فى كتابه الخلافة : « ومن البعث أن نتحرى لماذا أهمل الرسول (نظام الحكم) رغم عبقريته فى التنظيم ص ٣١ » .

★ ثابت إسماعيل الراوى ، تاريخ الدولة العربية ، خلافة الراشدين والأمويين ، بغداد ١٩٧٠ م .

★ د. على إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامى العام ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

★ محمد الخضرى ، محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية ، ط ٧ ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ، ص١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ .

(ب) نماذج من كتابات أبناء العرب والمسلمين التى تردد المزاعم الاستشراقية السالفة الذكر :

أولا : حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٢ م

الخلافة : « لذلك لا نعجب إذا قامت بعد وفاة الرسول أزمة سياسية خطيرة[1] ، إذ لم يؤثر عنه نص صريح فى مسألة الحكم من بعده بل ترك مسألة من يخلفه من غير أن يبت فى أمرها ، ولا غرو فقد أشربت نفس الرسول (بدون ﷺ) حب هذه الروح الديمقراطية التى سادت لدى العرب منذ أيام الجاهلية فرأى عليه السلام أن يترك الأمر شورى للعرب ليختاروا من أحبوا » (ص ١٠) .

« وكان من أثر ذلك أن ظهر الانقسام بين صفوف المسلمين فى أول نشأة الإسلام ، واستعرت ، وخاصة هذه الأزمة السياسية وكثرت المنافسات » .

---

(١) من الثابت عن المصادر الموثقة أن بيعة أبى بكر قد تمت فى اللقاء الذى وقع فى سقيفة بنى ساعدة دون اشتباك واحد بالأيدى أو إراقة نقطة دم واحدة ، وكما تمت البيعة العامة فى اليوم التالى فى المسجد من قبل جمهور المسلمين ، فكيف يُزعم بحدوث أزمة سياسية خطيرة .

فالكتاب هنا يزعم :

(أ) أن الرسول محمدا ﷺ لم يؤثر عنه نص صريح فى مسألة الحكم من بعده .

(ب) أنه قد ترك مسألة من يخلفه من غير أن يبت فى أمرها .

(جـ) أن الرسول محمد (بدون ﷺ) قد أشربت نفسه حب الديمقراطية التى سادت لدى العرب فى الجاهلية (مع أن الديمقراطية مبدأ غير إسلامى) .

(د) ظهور الانقسام بين صفوف المسلمين .

ثانيا : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، جـ ١ ، ط ٨ ، القاهرة ١٩٧٤ م

يزعم الكتاب أن رسول الله ﷺ لم يوص بزعامة المسلمين لأحد من أصحابه بل ترك مسألة الخلافة شورى بينهم (ص ٢٠٦) .

ثالثا : د. محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى للهجرة ، دار الفكر العربى ، ط ٤ ، القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

« فلم يعهد الرسول ﷺ بالحكومة لأحد من أصحابه بل ترك الأمر للمسلمين يختاروا من نظم الحكم ما يلائمهم ويتمشى مع تطور حياتهم ، وكان ذلك مثار نزاع بين المهاجرين والأنصار على من يتولى الحكومة بعد وفاته » (ص ١١ ، ١٢) .

وبعد أن يتحدث الكاتب عما جرى فى سقيفة بنى ساعدة ، يعزى بيعة أبى بكر إلى سرعة بيعة الأوس لأبى بكر بدلا من سعد بن عبادة سيد الخزرج حتى لا يكون لها أى نفوذ (ص ١٢) ، والكاتب يعتمد فى خبره هذا – كما

يقول – على رواية للطبرى[1] ، ج ، ٤٥٧ ؛ وقول اليعقوبى ، ج ٢ ، ١٠٣ ، والإمامة والسياسة المنسوب زوراً إلى ابن قتيبة ، ج ١ ، ص ١٨ ، ويزعم الكاتب بأنه قد تخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع على بن أبى طالب ، كما يزعم أن عليا بن أبى طالب وبنى هاشم قد تخلفوا عن بيعة أبى بكر (ص ١٥ – ١٦) ، وكانوا غاضبين على أبى بكر بسبب امتناعه عن إعطاء فاطمة ما طلبت من ميراث أبيها (ص ١٦) .

كما أنه يورد رأيا لأرنولد توينبى ، فى كتابه الخلفاء ص ٢٠ أن انتخاب أبى بكر يتفق مع التقاليد العربية القديمة . (ص ١٧) .

كما يزعم الكاتب ، أن الردة التى حدثت ، كانت نتيجة أن بعض القبائل قد كبر عليها أن تكون خاضعة لسيادة قريش – بعد انتخاب أبى بكر رضى الله عنه خليفة للمسلمين – لاعتقادهم أنها سلبتهم حريتهم وأدخلتهم تحت سلطانها بحكم الحديث : « الأئمة من قريش » ، وتطلعوا إلى استرداد ما كانوا يتمتعون به من استقلال ذاتى . (ص ١٨) .

كما زعم الكاتب أن الإسلام يفصل بين الدين والدولة فقال : « إن الإسلام لم يأت ليقيم دولة ، وإنما جاء كدين » (ص ١٨) .

إذن ملخص مزاعم الكتاب :

(أ) أن الرسول ﷺ قد ترك للمسلمين أمر اختيار نظام الحكم بما يلائمهم ويتمشى مع تطور حياتهم ، أى أنه لم يحدد شكل نظام الحكم للدولة الإسلامية من بعده .

---

(١) بالرجوع إلى تاريخ الطبرى ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ لم نقع على خبر السقيفة ، كما ذكر المؤلف ، ولكن خبر السقيفة يقع فى تاريخ الطبرى ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ – ٢١٠ ، ط ٢ ، دار المعارف ، مع العلم بأن المصادر التى اعتمد عليها الكاتب ، أخبارها غير محققة المتن أو السند وبالتالى فإنه لا يعتد بها من الناحية الشرعية ، وكان يلزمه جرحها وتعديلها قبيل الاعتماد على ما ورد فيها فالطبرى وإن كان إماما عدلا إلا أنه لم يلتزم أن لا يورد فى كتابه من الأخبار إلا ما صح ، بل يروى بالسند ويترك العهدة على الراوى .

(ب) ثمة نزاع وقع بين المهاجرين والأنصار على من يتولى الخلافة .

(جـ) أن سرعة بيعة أبى بكر الصديق حدثت نتيجة سرعة بيعة الأوس له نكاية فى الخزرج .

(د) أن عليا بن أبى طالب وبنى هاشم قد تخلفوا عن بيعة أبى بكر - رضى الله عنه - بل وكانوا غاضبين عليه بسبب امتناعه عن إعطاء فاطمة - رضى الله عنها - ما طلبت من ميراث أبيها ﷺ .

(هـ) تخلف قوم من المهاجرين والأنصار عن بيعة أبى بكر ومالوا مع على بن أبى طالب .

(و) انتخاب أبى بكر يتفق مع التقاليد العربية القديمة .

(ز) أن ردة القبائل عن الإسلام ، قد وقعت ، بسبب تكبرها ، أن تكون خاضعة لسلطان قريش السياسى ، طبقا لحديث رسول الله ﷺ : « الأئمة من قريش »[1] .

(ح) أن الإسلام لم يأت ليقيم دولة ، وإنما جاء كدين فقط .

رابعا : د. على حسنى الخربوطلى ، غروب الخلافة الإسلامية ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة

يشكك الكتاب فى صحة الأحاديث النبوية التى تقرر أن القرشية[1] شرط لتولى الخلافة فيقول :

« ومما لاشك فيه أنها ظهرت لتبرير النظم السياسية التى سادت فى القرن الأول والثانى الهجريين والتى حازت رضا غالبية المسلمين » . (ص ٨) .

ثم يعود الكاتب إلى ما ورد فى السنة « بأن الخلافة فى قريش » وهى قبيلة النبى ﷺ فيقول :

---

(١) منها : « الأئمة من قريش » - و « لايزال على الناس وال من قريش » ؛ انظر الرد صفحه ٧٣ إلى ٧٥ من كتابنا الذى يبنى يديك .

« فإن صح الحديث وجب حمله على أنه من باب الإخبار بالغيب لا من باب الأمر باتخاذ الخلفاء من قريش خاصة » (ص ٨ ، ٩) .

كما حرص الكاتب على المقارنة بين نظام الخلافة ونظام الامبراطورية الرومانية المقدسة[1] (حسب زعمه) .

وزعم الكاتب أيضا أن عليا أَبَى بيعة أبى بكر وقال : « أنا أحق بهذا الأمر منكم » ، وأنه حين حاول عمر أن يدفع عليا لبيعة أبى بكر اتهمه علىّ أنه إنما يريد أن يعهد أبو بكر لعمر بالخلافة من بعده . ونسب الكاتب الرواية إلى الطبرى جـ ٣ ، ص ٢٠١ - ٢٠٣ (ص ٤٩) .

كما زعم د. على حسنى الخربوطلى أن المسلمين فضَّلوا أبا بكر على علىّ لتفوقه فى السن ، وهو - كما يزعم - كما جرى عليه عادة القوم فى العصر الجاهلى فى اختيار شيخ القبيلة (ص ٥٠) .

كما يتهم الكاتب أبا بكر بالتقصير لأنه لم يؤلف هيئة نيابية تنوب عن الأمة فى مراقبة أعماله (ص ٥١) .

كما يتهم الكاتب أبا بكر بأن خطبته جاءت خالية من ذكر الشورى التى فرضها الله عز وجل على الحكومة الإسلامية (ص ٥٢) ؛ ثم يقول ص ٥٣ : « ومن هنا يتبين لنا جليا أن الصحابة تنازلوا عن حق ، هو أكبر حقوقهم . انتخبوا رجلا منهم ليحكمهم ، ثم تركوه يحكم بينهم بما يرى حكما مطلقا غير مقيد . وسبب إغفال الصحابة لهذا الحق أنهم حديثو عهد بالحكومة ... فجاءت حكومتهم فذة فى بابها غريبة فى شكلها » .

ويستمر الكاتب فى تهجمه فيقول : « والحكومة الصحابية لا تسمى دستورية ، لأن الحكومة الدستورية التى يكون فيها مجلس نيابى أو أكثر ، ولم تكن الحكومة العربية الإسلامية كذلك » (ص ٥٣) .

---

(١) نفس المرجع ص ١٠ ، انظر أيضا ما كتبه المؤلف فى كتابه العرب والحضارة ، ص ١٣٥ وما بعدها .

كما أورد الكاتب الزعم التالى فى خلافة أبى بكر وعمر :

« يرى المستشرق الشيوعى لامانس أن حكومة الصحابة قوامها ثلاثة من كبار الصحابة هم : أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وأن هؤلاء اجتمعت كلمتهم فى أواخر حياة الرسول على أن يحتكروا الحكم بعد وفاته عليه السلام ، ويتداولوه واحد بعد واحد ، وأن اثنتين من أزواج النبى ، هما عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، مهدتا لهم السبيل إلى ذلك . وأن هذه المؤامرة قد نجحت إلى حد بعيد[1] (ص ٥٦) .

ملخص مزاعم الكتاب :

والكتاب هنا يشكك فى الأحاديث النبوية التى تقرر أن الخلافة فى قريش ويعزى ظهورها لتبرير النظم السياسية التى سادت فى القرن الأول والثانى الهجريين .

ويعتبر الكاتب أن الأحاديث الواردة فى هذا الشأن يجب حملها على أنها من باب الإخبار بالغيب لا من باب الأمر باتخاذ الخلفاء من قريش .

ويتهم الكاتب عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بأنه قد بايع أبا بكر بالخلافة أملا أن يعهد بها إليه بعد وفاته . ويزعم أن عليا – رضى الله عنه – أَبَى بيعة أبى بكر الصديق لأنه كان يرى نفسه أحق بالأمر منه . وأن اختيار أبى بكر للخلافة جرى على عادة القوم فى العصر الجاهلى .

كما يتهم الكاتب أبا بكر الصديق – رضى الله عنه – بأنه لم يؤلف للأمة هيئة نيابية تنوب عن الأمة فى مراقبة الأعمال . وأن خطبة أبى بكر بعد توليه الخلافة جاءت خالية من ذكر الشورى التى فرضها الله عز وجل على الحكومة

---

(١) الكاتب نفسه يتناول موضوع الخلافة فى كتابه « الحضارة العربية الإسلامية » ص ٣ وما بعدها ويزعم أن القرآن الكريم لم يشر إلى نظام الحكم الذى يتبعه المسلمون بعد وفاة الرسول (ص ٦) ويزعم أيضا أن الرسول ﷺ توفى دون أن يرسم طريقا لاختيار خليفة له (ص ٧)) ، وأن المسلمين قد انقسموا بعد وفاة الرسول إلى فريقين (ص ٧) .

الإسلامية . وأن الصحابة تنازلوا عن حقهم فى محاسبة الحاكم وأنهم تركوا أبا بكر يحكم بما يرى حكما مطلقا – وسبب ذلك أنهم حديثوا عهد بالحكومة . وأن الحكومة الصحابية لا تسمى حكومة دستورية .

وللكاتب كتاب آخر بعنوان : الإسلام والخلافة بيروت ١٩٦٩ م

يزعم فيه أن الأحاديث النبوية التى تذكر أن الأئمة من قريش ، معظمها موضوعة وليست صحيحة ، رغم أنها واردة فى البخارى ومسلم كما سنرى (ص ٧٣ – ٧٥) .

فيقول الكاتب بالحرف الواحد : « وإن كان بعض الفقهاء يحتمون أن يكون الخليفة قرشى النسب ، فإن بعضهم لذلك يضع شروطا ، مستندين إلى أحاديث نبوية ، معظمها موضوعة وليست صحيحة ، منها : « الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ، ووعدوا فوفوا ، واسترحموا فرحموا » (ص ٤٢) .

كما تهجم على النبى محمد ﷺ **حينما قال ولو كان النبى** ﷺ قال الأئمة من قريش وكان قصده أن تكون الخلافة فى قريش لكان الأولى بإلقائه إليهم هم الأنصار الذين لا تتطاول إلى الخلافة مع قريش غيرهم » (ص ٥٨) .

وزعم الكاتب أيضا أن : « المتأمل فى خطبة أبى بكر أنه لم يشر إلى حديث الخلافة فى قريش مع أنه كان أمضى سلاح له فى ذلك اليوم العصيب (؟؟؟) مما يجعلنا نشك فى صحته » (ص ٥٩) .

ويتهم الكاتب عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بالعصبية ، ص ٦٠ . كما اتهم سعد بن عبادة العقبى البدرى الأنصارى – رضى الله عنه – بأنه قد امتنع عن بيعة أبى بكر ، ص ٦٠ . وزعم أنه كان لا يصلى بصلاة المسلمين ولا يجتمع معهم .

كما يردد الكاتب رأى المستشرق جولد تسيهر فى كتابه : « العقيدة والشريعة فى الإسلام » ص ٢٠٥ . من أن الشيعة كانت ترى عليا أحق بالخلافة من أبى بكر ، وأن عليا لم يوافق على انتخاب أبى بكر . ص ٦٢ .

والكاتب يردد أيضا كثيرا من المزاعم السالفة الذكر فى كتابه : « العرب والحضارة » مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦١ م ، ص ١٣٣ - ١٤٣ .

خامسا : د. السيد عبد العزيز سالم ، دراسات فى تاريخ العرب ، تاريخ الدولة العربية ، ج ٢ ، الإسكندرية

زعم الكتاب أن رسول الله ﷺ قد مات « دون أن يعين للمسلمين خليفة أو ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس ، لا لأبى بكر ولا لعلى وكأنما أراد رسول الله ﷺ بذلك أن يترك الأمر شورى للمسلمين ليختاروا من يصلح جريا على النظام القبلى الذى ألفه العرب ، خاصة وأنه لم يخلف ولدا ذكرا يستخلفه من بعده ، وهكذا وجد المسلمون أنفسهم فى سقيفة بنى ساعدة بمدينة الرسول يبايعون أبا بكر بالخلافة على النحو الذى كان مألوفا لدى العرب فى الجاهلية » ص ١٥١ ، ١٥٢ .

ويستمر كتاب الدولة العربية فى مزاعمه فيقول :

(أ) إن من الأسباب التى أدت إلى انتخاب أبى بكر - رضى الله عنه - أنه والد السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ ، كما أنه استند إلى عصبية قرابة المهاجرين للنبى ﷺ .

(ب) أنه لم يتم اختيار أبى بكر خليفة لرسول الله ﷺ إلا بعد نزاع كبير نشب بين المهاجرين والأنصار كاد يفتت وحدة المسلمين ، ويصدع إحدى المقومات الرئيسية التى قامت عليها الدولة الإسلامية وهى ارتباط المسلمين برباط المؤاخاة . فقد انقسم المسلمون عند وفاة الرسول إلى ثلاث تكتلات أو فرق لكل منها مرشحها[١] .

الفرقة الأولى : من الأنصار الذين أيدوا اختيار سعد بن عبادة الخزرجى .

الفرقة الثانية : من المهاجرين وقد أجمعوا فى نهاية الأمر على اختيار أبى بكر .

---

(١) نفس المرجع السابق ١٥٦ .

الفرقة الثالثة : فكانت تتألف من الهاشمية وفئة من الأمويين بالإضافة إلى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام . وكانت تميل إلى على بن أبى طالب خليفة لرسول الله .... ويضيف الكاتب : « أن الفرقة الثالثة قد أيدت على بن أبى طالب لأن أباه حَمَى النبى عندما اضطهدته قريش ، ثم أنه بالإضافة إلى ذلك ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، وأخ النبى كهارون من موسى . ويعلن الكاتب بأن عليا - رضى الله عنه - كان على يقين من إجماع المسلمين عليه بدليل أنه قال لعمه : ومن يطلب هذا الأمرَ غيرُنا ؟ »(١) .

ونخلص مما سبق إلى المزاعم التالية التى أوردها كتاب د. السيد عبد العزيز سالم :

(أ) أن الرسول ﷺ قد مات دون أن يعين أحدا للخلافة من بعده .

(ب) أن المسلمين قد اختاروا خليفة بعد رسول الله ﷺ لأنه لم يخلف ولدا ذكرا يستخلفه من بعده .

(جـ) أن بيعة أبى بكر فى سقيفة بنى ساعدة جرت على النحو الذى كان مألوفا لدى العرب فى الجاهلية .

(د) الأسباب التى أدت إلى انتخاب أبى بكر - رضى الله عنه - أنه والد السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ - وأنه قد استند إلى عصبية قرابة المهاجرين للنبى ﷺ .

(هـ) نشوب نزاع كبير بين المهاجرين والأنصار وانقسام المسلمين عند وفاة الرسول ﷺ إلى تكتلات وفرق كل منها كان يطمح فى الخلافة لشخص معين .

ووضع الكاتب هذا الموضوع تحت عنوان « التنازع على الخلافة » وقرن بينه وبين موضوع الردة واعتبرها من الأخطار التى تهددت الدولة العربية

---

(١) نفس المرجع السابق ١٥٧ .

الإسلامية بعد وفاة النبى ﷺ[1] .

وزعم الكتاب أيضا أن عليا بن أبى طالب وقومه والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله – رضى الله عنهم – قد اعتزلوا فى بيت فاطمة[2] ، وامتنعوا عن مبايعة أبى بكر ، فخرج إليهم عمر بن الخطاب فى جماعة من الصحابة ، وأرغموا بنى هاشم والزبير على مبايعة أبى بكر ، ثم استقدم على إلى أبى بكر وطلب منه أن يبايعه ، فامتنع بحجة أنَّ أبا بكر اغتصب حقّه فى خلافة النبى ﷺ . وأنه استند فى مقالته (أى أبى بكر) للأنصار على أن الخلافة لابد أن تحصر فى عشيرة رسول الله ﷺ . قال على : « أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى ، أخذتم هذا الحق من الأنصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى ﷺ وتأخذوه من أهل البيت غصباً ، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم ، فأعطوكم المقادة ، وسلموا إليكم الإمارة فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار . ونحن أولى برسول الله حيا وميتا ، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون ... » الخ[3] .

وزعم الكاتب أيضا أنه لما حاول الصحابة إكراه علىّ على مبايعة أبى بكر ، بكت فاطمة ، وزجرت أبا بكر وأعلنت سخطها عليه وعلى عمر . ولم يبايع علىّ أبا بكر بالخلافة إلا بعد أن توفيت فاطمة .

وزعم الكاتب أن عليا رفض بيعة فريق من الناس له ، ومنهم أبو سفيان بن حرب ، الذى تخلف عن بيعة أبى بكر – رضى الله عنه – أيضا ، وعرض على علىّ أن يزوده بما شاء – الرجال والخيل لمناهضة أبى بكر ، فأبى علىّ عليه ، فتمثل أبو سفيان بشعر المتلمس :

---

(١) الدولة العربية ، ص ١٥١ .

(٢) تاريخ الدولة العربية ، ص ١٥١ .

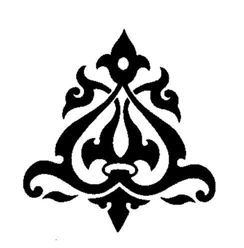
(٣) د / السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ١٦٣ وهو يعتمد على الإمامة والسياسة المنسوب زوراً لابن قتيبة .

ولن يقيم على خَسْفٍ يُراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته وذَا يُشج فلا يبكى له أحد[1]

* * *

وتستند كتب المشتغلين بالتاريخ – التى أوردنا نماذج من معالجتها للمسألة – فى مزاعمها على روايات وردت فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٩ ؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، جـ ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ ومروج الذهب للمسعودى ، طبعة بيروت ، جـ ٢ ، ص ٣٠٤ ؛ والتاريخ لليعقوبى ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، والإمامة والسياسة ، المنسوب زوراً إلى الإمام ابن قتيبة الدينورى ص ٥ ، ٨ وما بعدها دون إخضاعها للجرح والتعديل أى أنه لا يعتد بها من الناحية الشرعية نظرا لكونها غير محققة المتن أو السند .

كما أن هؤلاء الكتاب يزعمون أنهم استقوا تلك الأخبار التى ردّدوها فى كتبهم على روايات وردت فى كتاب البداية والنهاية لابن كثير[2] ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ والسيرة لابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٣٠٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٦٢ .



---

(١) د السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٢ – ١٦٤ .

(٢) زعم د. السيد عبدالعزيز سالم أن عليا رضى الله عنه قد امتنع عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه مدة ستة أشهر . وزعم الكاتب أن المؤرخين العرب قد أجمعوا على ذلك ، واستند فى ذلك على ما زعمه من أخبار استقاها من البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ . وبالرجوع إلى المصدر الذى ذكره الكاتب تبين لنا أنه لا أصل لما زعمه ، بل الوارد فى المصدر يؤكد عكس ما ذهب إليه . (انظر ص٨٦ من بحثنا)

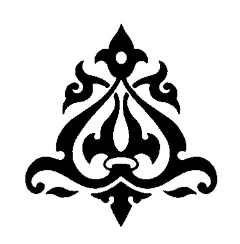
الجـزء الثالـث

الآثار التى ترتبت على ترديد تلك المزاعم

وهكذا شوه الكتاب صورة صحابة رسول الله ﷺ ، فصوروهم على هيئة مجموعة من الانتهازيين الذين يتصارعون من أجل الوصول إلى السلطة فى الدولة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ ، الذى توفى دون أن يرشح للأمة الإسلامية من يخلفه - كما يزعمون - وأن الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ قد انقسموا إلى أحزاب سياسية على أساس من العصبية ، والحسد والغيرة . وأن الاختيار للخليفة جرى على الأساس القبلى الذى ألفه العرب فى الجاهلية . والعجيب أن هذا الفكر غير الصحيح يدرس على مستوى دور العلم ، لا أقول فى بلاد المسلمين فحسب ولكن على مستوى العالم أجمع .

وهكذا نحس ونحن نقرأ كتب التاريخ أن كل مالدينا عن خيرية صحابة رسول الله ﷺ ، ذلك الجيل القرآنى الفريد ، قد بدأ ينهار . وينشأ مكانه تصور آخر عن **قصور رؤية النبى محمد** ﷺ فى إدراك أهمية ترشيح من يخلفه لولاية أمور المسلمين ، وأن الصحابة بسلوكهم الذى زعموه لهم يعكس عجز الإسلام عن تخريج نماذج منضبطة مع تعاليمه ، وبالتالى فإنه لا حرج فى تنازع الناس على السلطة اليوم ، طالما أن الصحابة كانوا يتنازعون من أجل السلطة ، وأنه لأى إنسان الحق فى الوصول إلى موقع الزعامة فى الأمة بأية وسيلة ولو كانت غير مشروعة ، طالما أن الصحابة - كما يزعمون - قد فعلوا ذلك . فأبو بكر - فى زعمهم - قد تواطأ مع ابنته ومع عمر وأبى عبيدة لولاية هذا الأمر دون أهله - كما يزعمون - ، وأنه ليس هنالك قواعد محددة تتحكم فى اختيار خليفة أو إمام للأمة المسلمة ، لا صفات شخصية يجب أن تتوفر فى المرشح لذلك المنصب ، ولا بيعة أهل الحل والعقد ، ولا بيعة جمهور المسلمين .

وبهذا تنهار الأسوة والقدوة الحسنة ممثلة فى صحابة رسول الله ﷺ ، وتنهار السنة التى ذكرت أن الرسول ﷺ قد عين أبا بكر للخلافة من بعده ، على أساس أنها غير صحيحة ، وبالتالى ينهار الإسلام فى النفوس .



الفصل الثانى
الجزء الأول

ما هو المفروض شرعاً فى مَنْ كتب فى التاريخ الإسلامى عموماً ومسألة استخلاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه على وجه الخصوص ؟ :

وكان من الواجب على من يتصدى للكتابة فى التاريخ الإسلامى أن يخضع وثائقه للجرح والتعديل ، ليتبين الصحيح من غير الصحيح وإن لم يكن لديه علم بقواعد الجرح والتعديل ، فليعتمد على المصادر التى جرحت وعدلت ، وإذا أعجزته الوثائق ردّ الأمر إلى الأصول الكلية فى التصور الإسلامى . صحيح أن الكتاب قد اعتمدوا على أخبار كتابات قديمة واردة فى الطبرى وغيره ، والطبرى كان محدثا ومفسرا وفقيها وعروضيا ، ولكنّه أورد الأخبار مسنودة إلى أصحابها من باب من أسند فقد حمَّلك ، أى أنه إذا كنت ترغب فى الاستفادة بأى خبر نقله الطبرى ، عليك أن تتحقق من صحته بإخضاعه للجرح والتعديل[1] .

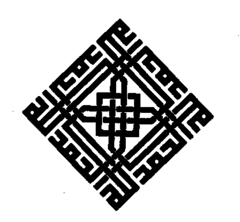
وبالإضافة إلى ما سبق فإن تاريخ الطبرى به الكثير من الروايات الضعيفة التى تعتبر فاسدة متنا وسندا ، وهى التى يعتمد عليها المستشرقون ومن سار على نهجهم من أبناء العرب والمسلمين فى كثير من الأحيان . كما اعتمدوا على أخبار واردة فى كتاب مروج الذهب ، لعلى بن الحسين المسعودى الذى يعده الشيعة من شيوخهم وكبارهم ، ويذكر له المامقانى فى تنقيح المقال (٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣)

---

(١) ولذلك فقد قال الطبرى فى أخر مقدمة كتابه : « فما يكن فى كتابى هذا من خبر يستنكره قارئه أو يستبشعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحَّة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا وإنما أُتى من قبل بعض ناقليه إلينا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا » ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ٨ .

مؤلفات فى الوصاية وعصمة الإمام وغير ذلك مما يكشف عن عصبيته والتزامه غير سبيل أهل السنة المحمدية . ومن طبيعته التشيع والتحزب[1] . وكذلك كتاب التاريخ لليعقوبى .

أما كتاب الإمامة والسياسة ، فقد ثبت أنه لم يصح عن الإمام الفقيه ابن قتيبة شىء مما فيه . ولو صحت نسبة هذا الكتاب للإمام الحجة الثبت أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) لكان كما قال عنه ابن العربى ، « كتاب الإمامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة والكذب والتزوير » . ولمَّا نشر الشيخ محب الدين الخطيب لابن قتيبة كتاب « الميسر والقداح » صدره بترجمة حافلة لابن قتيبة ، وسمَّى مؤلفاته ، وذكر (فى ص ٢٦ - ٢٧) مآخذ العلماء على كتاب الإمامة والسياسة ، وبراهينهم على أنه ليس لابن قتيبة . ويزيد الشيخ محب الدين الخطيب على ما كتبه ، « أن مؤلف الإمامة والسياسة يروى كثيرا عن اثنين من كبار علماء مصر ، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين ، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس عليه[2] .



---

(١) العواصم من القواصم ، ٢٤٩ ، هامش ٢ .

(٢) العواصم من القواصم ، ٢٤٨ ، هامش ٢ . كما أنه فى ذلك الكتاب المنسوب إلى ابن قتيبة ذكر أمور وقعت بعد موته فدل ذلك على أنه مدسوس عليه من خبيث صاحب هوى . وقد قدم الدكتور على بن نفيع العليانى الأستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة أم القرى أطروحته للماجستير عن ابن قتيبة أثبت فيها أن الإمامة والسياسة مدسوس عليه ، وسنفرد لذلك مقالة خاصة أن شاء الله .

الجـزء الثـانى

لماذا يحرص معظم كتاب التاريخ على التجاهل والتجهيل والتزييف لتاريخ صحابة رسول الله ﷺ ؟؟

السبب يكمن فى كون اليهود والنصارى يحرصون على رد المسلمين كفارا حسدا من عند أنفسهم كما بين لنا الله سبحانه وتعالى ذلك منذ أربعة عشر قرنا من الزمان : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[1] ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[2] .

ولذلك فإن معظم كتابات أعداء الإسلام قديما ، والمستشرقين ومن سار على نهجهم من أبناء العرب والمسلمين حديثا ، فى مجال التاريخ الإسلامى ، جاءت تحقيقا لذلك الهدف . ويبسط الأمر الشيخ محب الدين الخطيب فيقول : « إن العالم الإسلامى الذى نعتز بالانتساب إليه ونأمل أن تعود إليه وحدته وخلافته الإسلامية ويقع الآن تحت طائلة (الاحتلال) العسكرى أو الفكرى أو الاقتصادى أو السياسى فى أكثر بقاع الأرض قد افتتح أكثره فى الدولة الإسلامية الأولى بداية بالخلفاء الراشدين ، ودخل معظم شعوبه فى هداية الإسلام على أيدى الخلفاء الأمويين وولاتهم وقواد جيوشهم ، إتماما لما بدأ به صاحبا رسول الله ﷺ وخليفتاه الأولان - أبو بكروعمر - رضى الله عنهما وأرضاهما وأحسن جزاءهما عنا وعن الإسلام نفسه وجميع أهله .

« ولا شك أن الأجيال المسلمة التى أتت بعد ذلك إلى يومنا هذا منهم من يسعد بذلك ويمتلىء قلبه سرورا به ، ويدعو بالخير لمن كانوا سبب هذا الخير

---

(١) البقرة ٢١٧ .

(٢) البقرة ١٢٠ .

العظيم ، ومنهم من ابتأس به ، وامتلأ فؤاده حقدا على الذين عملوا فيه ، وجعل من دأبه أن يصمهم بكل نقيصة » .

« وقد نعذر الذين لم يذوقوا حلاوة الإسلام ، وحالت البيئة بينهم وبين الأنس بعظمته ، وشريف أغراضه ، وسيرة الذين قاموا به ، إذا نظروا إلى الإسلام نظرة خاطئة ، واتخذوا له فى أذهانهم صورة غير صورته التى كانت له فى الواقع » .

« ولكن ما عذر المنسوبين إلى الإسلام وفيهم من ينقص حتَّى الخليفة الأول لرسول الله ﷺ ويقلب جميع حسناته سيئات . وإن أحد الذين شاهدوا بأعينهم عدل عمر ، وزهده فى متع الدنيا ، وإنصافه لجميع الناس ، لم يستطع أن يمنع الحقد الذى فى فؤاده على الإسلام ، من أن يدفعه إلى طعنه بالسكين دون أن يسيء إليه » .

«وفى قوم طاعن عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات إلى يومنا هذا فى تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والإنسانية والخير . وفى عصر عثمان من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذى ملىء قلبه من رحمة الله ، فاخترعوا له ذنوبا ، ومازالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدقوها ، وتفننوا فى إذاعتها . ثم استحلوا سفك دمه الحرام ، فى الشهر الحرام ، بجوار قبر أبى زوجتيه محمد ﷺ » .(١)

وما برحت الإنسانية تشاهد المعجزات من رجالات الإسلام فى نشره وإدخال الأمم فيه وتوسيع النطاق فى الآفاق لكلمة « الله أكبر ... حى على الفلاح » حتى نودى بها على جبال السند ، وفى ربوع الهند ، وعلى سواحل المحيط غربا ، وفى أودية أوربا وجبالها ، بما لم يملك أن يصفه حتى أعداء الإسلام إلا بأنه معجزة . كل هذا فى زمن هذه الدولة الأموية التى لو صدر عن اليهود والنصارى وعبدة الأوثان عشر ما صدر عنها من الخير ، وجزء من مائة جزء مما أثر عن رجالها من إنصاف ومروءة وكرم وشجاعة وإيثار وفصاحة ونبل ، لرفعوا لأولئك اليهود والنصارى والوثنيين الثناء والتقدير فى الخافقين » .

---

(١) العواصم من القواصم ٣ — ٩ .

« والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير ، لكنه يريد من كل مما يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها ، وأن يتقى الله فى ذكر سيئاتهم ، فلا يبالغ فيها ، ولا ينخدع بما افتراه المغرضون من أكاذيبها » .

« ونحن – المسلمين – لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ وكل من ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ فهو كاذب ، فالإنسان إنسان ، يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان ، فيكون منه الحق والخير ، ويكون منه الباطل والشر ، وقد يكون الحق والخير فى إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الخير والحق ، ولا يمنع هذا أن تكون له هفوات » .

« وقد يكون الباطل والشر فى إنسان آخر بنطاق واسع ، فيعد من أهل الباطل والشر ، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات ، فى بعض الأوقات » .

« يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات ، أن لا ينسى ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات . ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات ، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحين من أجل تلك الشوارد من أعمالهم الصالحات » .

« إن أحداث المائة الأولى من عصور الإسلام كانت من معجزات التاريخ . والعمل الذى عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة من أمم الأرض بعدها » .

« أما أبو بكر وعمر ، وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، وإخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، وطبقتهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، خصوصا الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته – من أنفق منهم من قبل الفتح وقاتل ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا . فإنهم كانوا جميعا شموسا سطعت فى سماء الإنسانية مرة ، ولا تطمع الإنسانية بأن تطلع فى سماء شموس من طرازهم مرة أخرى ،

إلا إذا عزم المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الإسلام ، ويتأدبوا بأدب الإسلام » .

« فالصحابة كانوا أسمى أخلاقا وأصدق إخلاصا لله وترفعا عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا ، لكن كان فى عصرهم من الأيدى الخبيثة التى عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ، مثل الأيدى الخبيثة التى جاءت فيما بعد فصورت الوقائع بغير صورتها » .

« ولما كان أصحاب رسول الله ﷺ هم قدوتنا فى ديننا ، وهم حملة الكتاب الإلهى والسنة المحمدية ، إلى الذين حملوا عنهم أماناتها حتى وصلت إلينا ، فإن من حق هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كل ما ألصق بهم من إفك ظلما وعدوانا ، لتكون صورتهم التى تعرض على أنظار الناس هى الصورة النقية الصادقة التى كانوا عليها ، فتحسن القدوة بهم ، وتطمئن النفوس إلى الخير الذى ساقه الله للبشر على أيديهم . وقد اعتبر فى التشريع الإسلامى أن الطعن فيهم طعن فى الدين الذى هم رواته ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التى حملوها ، وتشكيك فى جميع الأسس التى قام عليها كيان التشريع فى هذه الملة الحنيفية السمحة . وأولى نتائجه حرمان شباب الجيل وكل جيل بعده ، من القدوة الصالحة التى من الله على المسلمين بها ليتأسوا بها . ويواصلوا حمل أمانات الإسلام على آثارها ، ولا يكون ذلك إلا إذا ألموا بحسناتهم ، وعرفوا كريم سجاياهم ، وأدركوا أن الذين شوهوا تلك الحسنات وصوروا تلك السجايا بغير صورتها ، إنما أرادوا أن يسيئوا إلى الإسلام نفسه بالإساءة إلى أهله الأولين ، وقد آن لنا أن ننتبه من هذه الغفلة فنعرف لسلفنا أقدارهم . لنسير فى حاضرنا على هدى ونور من سيرتهم الصحيحة ، وسريرتهم النقية الطاهرة .

الجـزء الثالـث

الفقـرة الأولى

« حكم من ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله »

أصحاب رسول الله ﷺ عُدُولٌ بتعديل الله ورسوله لهم . ولا ينتقص منهم إلا زنديق .

عقد الإمام الحافظ المحدِّث أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٩٣ هـ) فصلا نفيسا فى كتابه (الكفاية) الذى طبع بالهند سنة ١٣٥٧ هـ (ص ٤٦ - ٤٩) بعنوان « ما جاء فى تعديل الله ورسوله للصحابة » واعتمده شيخ الإسلام الإمام الحافظ قاضى قضاة مصر شهاب الدين بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢) فى مقدمة كتابه « الإصابة »[1] الذى طبع فى مصر سنة ١٣٢٨ هـ جـ ١ (ص ١٠ - ١١) ونحن نقتطف منه ما يلى :

« عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم فى نص القرآن . فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[3] وقوله : ﴿ لقد رضى الله

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ١ ، ص ١٧ - ١٩ ، العواصم من القواصم ، جـ ٣ ، ص ٣٢ - ٣٤ .

(٢) آل عمران ١١٠ .

(٣) البقرة ١٤٣ .

عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ﴾[٣] .
وقوله : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من لله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون . والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[٥] .

وَوَصَفَ الرسول ﷺ الصحابة مثل ذلك . وأطنب فى تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم ، فمن الأخبار المستفيضة عنه فى هذا المعنى :

حديث عبد الله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء قوم تسبق أيمانهم شهادتهم ، ويشهدون قبل أن يستشهدوا » رواه أبو هريرة عن عمران بن حصين[٦] .

---

(١) الفتح ١٨ .
(٢) التوبة ١٠٠ .
(٣) الواقعة ١٠ : ١٢ .
(٤) الأنفال ٦٤ .
(٥) الحشر ٨ : ٩ .
(٦) الحديث رواه البخارى فى صحيحه وفى الفضائل كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جوْر إذا أُشْهد . ٢٢٤/٣ . عن عمران بن حصين وأخرى باب فضائل أصحاب النبى ﷺ .. ٣/٥ وفى الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها . ١١٣/٨ . عن عمران بن حصين . ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ١٩٦٢/٤ ، ١٩٦٣ =

وحديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبّوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه »[1] .

وقال الحافظ الكبير أبو بكر بن الخطيب البغدادى : والأخبار فى هذا المعنى تتسع ، وكلها مطابقة لما فى نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة .

والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم – مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم – إلى تعديل أحد الخلق لهم – على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه ، لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، والنصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان واليقين – القطع على عدالتهم ، والاعتقاد بنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين ، الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين .

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمذانى ، حدثنا صالح بن أحمد الحافظ قال : سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول : سمعتُ أحمد بن سليمان التسترى يقول : سمعت أبا زرعة يقول : « إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، لأن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن

= رقم (٢١٠) ، عند عبدالله وفى الباب غيره بلفظ متقارب . وأبوداود فى السنن ، كتاب السنة ، باب فى فضل أصحاب النبى ﷺ ٥/٤٤ . بلفظ « خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ... » عن عمران بن حصين . رقم (٤٦٥٧) . والترمذى فى الفتن ، باب فى القرن الثالث . والنسائى فى النذور ، باب الوفاء بالنذر . وأحمد فى المسند عن عائشة قالت : « سأل رجل رسول الله ﷺ أى الناس خير ؟ قال : القرن الذى أنا فيه ، ثم الثانى ثم الثالث » ٦/١٥٦ .

(١) الحديث رواه بهذا اللفظ أبو داود فى سننه كتاب السنة ، باب فى النهى عن سب أصحاب رسول الله ﷺ ٥/٤٥ رقم (٤٦٥٨) . ورواه البخارى فى صحيحه فى فضائل الصحابة ، ٥/١٠ . ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم . ٤/١٩٦٧ – ١٩٦٨ . رقم (٢٥٤٠ ، ٢٥٤١) . والترمذى فى المناقب ، باب فى من سب أصحاب النبى ﷺ . وابن ماجة فى المقدمة ، باب فضل أهل بدر ١٠/٥٧ . رقم (١٦١) . وأحمد فى المسند ١١/٣٠ .

يجرّحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة »[1] .

الفقــرة الثانيــة

عدم الالتفات إلا إلى ما صح من الأخبار :

ومن هنا نرى أن القاضي أبا بكر بن العربي ، ينصح الأمة المسلمة بألا تلتفت إلا إلى ما صح من الأخبار ، فقال بالنص الواحد : « والناس إذا لم يجدوا عيبا لأحدٍ – وغلبهم الحسد عليه وعداوتهم له – أحدثوا له عيوبا ، فأقبلوا الوصية ، ولا تَلْتَفِتُوا إلا إلى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا – كما ذكرت لكم – أهل التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطل ، فيقذفوا – كما قدمنا – فى قلوب الناس مالا يرضاه الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم منا ، فرضى الله عنهم أجمعين »[2] .

وفى موضع آخر يقول : « إنما ذكرت لكم هذا لتحذروا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ، والمؤرخين ، وأهل الآداب ، بأنهم أهل جهالة بحرمات الدين ، أو على بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رووا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما إلا للطبرى[3] (بعد جرح وتعديل رواياته) وغير ذلك هو الموت الأحمر ، والداء الأكبر . فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار للصحابة والسلف ، والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال فى الأقوال والأفعال عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول ، سلمتم من هذه الحبائل ولم تطووا

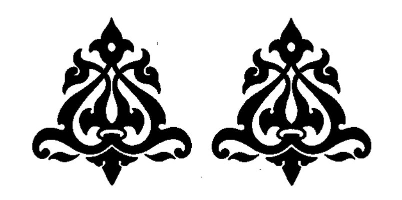
---

(١) وأبو زرعة الذى أعلن زندقة من ينتقص أحد من الصحابة ، هو عبيد الله بن عبد الكريم الرازى ، من موالى بنى مخزوم ، كان أحد أعلام الأئمة ، قال عنه الإمام أحمد : ما جاز الجسر أحفظ من أبى زرعة ، وقال الإمام أبو حاتم إن أبا زرعة ما خلّف بَعْدَه ومثْله . توفى سنة ٢٦٤ هـ (العواصم من القواصم ، ص ٣٤ ؛ الإصابة ، جـ ١ ، ص ١٨) .

(٢) العواصم ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ .

(٣) إن تحذير الكاتب من المفسرين ، لا ينسحب على كل المفسرين ، ولو ذكر لنا نماذج لتيسر لنا فحصها والرد عليها أو موافقة الكاتب عليها إن صح ما أورده فى شأنها ، ولعله يقصد التفسيرات التى تعتمد الإسرائيليات أو التى يكون أصحابها ممن ينتهجون نهج المعتزلة كتفسير الكشاف للزمخشرى مثلا .

كشحاً على هذه الغوائل ومن أشدّ شيء على الناس جاهلٌ عاقل ، أو مبتدعٌ محتال ، فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب (الإمامة والسياسة)[1] إن صح عنه جميع ما فيه . وكالمبرِّد فى كتابه الكامل[2] . وأين عقله من عقل أبى على القالى فى « أماليه » ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعْن على أفاضل الأمة . وأما المبتدع المحتال فالمسعودى ، فإنه يأتى منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك . وأما البدعة فلا شك فيه . فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى خليفة مما يُنسب إليه مالا يليق ويذكر عنه مالا يجوز نقله ، كنتم على منهج السَّلف سائرين ، وعن سبيل الباطل ناكبين .



---

(١) يقول محب الدين الخطيب فى العواصم من القواصم ، ص ٢٤٥ ، الهامش حكم القاضى أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسى وهو يظن أن كتاب الإمامة والسياسة من تأليفه . وكتاب الإمامة والسياسة ذكرت فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة ، فدل ذلك على أنه عليه مدسوس من خبيث صاحب هوى .

(٢) المبّرد ينزع لشيء من رأى الخوارج . وله فيهم هوى . وأن إمامته فى اللغة والأدب لا تغطى على ضعفه فى علم الرواية والإسناد (العواصم من القواصم ، ص ٢٤٩ الهامش) .

الفصـــل الثالـــث

الجـــزء الأول

تعريف موجز بأبى بكر[1] الصديق رضى الله عنه :

هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنى كعب بنى لؤى القرشى التيمى . سماه رسول الله ﷺ ، عبد الله ، ولقب عتيقا . كان أول الناس إسلاما ، وكان رجلا مؤلفاً لقومه ، محبّبا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق معروف . وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه ، وتجارته ، وحسن مجالسته (الرياض النضرة ، ج ١ ، ص ٣٢) .

ومنذ أن أسلم ، وهو يباشر الدعوة إلى الله بين من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه عثمان بن عفّان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فكان هؤلاء النفر بالإضافة إلى على بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة هم الذين سبقوا بالإسلام فصلوا وصدقوا (الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ٧٧) .

---

(١) ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر (قبل ٥١ سنة من الهجرة) بمكة (انظر كتاب فضائل الصحابة للإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) حققه وخرج أحاديثه وصى الله بن محمد عباس ، جـ ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣ ص ٦٥ وما بعدها ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ ، الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ٣٩٠ ، ص ٩٦٣ ، ٩٦٧ ، الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٦٩ ، ٢١٤ .

وقد ذكر ذلك رسول الله ﷺ فيما أورده البخارى عن أبى الدرداء فى حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى (مرتين) ؟ » (البخارى ، جـ ٥ ، ص ٦) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما لأحد عندنا يداً إلا وقد كافأناه ماخلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله عز وجل بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحدٍ قط ما نفعنى مال أبي بكر » (الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ١١٣) ، « ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبَا بَكْرٍ خليلاً ، وإن صاحبكم خليل الله » (الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ١١٠) .

فأين الدنيا فى عمل خليفة رسول الله ﷺ ، هذه شهادة رسول الله ﷺ الذى ما ينطق عن الهوى ، إن أبا بكر قدم لآخرته ، وأجرُه مدّخر لآخرته ومن كان كذلك فهو أعظم من أن يتوثب على الإمارة .

هذا الصحابى الجليل لم يتخلف عن رسول الله ﷺ فى مشهد من مشاهده[1] ، وكان أحد الذين ثبتوا معه يوم أحد وحنين .

لقد كان كثير البذل كريما ، حتى لقد أنفق ثروته التى يقدرها عروة بن الزبير بأربعين ألف درهم فى سبيل الله تعالى وقال : أخبرتنى عائشة أنه مات وما ترك درهما ولا دينارا ، ولا شك فى ذلك ، لأنه كان كثير الإنفاق فى سبيل الله بل إنه افتدى سبعة من المسلمين كان القرشيون يعذبونهم ويحاولون ردهم عن دينهم ، ومن هؤلاء بلال وعامر بن فهيرة وجارية بن المؤثل[2] ، فأين الدنيا والحرص عليها فى حياة هذا الصحابى الجليل ؟ .

هذا الصحابى الجليل كان الزهد والتواضع سمتا أصيلا فيه ، ولا عجب فى ذلك فأسوته رسول الله محمد ﷺ ، فإذا مدحه إنسان كان يقول : « اللهم أنت

---

(١) أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .

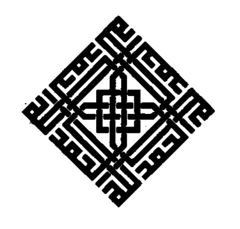
(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ .

أعلم بى من نفسى وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يظنّون واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون »[1] . وكان رضى الله تعالى عنه معروفا بين الصحابة بالتفقه فى الدين والفصاحة وأصالة الرأى وصدق الفراسة وصدق الفهم ، هذا الصحابى الجليل كان أعظم من أن يتوثب على الخلافة .

لقد كان أبو بكر عملاقا فى الجاهلية ، كما كان عملاقا فى الإسلام ، ففى الجاهلية عرف بالعفة ، ولم يشرب الخمر قط ، وكان تاجرا معروفا بالأمانة ، له رأس مال ضخم ، ولكنه ترك الأعمال التجارية ليتفرغ للدعوة الإسلامية مع رسول الله ﷺ .

هذا الصحابى الجليل عرف فى مواقفه بالشجاعة والثبات فى مواجهة المواقف ، وهو الذى هيأه الله عز وجل لإتمام نشر الدعوة الإسلامية ، والوقوف فى وجه المرتدين الذين رموا المدينة عن قوس واحدة ، فخرج بنفسه للقائهم ، وأسامة فى الشام بجيش المسلمين حتى أن الصحابة رضوان الله عليهم قد ناشدوه ألا يعرض نفسه للخطر فأبى وقال : « والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسى » وصبر وصابر حتى منَّ الله عليه وعلى أصحابه بالنصر ، وأعاد المرتدين إلى حظيرة الإسلام ، ثم عبأ الجيوش للجهاد فى سبيل الله وإبلاغ دعوة التوحيد إلى الناس شرقا وغربا .

وهو الذى وفقه الله عز وجل لجمع القرآن من صدور الصحابة حينما استمر فيهم القتل أيام الردة .



---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

الجـزء الثـانى

دحـض المزاعـم وتصحيـح الأخطـاء

التى وقع فيها المستشرقون ومن سار على نهجهم ، وهم يعالجون : مسألة استخلاف أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وتاريخ صحابة رسول الله ﷺ عقب وفاته مباشرة

أولا : « والتحقيق أن النبى ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبى بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله ، وأخبر بخلافته ، إخبار راض بذلك ، حامدا له ، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا ، ثم علم أن المسلمين يجمعون عليه ، فترك الكتابة اكتفاء بذلك ، ثم عزم على ذلك فى مرضه يوم الخميس ، ثم لما حصل لبعضهم شك ، هل ذلك من جهة المرض ، أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة اكتفاء بما علم من اختيار الله له وكذلك إجماع المؤمنين عليه . فلو كان التعين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله ﷺ بياناً قاطعاً للعذر ، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين ، وفهموا ذلك حصل المقصود . ولهذا قال عمر بن الخطاب فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار : « وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر » ، رواه البخارى ومسلم . وفى الصحيحين أيضا عنه أنه قال يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار : « أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ » ولم ينكر ذلك منكر ، ولا قال أحد من الصحابة أن غير أبا بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه ، ولم ينازع أحد فى خلافته إلا بعض الأنصار طمعا فى أن يكون من الأنصار أمير ، ومن المهاجرين أمير . وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبى ﷺ بطلانه ، ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر

إلا سعد بن عبادة[1] ، لكونه هو الذى كان يطلب الولاية ، ولم يقل أحد قط من الصحابة أن فى قريش من هو أحق بها من أبى بكر ، لا من بنى هاشم ، ولا من غير بنى هاشم . وهذا كله مما يعلمه العلماء العاملون بالآثار والسنن والحديث ، وهو معلوم عندهم بالاضطرار . وقد نقل عن بعض بنى عبد مناف مثل أبى سفيان وخالد بن سعيد أنهم أرادوا أن لا تكون الخلافة إلا فى بنى عبد مناف ، وأنهم ذكروا ذلك لعثمان وعلى فلم يلتفتا إلى من قال ذلك ، لعلمهما وعلم سائر المسلمين أنه ليس فى القوم مثل أبى بكر »[2] .

ثانيا : « فجميع من نقل عنه (أى عن رسول الله ﷺ) أنه طلب تولية غير أبى بكر لم يذكر حجة دينية شرعية ، ولا ذكر أن غير أبى بكر أحق بها وأفضل من أبى بكر ، وإنما نشأ كلامه من حبه لقومه وقبيلته »[3] .

ثالثا : « وأما كون الخلافة فى قريش ، فلما كان هذا من شرعه ودينه كانت النصوص بذلك معروفة منقولة مأثورة تذكرها الصحابة بخلاف كون الخلافة فى بطن من قريش أو غير قريش ، فإنه لم ينقل أحد من الصحابة فيه نصا ، بل ولا قال أحد أنه كان فى قريش من هو أحق بالخلافة فى دين الله وشرعه من أبى بكر »[4] .

والأحاديث الواردة فى كون الخلافة فى قريش صحيحة ، واردة فى البخارى ومسلم .

رابعا : « من الأمور المشهورة عند المسلمين أن أبا بكر مقدم على غيره ، وأنه كان عندهم أحق بخلافة النبوة ، وأن الأمر فى ذلك بين ظاهر عندهم ، ليس فيه اشتباه عليهم ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

---

(١) فى السقيفة ، لأنه بايع أبا بكر بالخلافة بعد ذلك كما هو ثابت فى السنة . منهاج السنة ج ١ ، ص ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٢) منهاج السنة ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٣) منهاج السنة ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٤) منهاج السنة ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

ومعلوم أن هذا العلم الذى عندهم بفضله وتقديمه إنما استفادوه من النبى ﷺ بأمور سمعوها وعاينوها ، وحصل بها من العلم ما علموا به أن الصديق أحق الأمة بخلافته منهم ... »[1] .

خامسا : « دلت النصوص الصحيحة على صحتها – استخلاف أبى بكر – وثبوتها ، ورضا الله ورسوله ﷺ بها ، وانعقدت بمبايعة المسلمين له ، واختيارهم إياه ، اختيارا استندوا به ... »[2] .

سادسا : أن بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة قد تمت فى سقيفة بنى ساعدة بإجماع المسلمين : أنصار ومهاجرين ، ولم يتخلف أحد عن بيعة أبى بكر ، ولم تحدث أية أزمة سياسية ، ولم يحدث انقسام فى صفوف المسلمين بسبب من يخلف رسول الله ﷺ ، ولم تظهر أية تكتلات أو فرق ، وبعد اجتماع السقيفة وبيعة أبى بكر الخاصة ، لم يظهر شخص واحد يطلب هذا الأمر لنفسه ، لأن الجميع أنصار ومهاجرين فى أثناء اجتماع السقيفة أجمعوا على واحد منهم ، وكانوا جميعا على قلب رجل واحد ، كانوا مسلمين حقا لأنهم تربوا على هذا الإسلام العظيم : من أن هناك مرحلة الاستشارة ، وأثناءها قد يظهر اختلاف فى الرأى ، ولكن بعد انتهاء مرحلة الاستشارة يصبح الرأى الذى يجمع عليه غالبية المسلمين هو رأى المسلمين جميعا ، لا يحل لأى إنسان منهم أن يخرج عليه ، ولا أن يخرج خارج السقيفة مثلا ويقول أنا لم أكن موافقا ، أو لست موافقا ، أو يجرح شخصا ، أو يبلبل فكر الجماعة ، أو يخلق فتنة ، وإلا اعتبر خارجا عن جماعة المسلمين .

أى أن العصبية لم يكن لها وجود فى داخل السقيفة ولا خارجها ، إنما هو الرأى بالرأى ينقدح ، فلما ظهر الحق أجمع الكل عليه ، ولله الحمد والمنة .. .

سابعا : أن أول من بايع أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى اجتماع السقيفة رجل من الأنصار هو بشير بن سعد والد النعمان .

---

(١) منهاج السنة ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

(٢) منهاج السنة ، جـ ١ ، ص ١٤٠ .

ثامنا : أن سعد بن عبادة قد بايع أبا بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة ، فى أعقاب النقاش الذى دار فى سقيفة بنى ساعدة ، إذ أنه نزل عن مقامه الأول فى دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالإمارة[1] .

تاسعا : أن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه ، لم يكن يرى نفسه أحق بالخلافة من أبى بكر ، وهو لم يحضر اجتماع السقيفة بسبب انشغاله برسول الله ﷺ بعد وفاته ، وقد بايع على رضى الله عنه أبا بكر فى مسجد رسول الله ﷺ فى اليوم الأول أو الثانى من وفاة رسول الله ﷺ[2] . وقد ثبت عنه أنه أقر بالفضل لأبى بكر عليه وعلى غيره من صحابة رسول الله ﷺ .

كما ثبت أنه أيضا قد جدد بيعته لأبى بكر بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ولم ينزع يدا من طاعة ، ولم يتخلف عن الصلاة خلف أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا تخلف عنه فى غزوة ، بل خرج معه شاهرا سيفه فى ذى القصة لقتال أهل الردة . كما أن النقل الصحيح لا يثبت أن فاطمة قد منعت عليا من مبايعة أبى بكر بالخلافة ، ولم يثبت أنها زجرت أبا بكر أو أعلنت سخطها عليه أو على عمر ، وهى أتقى لله وأخشى من أن تفعل ذلك .

عاشرا : لم يثبت النقل أو العقل أن عليا قد اتهم عمر بن الخطاب بالتواطؤ مع أبى بكر الصديق ليكون له الأمر من بعده . وعلى الذين يلقون بالقول جزافا دون وازع من خلق أو دين أن يقدموا دليلا على مزاعمهم .

حادى عشر : أن الزبير بن العوام رضى الله عنه قد بايع أبا بكر بالخلافة فى اليوم الثانى لوفاة رسول الله ﷺ فى مسجد رسول الله ﷺ ، وهو يوم البيعة العامة[3] .

---

(١) منهاج السنة ، جـ ١ ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ ، ٢٨٦ .

(٣) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

ثانى عشر : لم يثبت النقل أن عائشة أو حفصة رضى الله عنهما قد مهدتا الطريق لأبى بكر وعمر ، وهذا الزعم إنما هو من خيال الكُتَّاب ، لا أصل له فى كتب الحديث ،.

فأمهات المؤمنين كن أتقى لله من أن يشاركن فى مؤامرة للوصول إلى إمارة المسلمين – كما زعم الزاعمون – وأبو بكر وعمر كانا أتقى لله من أن يدفعا ابنتيهما لهذا الغرض . والعجيب أن هذا الخبر ينقله أحد أبناء المسلمين عن « هنرى لامانس »[1] المستشرق **اليسوعى** .

وعلى العكس مما ذكره هذا المستشرق ومن تابعه من أبناء المسلمين ، فإن النقل الصحيح يثبت أن عائشة رضى الله عنها تراخت فى إعلان أبيها – أبى بكر – بأن يؤم المسلمين فى الصلاة ، بتكليف من رسول الله ﷺ . وبررت عدم إبلاغ أبيها بأمر رسول الله ﷺ « لأنه بكاء لا يملك نفسه من البكاء » ولهذا قال رسول الله ﷺ : « إنكن صواحب يوسف »[2] ، ولو كانت تفكر فى أمر الخلافة – كما يزعمون – لأسرعت إلى إبلاغ الخبر لأبى بكر رضى الله عنه .

وأمهات المؤمنين وصحابة رسول الله كانوا أتقى لله من أن يخطر على أذهانهم أمثال هذه الأمور التى لا تخطر إلا على الأذهان المريضة ، التى لم يتربَّ أصحابها على الإسلام ، والذين يزداد عددهم فى عالمنا المعاصر . فالإمارة لم تكن مغنما : « وإنها أمانة ، وإنَّها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها »[3] .

---

(١) على حسن الخربوطلى ، غروب الخلافة الإسلامية ، ص ٥٦ .

(٢) جزء حديث رواه البخارى فى صحيحه فى الآذان ، باب : أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ١٧٢/١ ، ١٨٣ . وفى الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : ما يكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين والبدع ... ١٢١/٩ . ومسلم فى صحيحه كتاب الصلاة ، باب : استخلاف الإمام إذا عرض له غدر من مرض وسفر وغيرهما .. ٣١٣/١ ، ٣١٤ ، ٣١٦ رقم (٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١) . والترمذى وابن ماجة فى سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فى صلاة رسول الله ﷺ ، فى مرضه . ٣٨٩/١ ، ٣٩٠ . رقم (١٢٣٢ ، ١٢٣٤) . والنسائى . وأحمد فى المسند ٤١٢/٤ . ٣٤/٦ ، ٩٦ ، ١٥٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ .

كما أن أبا بكر حاول أن يدفع هذا الأمر أكثر من مرة ليولوا غيره .

★ لم يثبت النقل الصحيح أية أزمات ، لا بسيطة ولا خطيرة ، ولم يثبت أى انقسام أو فرق لكل منها مرشح يطمع فى الخلافة كما زعم كتاب التاريخ ، ولكن الأخوة الإسلامية ظلت كما هى ، بل ازدادت توثقا كما يثبت ذلك النقل الصحيح .

★ إن الصفات التى أهلت أبا بكر للخلافة ، هى كونه أفضل الصحابة على الإطلاق ، كما يثبت بذلك النقل الصحيح .. أن اختيار أبى بكر لإمامة الأمة المسلمة كان له ضوابط وضعها الشارع الحكيم - سبحانه وتعالى - لا يدخل فيها القرابة أو العصبية إنما هى صفات ، توفرت فى الصديق أهلته لتولى المسئولية العظيمة ، التى حاول أن يفر منها عدة مرات . هذه الصفات منها : الإسلام ، والفقه ، والقدرة على الاجتهاد ، والعدالة ، والعلم ، والخبرة السياسية والإدارية ، وسلامة الحواس ، وكلها لابد وأن تتوفر فى الحاكم المسلم .

★ **إن إسراع** بشير بن سعد الأنصارى إلى مبايعة أبى بكر الصديق كان من باب المسارعة إلى الخيرات ، وحتى لا يسبقه أحد إلى هذا الفضل ، وقد كان . فلم يذكر التاريخ أحدا بايع قبله .

ثالث عشر : لم يثبت النقل الصحيح تآمرا حدث بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة لاحتكار الحكم بعد وفاة رسول الله ﷺ . وهم كانوا أخشى لله وأتقى من أن يفعلوا ذلك .

رابع عشر : أن حكم الصديق رضى الله عنه كان يقوم على الشورى ، والأمة المسلمة كلها كانت بعد الله رقيبة على أعماله ، لها أن تحاسبه ، ولها أن تنقده . والنقل الصحيح يثبت لنا ذلك ، كيف كان أبو بكر يستشير أصحابه فى الصغيرة والكبيرة ، وكيف كانت الأمة تقوم بالإدلاء برأيها فى الصغيرة والكبيرة .

وحكومة المسلمين على عهد الصديق ، كانت حكومة إسلامية قرآنية ، وهى نموذج للحكم لم يتكرر فى حياة البشرية حتى الآن .

أى أنه لم يكن هنالك حكم مطلق إلا فى تخيلات الحاقدين على الإسلام وأهله .

أما كون الصحابة حديثى عهد بالحكومة فهذا يرده معالجة الصديق وصحبه رضوان الله عليهم لأحداث الردة ، والامتناع عن دفع الزكاة . وجمع القرآن . ويدحضه أيضا سياسة الخليفة الصديق رضى الله عنه ، التى كانت تقوم على استمرار الجهاد فى سبيل الله . فسير الجيوش شرقا وغربا لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى فى الأرض كلها .

ويهمنا أن نوجه سؤالا إلى أصحاب السعادة ، الأساتذة المشتغلين بالتاريخ ، نحن الآن – فى تصوركم لسنا حديثى عهد بالحكومات – فقولوا لنا بالله ، هل وضعنا الآن أفضل ، أم الوضع الذى كان على عهد الصديق رضى الله عنه ، وصحبه الذين كانوا حديثى عهد بالحكم ؟. أعتقد لن تخالفونا ، نحن الآن فى المستنقع ، فى السفح الهابط ، بينما كانوا هم فى القمة السامقة ، إننا مستضعفون فى الأرض لا قيمة لنا حقيقة فى المجتمع الدولى ، أما هم فقد كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها .

خامس عشر : أن الإسلام نظام حياة شامل : سياسى وثقافى واجتماعى واقتصادى وتعليمى وعسكرى .. أى أن الحكم جزء من الإسلام ، وقبل وفاة رسول الله ﷺ ، كان الدين قد اكتمل : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[1] . ومن هذا الدين كان نظام الحكم الذى أرسيت قواعده ومبادؤه على عهد رسول الله ﷺ ، كما سنبين هنا بإيجاز ، وكما سنفرد لذلك رسالة خاصة فى المستقبل إن شاء الله .

وبالتالى فإن اختيار الصديق رضى الله عنه للخلافة ، كان يقوم على أساس النظام الذى وضعه الإسلام .

---

(١) المائدة ٣ .

الجـزء الثالث

دليلنا فى دحض المزاعم والتصحيح
مستمـد من

أولا : المصادر الموثقة :

(أ) ما ورد فى كتاب الله سبحانه وتعالى وحديث رسول الله محمد ﷺ ، وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم .

(ب) ما ورد فى كتب علماء السلف – من أهل السنة والجماعة – التى أخضعت وثائقها للجرح والتعديل ، فهى موثقة من الناحية الشرعية .

ثانيا : استعراض مواقف من تاريخ صحابة رسول الله رضى الله عنهم ، الذين قدر لهم أن يعيشوا بعد وفاة النبى محمد ﷺ وأثناء خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وخاصة أولئك الذين وردت أسماؤهم فى سياق اجتماع سقيفة بنى ساعدة ، لتأكيد انضباطهم مع أوامر الإسلام الذى اعتنقوه . وذلك من خلال الوثائق الصحيحة الواردة فى المصادر السابقة ، بالإضافة إلى غيرها .

ومنهجنا فى معالجة المسائل موضوع بحثنا :

عرض النصوص التاريخية الصحيحة ، مع إخضاعها أحيانا للتحليل والتقويم فى ضوء التصور الإسلامى للدراسات التاريخية ، مع استخلاص النتائج ، ومنها الدروس المستفادة .

وجميع هذه المصادر تقدم الأدلة على :

(أ) فضل أصحاب النبى محمد ﷺ .

(ب) أن رسول الله ﷺ قد قدم أبا بكر الصديق رضى الله عنه على غيره من الصحابة .

(ج) إجماع صحابة رسول الله ﷺ على أفضلية أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

(د) استخلاف رسول الله ﷺ لأبى بكر من بعده .

(هـ) اختيار أبى بكر رضى الله عنه خليفة للمسلمين ببيعة أهل الحل والعقد فى سقيفة بنى ساعدة ، وبيعة جمهور المسلمين البيعة العامة فى مسجد رسول الله ﷺ دون تنازع أو تطاحن .

(و) إجماع المسلمين : أنصار ومهاجرين على خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

هذه المصادر الموثقة منها :

★ صحيح أبى عبد عبد الله البخارى ، تأليف أبى عبد الله البخارى ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة .

★ فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى تأليف أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٣٣ - ٨٥٢ هـ) ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى ، وقام بإخراجه محب الدين الخطيب دار المعرفة ، بيروت .

★ صحيح مسلم ، تأليف الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى دار إحياء التراث العربى ، ط ٢ بيروت ١٩٧٢ م .

★ مختصر صحيح مسلم ، تأليف الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن سلامة المنذرى الدمشقى ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ط ٣ ،

المكتب الإسلامى ، دمشق ١٣٩٧ هـ .

★ صحيح مسلم بشرح النووى ، تأليف محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى الحورانى الشافعى (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) ، ط ١ ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

★ تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة (٦٧٦ هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة .

★ فضائل الصحابة ، تأليف أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) حققه وخرج أحاديثه وصى الله بن محمد عباس ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ .

★ الإصابة فى تمييز الصحابة ، لشيخ الإسلام إمام الحفاظ ، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى الشافعى المعروف بابن حجر ، (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) ، ومعه الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، للفقيه الحافظ المحدث ابن عبد البر القرطبى ، المالكى (٣٦٢ - ٤٦٣ هـ) ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

★ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق على محمد البجاوى ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .

★ السيرة النبوية ، تأليف الإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، بيروت ، ١٣٩٦ هـ .

★ البداية والنهاية ، تأليف الإمام أبى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) ، بيروت .

★ منهاج السنة فى نقض كلام الشيعة والقدرية ، تصنيف شيخ الإسلام أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية الحرانى الدمشقى الحنبلى المتوفى سنة ٨٢٧ هـ .

★ شرح العقيدة الطحاوية ، للإمام الفقيه المحدّث ابن أبى العز الحنفى ، شرح وحقق أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى وجماعة من العلماء ، ط ١ ، المكتب الإسلامى ، دمشق ١٣٩٢ هـ .

★ الرياض النضرة فى مناقب العشرة ، تأليف شيخ مشايخ الفقه والحديث ، حافظ عصره وزمانه ، أبى جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .

★ تاريخ الخلفاء ، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧١ هـ .

★ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، تأليف الإمام أبى محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهرى المتوفى سنة (٤٥٦ هـ) ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ، د. عبد الرحمن عميرة ، مكتبات عكاظ ط ١ ،المملكة العربية السعودية ١٤٠٢ هـ .

المصدر الأول

أولا : النصوص :

أفرد الإمام أبو عبد الله البخارى[1] بابا فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، ذكر فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد فضل صحابته ، رضوان الله عليهم ، من هذه الأحاديث :

(أ) « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم – قال عمران : فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا – ثم إنّ بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن »[2] .

---

(١) صحيح أبى عبد الله البخارى ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ، القاهرة ، ج ٥ ، ص ٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢ ، ٣ .

(ب) كما أفرد الإمام البخارى بابا فى مناقب المهاجرين وفضلهم[1] : « منهم أبو بكر عبد الله بن أبى قحافة التيمى رضى الله عنه ، وقول الله تعالى (الحشر / ٨) : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصادقون ﴾ . وقال (التوبة / ٤٠) : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله ... إلىٰ قوله ... إن الله معنا ﴾ .

تعليق : وهذا الباب وما ورد فيه من أحاديث يثبت أن أبا بكر الصديق هو الصحابى الوحيد رضى الله عنه الذى صحب رسول الله ﷺ فى هجرته من مكة إلى المدينة والمشركون يطلبونهم . ويبين لنا الحب الكبير الذى كان يكنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه لرسول الله ، يتجسد ذلك حيا ، فى يقظته وحرصه الشديد على راحة وسلامة رسول الله ﷺ . يتجسد أيضا فى خوفه على رسول الله ﷺ وهما فى الغار : « لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما »[2] .

(جـ) كما أورد الإمام البخارى أحاديث تؤكد تقديم رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق رضى الله عنه على غيره من الصحابة ، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : « إنّ من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنتُ متخذاً خليلاً غيرَ رِبِّى لاتخذتُ أبا بكر خليلا ، ولكن أخوةُ الإسلام ومودّتُه ، ولا يبقين فى المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبى بكر »[3]. وفى رواية أخرى : « لو كنت

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤ ، ٥ . وقد أورد الإمام ابن حجر : « والمعنى : لا تبقوا بابا غير مسدود إلا باب أبا بكر فاتركوه بغير سد . قال الخطابى وابن بطال وغيرهما : فى هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبى بكر ، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة ، ولاسيما وقد ثبت أن ذلك كان فى آخر حياة الرسول ﷺ فى الوقت الذى أمرهم فيه بأن لا يؤمهم إلا أبو بكر . وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة والأمر بالسد كناية عن طلبها كأنه قال : لا يطلبن أحد الخلافة ، إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه فى طلبها ، وإلى هذا جنح ابن حبان فقال : بعد أن أخرج هذا الحديث : فى هذا دليل على أنه الخليفة بعد النبى ﷺ ، لأنه حسم بقوله : « سدوا عنى كل خوخة فى المسجد » أطماع الناس كلهم عن أن يكونوا خلفاء بعده ، انظر : فتح البارى ، جـ ٧ ، ص ١٤ .

متخذا فى أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخى وصاحبى » .

(د) كما أورد قولا لابن عمر رضى الله عنهما :

« كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم »(١) .

(هـ) كما أورد الإمام البخارى حديثا يؤكد – كما فهم من ذلك بعض علماء السلف – فيه رسول الله ﷺ على أن أبا بكر سيكون الخليفة من بعده : « أتت امرأة للنبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيتَ وإن جئتُ ولم أجدك – كأنها تقول الموت – قال عليه السلام : إن لم تجدينى فأتى أبا بكر »(٢) .

(و) كما أورد أحاديث تثبت أن أبا بكر كان له فضل السبق فى الإسلام منها : « سمعت عمارا يقول : رأيتُ رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ ، عبد وامرأتان وأبو بكر »(٣) . – « وقال النبى ﷺ : إن الله بعثنى إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق . وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى . مرتين »(٤) .

(ز) كما أورد حديثا آخر يثبت فضل أبى بكر على غيره من صحابة رسول الله ﷺ :

« عن عمرو بن العاص ، رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فَأَتَيْتُهُ ، فقلتُ : أىّ الناس أحبّ إليك ؟؟ قال : عائشة . فقلت : من الرجال ؟ فقال : أبوها »(٥) .

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٥ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٥ . وقد استشهد به من يقول من أهل السنة والجماعة بأن رسول الله ﷺ قد نص على خلافة أبى بكر من بعده . (منهاج السنة ، جـ ١ ، ص ١٣٨) .

(٣) صحيح أبى عبد الله البخارى ، جـ ٥ ، ص ٥ ، ٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٦ .

(ح) ومن الأحاديث الأخرى التى ورد فيها اسم أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه : « حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهرى قال أخبرنى ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف ، والله يغفر له ضعفه ، ثم استحالت غربا ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن »(١) .

(ط) أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب – يعنى : الجنة – يا عبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام (باب الريان) فقال أبو بكر : ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة . وقال : هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر »(٢) .

تعليق : وفى هذا دليل على فضل أبى بكر رضى الله عنه .

(ى) عن عائشة رضى الله عنها ، زوج النبى ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ، مات وأبو بكر بالسنح . قال : إسماعيل ، يعنى : بالعالية . فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ . قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله . قال : بأبى وأمى ، طبت حيا وميتا ، والذى نفسى بيده ، لا يذيقك الله الموتتين أبدا . ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر ، وأثنى

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧ .

عليه ، وقال : ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعْبد الله فإن الله حى لا يموت . وقال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾[1] ، وقال : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾[2] قال : فنشج الناس يبكون ، قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : منا أمير ومنكم أمير . فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلاما قد أعجبنى خشيت ألا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر ، فتكلم أبلغ الناس ، فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حُبَاب بن المنذر : لا والله ، لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب دارا ، وأعربهم لسانا فبايعوا عمر أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده ، فبايعه وبايعه الناس . فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله »[3] .

(ك) أخبرنى القاسم أن عائشة رضى الله عنها قالت : شَخُصَ بصرُ النبى ﷺ ثم قال : فى الرفيق الأعلى ، ثلاثا ، وقص الحديث . قالت : فما كان من خُطبتهما من خطبةٍ إلا نفع الله بها ، لقد خوّف عمر الناس ، وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك ، ثم لقد بصَّرَ أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم ، وخرجوا به يتلون : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل .. إلى ... الشاكرين »[4] .

(ل) « حدثنا أبو يعلى عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى : أى الناس

---

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) آل عمران ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق (صحيح أبى عبد الله البخارى ، جـ ٥) ص ٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩ .

خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين »[١] .

(م) قال النبي ﷺ : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[٢] .

(س) « حدثنا محمد بن مسكين أبو الحسن حدثنا يحيى بن حسان حدثنا سليمان عن شريك بن أبي نَمِرٍ عن سعيد بن المسيب قال : أخبرني أبو موسى الأشعري : أنه توضأ في بيته ثم خرج ، فقلت : لألزمنّ رسول الله ﷺ ، ولأكونن معه يومي هذا ، قال : فجاء المسجد ، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا : خرج ووجَّه هاهنا . فخرجت على أثره ، أسأل عنه حتى دخل بئر أريسٍ ، فجلستُ عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأَ ، فقمت إليه ، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قُفَّهَا ، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر ، فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم . فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت ، فقلت : يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن ؟ فقال : إئذن له ، وبشره بالجنة فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ، ورسول الله يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القُفِّ ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا – يريد أخاه – يأت به . فإذا إنسان يحرك الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، فقلت : هذا عمر بن الخطاب يستأذن ؟ فقال : إئذن له وبشره بالجنة . فجئت فقلت : ادخل ، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠ .

فدخل ، فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ، ودلى رجليه فى البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا يأت به ، فجاء إنسان يحرك الباب ، فقلت من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان . فقلت : على رسْلِك . فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : إئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فجئته فقلت له : ادخل ، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك ، فدخل فوجد القف قد ملىء فجلس وجاهه من الشق الآخر . - قال شريك : قال سعيد بن المسيب : فأولتها : قبورهم »[1] .

(ع) « أن النبى ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فقال : أثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان »[2] .

(ف) « قال رسول الله ﷺ بينما أنا على بئر أنزع منها جاءنى أبو بكر وعمر ، فأخذ أبو بكر الدلو فنزع ذنوبا أو ذنوبين ، وفى نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبى بكر ، فاستحالت فى يده غربا ، فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه ، فنزع حتى ضرب الناس بعطن »[3] .

(ص)وفى باب الاستخلاف أورد الإمام البخارى أحاديث منها :

(ق) « قالت عائشة رضى الله عنها[4] : وارأساه فقال رسول الله ﷺ : ذاك لو كان وأنا حى ، فأستغفر لك ، وأدعو لك . فقالت عائشة : واثكلياه ، والله إنى لأظنك تحب موتى ، ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك . فقال النبى ﷺ : بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت : يأبى الله ويدفع المؤمنون ، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون »[5] .

---

(١) المصدر السابق (صحيح أبى عبد الله البخارى ، جـ ٥) ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤) صحيح أبى عبد الله البخارى ، جـ ٩ ، ص ١٠٠ .

(٥) (فاعهد) أىِ أعنى القائم بالأمر بعدى ، هذا هو الذى فهمه البخارى فترجم ، وإن كان العهد أعم من ذلك (لكن وقع فى رواية عروة عن عائشة بلفظ « ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً » وقال فى =

تعليق : وقد استدل بعض علماء السلف بهذا الحديث والذى يسبقه بثبوت علاقة أبى بكر بالنص . (انظر منهاج السنة ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩) .

(ر) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما[1] قال قيل لعمر : ألا تستخلف ؟ قال : إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى ، أبو بكر . وإن أترك فقد ترك من هو خير منى[2] ، رسول الله ﷺ فأثنوا عليه ، فقال : راغب راهب ، وددت أنى نجوت منها كفافا ، لا لى ولا علىّ ، لا أتحملها حيا وميتا .

(ش) « أخبرنى أنس بن مالك رضى الله عنه[3] أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر ، وذلك الغد من يوم توفى النبى ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا يريد بذلك : أن يكون آخرهم ، فإن يك محمد ﷺ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به ، هدى الله محمدا ﷺ ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين[4] ، فإنه أولى المسلمين بأموركم ، فقوموا

= آخره : « ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر ») وفى رواية لمسلم « ادعى لى أبا بكر أكتب كتابا ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وفى رواية للبزار « معاذ الله أن تختلف الناس على أبى بكر » فهذا يرشد إلى أن المراد : الخلافة ، وأفرط المهلب فقال : فيه دليل قاطع فى خلافة أبى بكر . هكذا ورد فى فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ٢٠٦ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٢) وللإمام أبى العز الحنفى شرح لهذا الحديث يستنبط منه نتيجة عدا تلك التى استنتجها الإمام ابن حجر فى شرحه : فتح البارى ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ . (ارجع إلى شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٣٦) واستنباط أبى العز الحنفى يؤكد أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر رضى الله عنه .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٤) (قدم الصحبة لشرفها ، ولما كان غيره قد يشاركه فيها ، عطف على ما انفرد به أبو بكر وهو كونه (ثانى اثنين) وهى أعظم فضائله التى استحق بها أن يكون الخليفة بعد النبى ﷺ ولذلك قال : « وأنه أولى الناس بأموركم ، فقوموا فبايعوه » فيه إشارة إلى بيان سبب هذه المبايعة ، وأنه لأجل من لم يحضر فى سقيفة بنى ساعدة ، فتح البارى . جـ ١٣ ، ص ٢٠٩ . وهنا نسأل الأساتذة المشتغلين بالتاريخ ، هل رجعوا إلى هذا الخبر الصحيح ؟ إذن فأين التقاليد العربية القديمة فى اختيار أبى بكر ، كما زعم كتاب الحياة السياسية فى الدولة العربية ؟ ص ١٧ نقلا عن كتاب الخلفاء ، ص ٢٠ اين عادة القوم فى العصر الجاهلى فى اختيار شيخ القبيلة كما زعم كتاب غروب الخلافة الإسلامية ، ص ٥٠ ؟ واين النظام القبلى فى اختيار أبى بكر كما زعم =

فبايعوه ، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة ، وكانت بيعة العامة على المنبر . قال الزهرى : عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول لأبى بكر يومئذ : اصعد المنبر ، فلم يزل به حتى صعد المنبر ، فبايعه الناس عامة .

(ت) عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أتت النبى ﷺ امرأة فكلمته فى شيء فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : يا رسول الله ، أرأيت إن جئتَ ولم أجدكَ ، كأنها تريد الموت ، قال : إن لم تَجِدِينِى فأتى أبا بكر[1] .

ثانيا : الشروح :

وقد قام الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) فى كتابه : « فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى »[2]فأورد آيات وأحاديث وشروحا فيها مناقب أبى بكر الصديق وفضله ، ومنها :

(أ) « صحبة أبى بكر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وقد انفرد بهذه المنقبة حيث صاحب رسول الله ﷺ فى تلك السفرة ووقاه بنفسه ، وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه »[3] .

(ب) « قول رسول الله ﷺ الذى رواه الترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ : « ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ، ماخلا أبا بكر ، فإن له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة » . فإن ذلك يدل على ثبوت يد لغيره ، إلا أن لأبى بكر رجحانا »[4] .

- كتاب تاريخ الدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ؟ هل فى النظام القبلى كان فيه بيعة أهل الحل والعقد وبيعه جمهور المسلمين ؟ أى (البيعة العامة) ؟ هل كان فى النظام القبلى شريعة يلتزم به الحاكم والمحكوم ؟؟ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١ . وقد أورده الإمام البخارى من باب الاستدلال على ثبوت خلافة أبى بكر .

(٢) رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى ، وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب ، جـ ٧ ، دار المعرفة - بيروت ، ص ٣ - ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ١٣ .

(ج) « قول رسول الله ﷺ : « إن أعظم الناس علينا مَنًّا أبو بكر ، زوجنى ابنته ، وواسانى بنفسه ، وأن خير المسلمين مالاً أبو بكر ، أعتق منه بلالا ، وحملنى إلى دار الهجرة »[1] .

(د) « أنفق أبو بكر على النبى ﷺ أربعين ألف درهم » . « وأنه لما مات ما ترك دينارا ولا درهما »[2] .

(هـ) « أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر قال : « إنكم لتعلمون أنا كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان ، يعنى : الخلافة » . كذا فى أصل الحديث . ومن طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر « كنا نقول فى عهد رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان ، يعنى : الخلافة »[3] .

وعن طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر : « كنا نقول فى عهد رسول الله ﷺ : من يكون أولى الناس بهذا الأمر ؟ فنقول : أبو بكر ثم عمر » .

(و) نقل البيهقى فى الاعتقاد « بسنده إلى أبى ثور ، عن الشافعى أنه قال : أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على »[4] .

(ز) روى الطبرانى من حديث عصمة بن مالك قال : « قلنا : يا رسول الله ، إلى من ندفع صدقات أموالنا بعدك ؟ قال : إلى أبى بكر الصديق » ، وهذا لو ثبت كان أصرح فى حديث الباب من الإشارة إلى أنه الخليفة بعده » لكن إسناده ضعيف . وروى الإسماعيلى فى معجمه من حديث سهل بن أبى خيثمة ، قال : « بايع النبى ﷺ أعرابيا فسأله إن أتى عليه أجله من يقضيه ؟ فقال : أبو بكر ثم سأله من يقضيه بعده ؟ قال : عمر » الحديث . وأخرجه الطبرانى فى

---

(١) المصدر السابق (فتح البارى) ، ص ١٣ . أخرجه ابن عساكر من حديث مالك بن دينار ، عن أنس .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧ .

« الأوسط » من هذا الوجه مختصرا ... وفى الحديث أن مواعيد النبى ﷺ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها . وفيه رد على الشيعة فى زعمهم أنه نص على استخلاف على والعباس ..[1] .

(ح) « فضل أبى بكر على جميع الصحابة ، ص ٢٦ » .

(ط) حينما قال أبو بكر فى سقيفة بنى ساعدة : « نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وهذا الأمر بيننا وبينكم . قال : فبايع الناس ، وأولهم بشير بن سعد والد النعمان » . وعند أحمد من طريق أبى نضرة عن أبى سعيد « فقام فخطب خطيب الأنصار فقال : إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم قرنه برجل منا » . فتبايعوا على ذلك . فقام زيد بن ثابت ، فقال : « إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وإنما الإمام من المهاجرين ، فنحن أنصار الله ، كما كنا أنصار رسول الله . فقال أبو بكر : جزاكم الله خيرا . فبايعوه »[2] .

(ى) « فالمقطوع به بين أهل السنة بأفضلية أبى بكر ثم عمر ، ثم اختلفوا فيمن بعدهما : فالجمهور على تقديم عثمان ، وعن مالك : التوقف ، والمسألة اجتهادية ، ومستندها : أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه ، وإقامة دينه ، فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم فى الخلافة والله أعلم »[3] .

(ك) وفى شرح حديث عمر « إن استخلف » ، « وأن عمر أطلق على أبى بكر خليفة رسول الله ، بمعنى أنه أشار إلى ذلك بما تضمنه حديث الباب . وغيره من الأدلة ، وإن لم يكن فى شىء منها تصريح ، لكن مجموعها يؤخذ منه ذلك » .

ثم يضيف : « وكذا فيه رد على من زعم من الراوندية أن النبى ﷺ نص على العباس ، وعلى قول الروافض كلها : أنه نص[4] على على » . ووجه الرد

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢) المصدر السابق (فتح البارى ، جـ ١٣) ، ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٤) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ٢٠٨ .

عليهم إطباق الصحابة مبايعة أبى بكر ، ثم على طاعته فى مبايعة عمر ، ثم على العمل بعهد عمر فى الشورى ، ولم يدّع العباس ولا علىّ على أنه ﷺ عهد له بالخلافة وقال النووى وغيره : أجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف ، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان حيث لا يكون هناك استخلاف غيره ، وعلى جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين عدد محصور أو غيره ، وأجمعوا على أنه يجب نصب خليفة وعلى أن وجوبه ، بالشرع لا بالعقل .

المصدر الثانى :

أولا : النصوص :

كما أفرد الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى كتابا عن فضائل أصحاب النبى ﷺ ، ومنهم أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد اختصره الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى بن سلامة المنذرى الدمشقى[1] ، وحققه محمد ناصر الدين الألبانى ، هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على فضل أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، على سائر الصحابة بعد رسول الله ﷺ ، ويبدو منها أن رسول الله ﷺ – على قدر ما يبدو لنا – كما بدا للعلماء أمثال ابن تيمية ، والطحاوى وابن أبى العز الحنفى ، قد دلت الأمة على استخلاف أبى بكر من بعده ، وخاصة الحديث الذى وضعه الإمام مسلم تحت عنوان « باب استخلاف الصديق رضى الله عنه » .

وهذه هى مجموعة الأحاديث :

(أ) باب : « فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقوله ﷺ : ما ظنك باثنين الله ثالثهما » .

١٦٢١ – عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن فى الغار ، فقلت يا رسول

---

(١) بعنوان « مختصر صحيح مسلم » ط ٣ ، المكتب الإسلامى – دمشق ١٣٩٧ هـ .

الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه ، فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما »[1] .

(ب) باب : قوله ﷺ إن أمنّ عليّ فى صحبته وماله أبو بكر :

١٦٢٢ – عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : « عبد خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده » . فبكى أبو بكر وبكى ، وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر وكان أبو بكر أعلَمَنا[2] ، وقال رسول الله ﷺ : « إنّ أمنّ الناس عليّ فى ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا ، لأتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ، لا تبقينّ فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر » .

(جـ) باب : أحب الناس إلى النبى ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه :

١٦٢٣ – عن أبى عثمان قال : أخبرنى عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » ، قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر » فعد رجالا[3] .

(د) باب : اجتماع أعمال البر للصديق ودخوله الجنة :

٥٤٣ – عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائما ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ » قال أبو بكر : أنا . قال : « فمن عاد منكم اليوم مريضا ؟ » قال أبو بكر : أنا . فقال رسول الله ﷺ : « ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة »[4]

---

(١) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٤ ، حديث رقم ٢٣٨١ تحت عنوان « من فضائل أبى بكر الصديق » .

(٢) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٤ ، حديث رقم ٢٣٨٢ .

(٣) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٦ ، حديث رقم ٢٣٨٤ .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٧ ، حديث ١٠٢٨ .

(هـ) باب : فى قول النبى ﷺ : « فإنى أومن به أنا وأبو بكر وعمر » :

١٦٢٤ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا ، ولكنى إنما خلقت للحرث » . فقال الناس : سبحان الله تعجبا وفزعا : أبقرة تكلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « فإنى أومن به أنا وأبو بكر وعمر » . قال أبو هريرة : فقال رسول الله ﷺ : « بينما راع فى غنمه عدا عليه الذئب ، فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعى ، حتى استنقذها منه ، فالتفت إليه الذئب فقال له : من لها يوم السبع ؟ يوم ليس لها راع غيرى » . فقال الناس : سبحان الله ، فقال رسول الله ﷺ : « فإنى أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر »[1] .

(و) باب : مرافقة الصديق والفاروق النبى ﷺ .

١٦٢٥ – عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه ، قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، قال : فلم يرعنى إلا برجل قد أخذ بمنكبى من ورائى ، فالتفت إليه فإذا هو علىّ رضى الله عنه ، فترحم على عمر وقال : ما خلّف أحدا أحب إلىّ أن ألقى الله بمثل عمله منك[2] ، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك أنى كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول : « جئت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما » .

(ى) باب : استخلاف الصديق رضى الله عنه .

١٦٢٦ – عن أبى مليكة قال :سمعت عائشة رضى الله عنها ، وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلفه ؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها : ثم من بعد أبى بكر ؟ قالت : عمر ، ثم قيل لها : من بعد عمر ؟؟ قالت : أبو عبيدة بن

---

(١) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، حديث ٢٣٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ ، حديث ٢٣٨٩ .

الجراح . ثم انتهت إلى هذا[1] .

(ك) ١٦٢٧ – عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئا ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : يا رسول الله ، أرأيتَ إن جئت فلم أجدكَ . قال أبى : كأنها تعنى الموت . قال : « فإن لم تجدينى فأتى أبا بكر »[2] .

(ل) ١٦٢٨ – عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر أباك ، حتى أكتب كتابا ، فإنِّى أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »[3] .

(م) « كتاب الإمارة – باب الناس تبع لقريش ، والخلافة فى قريش » .

(١٨١٨) حدثنا عبد الله بن مسلمة بنِ قَعْنَبٍ وقتيبة بن سعيد قالا : حدثنا المغيرة « يعنيان الحزَّمِىَّ » وحدثنا زهير بن حرب وعمرو الناقدُ قالا : حدثنا سفيان بن عيينة كلاهما عن أبى الزِّناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ وفى حديث زهير يَبلُغُ به النبى ﷺ وقال عمرو روايةً : « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم ، وكافرهم لكافرهم »[4] .

ثانيا : الشروح :

(أ) وقد علق الإمام النووى على حديث رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ، معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد ، وهو داخل فى قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون ﴾[5] . وفيه بيان عظيم توكل النبى ﷺ حتى فى هذا المقام ، وفيه فضيلة لأبى بكر رضى الله عنه ، وهى من أجل مناقبه ، والفضيلة من أوجه منها هذا

---

(١) صحيح مسلم ، جـ ٤ ، ص ١٨٥٦ ، حديث رقم ٢٣٨٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ ، حديث رقم ٢٣٨٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٨٥٧ ، حديث رقم ٢٣٨٧ .
(٤) صحيح مسلم ، جـ ٣ ، ص ١٤٥١ .
(٥) النحل ١٢٨ .

اللفظ ومنها بذله نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته فى طاعة الله تعالى ورسوله ، وملازمته النبى ﷺ ، ومعاداة الناس فيه ، ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك[1] .

(ب) كما شرح حديث رسول الله ﷺ : « أدعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابا ، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ، ويقول قائل أنا ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » .

قال النووى : هكذا هو فى بعض النسخ المعتمدة « أنا ولا » بتخفيف أنا ولا ، أى يقول أنا أحق وليس كما يقول بل يأبى الله والمؤمنون إلا أبى بكر . وفى بعضها « أنا أولى » ، أى أنا أحق بالخلافة . قال القاضى : هذه أجودها . ورواه بعضهم « أنا ولِىّ » بتخفيف النون وكسر اللام ، أى أنا أحق ، والخلافة لِى . وعن بعضهم « أنا ولَّاه » أى أنا الذى ولاه النبى ﷺ ، وبعضهم « أنَّى ولاه » بتشديد النون ، أى كيف ولاه . وفى دلالة ظاهرة لفضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه وإخبار منه ﷺ بما سيقع فى المستقبل بعد وفاته ، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره .

وأما طلبه لأخيها مع أبى بكر ، فالمراد أنه يكتب الكتاب . ووقع فى رواية البخارى « لقد هممت أن أوجه إلى أبى بكر وابنه ، وأعهد – ولبعض رواة البخارى – وآتيه – بألف ممدودة ومثناة فوق ، ومثناة تحت – من الإتيان . قال القاضى : وصوبه بعضهم وليس كما صوب ، بل الصواب أنه بالباء الموحدة والنون ، وهو أخو عائشة وتوضحه رواية مسلم أخاك . ولأن إتيان النبى ﷺ كان متعذرا أو مقصرا وقد عجز عن حضور الجماعة ، واستخلف الصديق ليصلى بالناس[2] .

(ج) وقد شرح الإمام النووى حديث :

« الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم ، وكافرهم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٥ ، ص ١٤٩ – ١٥٨ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ١٥ ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

لكافرهم » . وفى رواية : « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » . وفى رواية : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » . هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش ، لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الإجماع فى زمن الصحابة ، فكذلك بعدهم . ومن خالف فيه من أهل البدع أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين ، فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة . قال القاضى : اشتراط كونه قرشيا هو مذهب العلماء كافة ، قال : وقد احتج به أبو بكر وعمر رضى الله عنهم على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد . قال القاضى : وقد عدها العلماء فى مسائل الإجماع . ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا[1] .

(د) كما شرحه الإمام ابن حجر العسقلانى بقوله :

أما فيما يتصل بشرط توفر القرشية فى خليفة المسلمين ، فهو يعتمد على أحاديث واردة فى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ : « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله فى النار على وجهه ما أقاموا الدين »[2] . « لا يزال الأمر فى قريش ما بقى منهما اثنان »[3] . وقولة أبى بكر الصديق فى سقيفة بنى ساعدة : « وأن هذا الأمر فى قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره »[4] .

وأورد ابن حجر رأيا للقرطبى : « هذا الحديث خبر عن المشروعية ، أى لا تنعقد الإمامة الكبرى إلا لقرشى مهما وجد منهم أحد »[5] ، وكأنه جنح إلى أنه خبر بمعنى الأمر ، ورأيا آخر : بأن جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١١ ، ط ١ ، ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ . الأحكام السلطانية للقاضى الماوردى ، ص ٥ .

(٢) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ١١٣ ، حديث ٧١٣٩ (حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية - وهم عنده وفد من قريش ... الخ ، الحديث) .

(٣) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ١١٤ ، حديث ٧١٤٠ .

(٤) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ١١٦ .

(٥) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ١١٨ .

قرشيا[١] ، ورأيا ثالثا : « وقال عياض : اشتراط كون الإمام قرشيا مذهب العلماء كافة وقد عدوها فى مسائل الإجماع »[٢]

تعليق : وبعد :

لا ندرى ماذا سيفعل الدكتور الخربوطلى حينما يقرأ هذه الأحاديث وشروحها ، هل سيصر على بطلانها أم سيرجع إلى الحق ؟؟!! وهل سيسحب اعتراضه على رسول الله ﷺ حينما زعم الدكتور بأنه كان الأولى برسول الله أن يلقيه إلى الأنصار ، وحينما زعم أن أبا بكر لم يستشهد به ؟؟!! .

(هـ) كما أفرد الإمام النووى فى كتاب تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ترجمة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، (ص ١٨١ - ١٩١) . وقال فى نهايتها (ص ١٩١) :

« أجمعت الأمة على صحة خلافته (أبى بكر الصديق رضى الله عنه) وقدمته الصحابة رضى الله عنهم لكونه أفضلهم وأحقهم بها من غيره ، وحديث بيعته مشهور فى الصحيحين معروف »[٣] .

تعليق :

ولا شك أن إدراك الصحابة لأفضلية الصديق وأحقيته بالخلافة جاء نتيجة أمور شاهدوها أو عاينوها وسمعوها من رسول الله ﷺ أو من أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

(و) وقال الإمام النووى :

« استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله رضى الله عنه فى الحديث الثابت فى الصحيحين أنه قال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله

---

(١) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ١١٨ .
(٢) فتح البارى ، جـ ١٣ ، ص ١١٩ .
(٣) أى أن أبا بكر لم يغتصب حقًا كان للآخرين ، كما زعم بعض كتاب التاريخ من المحدثين .

لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه »[1] واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره فى طبقاته على أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعلم الصحابة ، لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكمة فى المسألة إلا هو ، ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه . وروينا عن ابن عمر أنه سئل من كان يفتى الناس فى زمن رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، ما أعلم غيرهما . وقد سبق قريبا حديث أبى سعيد فى الصحيحين ، قال : وكان أبو بكر أعلمنا .

(ز) « وروينا عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان لأبى بكر الصديق غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشىء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدرى ما هذا ؟ قال أبو بكر : وما هو قال : كنت تكهنت فى الجاهلية ، وما أحسن الكهانة ، إلا أنى خدعته فلقينى فأعطانى لذلك هذا الذى أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه . رواه البخارى . والخراج شىء يجعله السيد على عبده يؤديه إلى السيد كل يوم وباقى كسبه يكون للعبد »[2] .

تعليق :

وفى هذا دليل على ورع أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى كان حريصا على ألا يدخل بطنه شىء من حرام ؛ لأنه وعى توجيه رسول الله ﷺ : كل ما نبت من سحت فالنار به أولى ، والتوجيه الآخر الذى يعنى : أن الرجل لينزل فى بطنه اللقمة من حرام لا يستجاب له دعاء أربعين ليلة . وتوجيه ثالث : إن

---

(١) جزء حديث رواه البخارى فى صحيحه فى باب وجوب الزكاة ، ٢/١٣١ ، وفى المرتدين باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوه إلى الردة . ٩/١٩ ، ٢٠ . عن أبى هريرة بلفظ « ...عناقا ... » . وفى الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩٠/١١٥ ، ١١٦ . عن أبى هريرة بلفظ « ... عقالا ... » . ومسلم فى الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ١/٥١ ، ٥٢ . رقم (٢٠) . وأبو داود فى الزكاة ، ٢/١٩٨ . رقم (١٥٥٦) . والترمذى فى الإيمان . والنسائى ، وأحمد فى المسند ١/١٩ ، ٣٦ ، ٤٨ وبمعناه فى ١/١١ . ٢/٤٢٣ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ .

الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ملبسه حرام ومطعمه حرام ، ومشربه حرام يقول يارب يارب فأنى يستجاب له .

وهكذا يجب أن يكون المسلم فى كل زمان ومكان .

فهل مثل هذا الصحابى الجليل حريص على اغتصاب حق ليس له . وهو خلافة أمر المسلمين . لقد كان الصديق رضى الله عنه أتقى لله وأورع من أن يأخذ شيئاً ليس له .

المصدر الثالث :

أورد الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، فى كتابه : فضائل الصحابة (تحقيق وصى الله بن محمد عباس)[(١)] أحاديث تشهد كلها بفضل صحابة رسول الله ، وفضل أبى بكر الصديق على غيره من الصحابة ، مع ذكر مناقبه .

من هذه الأحاديث :

(أ) « حدثنا عبد الله قال حدثنى أبى حدثنا وكيع حدثنا جعفر يعنى ابن برقان عن ميمون بن مهران ، قال : ثلاث ارفضوهن ، سب أصحاب محمد ﷺ ، والنظر فى النجوم والنظر فى القدر »[(٢)] .

(ب) « حدثنا الحسن بن الطيب البلخى قثنا جعفر بن حميد القرشى قثنا يونس بن أبى يعفور عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه ، قال : سمعت عليا يهتف على أعوادكم هذه يقول : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبى الله ﷺ **قال أبو بكر والثانى عمر ولو شئت لسميت الثالث رضى الله عنهم أجمعين** [(٣)] .

(جـ) « حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال : حدثنى أبى قثنا

---

(١) الجزء الأول ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣ هـ .
(٢) إسناده صحيح ، ص ٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

عبد الصمد بن الوارث ثنا عبد الملك بن عمير عن أبى بردة عن أبيه قال : مرض رسول الله ﷺ فقال : مروا أبا بكر يصلى بالناس ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل رقيق فقال : مروا أبا بكر يصلى بالناس ، فإنكن صويحبات يوسف . فأم أبو بكر الناس ورسول الله ﷺ حى »[1] .

(د) « حدثنا عبد الله ثنا أحمد بن محمد بن أيوب ثنا أبو بكر – يعنى ابن عياش – عن عمرو بن ميمون عن أبيه أن عمر قال لأبى بكر : أمدد يدك نبايعك . قال : علام تبايعونى ؟ فوالله ما أنا بأتقاكم ، ولا أقواكم ، أتقانا سالم – يعنى : مولى أبى حذيفة ، وأقوانا عمر . قال : أمدد يدك : ﴿ إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ﴾[2] . قال : فبايعوه ، وجعلوا له ألفى درهم . قال : زيدونى إنكم قد منعتمونى من التجارة ، ولى عيال . فزادوه خمس مائة درهم ، وجعلوا له شاة كل يوم يطعمها المسلمين . فقال طيبوا لأهلى رأسها وأكارعها ، ففعلوا »[3] .

تعليق :

قمة الأمانة والتواضع والخشية لله عز وجل ، ليس إلا هى التى تنشىء هذه المشاعر التى تأبى أن تأخذ من بيت مال المسلمين إلا بإذن المسلمين وعلى قدر الحاجة فقط . فهل مثل هذا الصحابى كان يتآمر من أجل الوصول إلى منصب الخلافة ؟؟ كما زعم أبناء اليهودية والصليبية ومن سار على نهجهم .

(هـ) « حدثنا عبد الله قال حدثنى أبى حدثنا حسين بن على ومعاوية بن عمرو قالا : نا زائدة قال : أنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير . فأتى عمر فقال : يا معشر

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

(٢) سورة التوبة : ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٢ . كما أورد الإمام أحمد فى المسند أحاديث عن رسول الله ﷺ ، رقم ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٧١ ، ٨٧٨ ، ٨٨٠ ، ٩٠٨ ؛ وكلها تؤكد أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضى الله عنه .

الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ قالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر »(١) .

تعليق :

هذه هى مدرسة الإسلام ، هؤلاء هم نتاج تربية الرسول الكريم ، إنه الاعتراف بالفضل لصاحبه « نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر » .

(و) « حدثنا عبد الله قثنا محمد بن الصباح البزاز حدثنا إسماعيل بن زكريا وهو الخلقانى عن سالم الأنعمى عن أبى العلاء حدثنا عمرو بن هرم الأزدى عن ربعى بن خراش وعن أبى عبد الله أنهما سمعا حذيفة يقول : قال رسول الله ﷺ : « أنى لست أدرى ما بقائى فيكم فاقتدوا بالذين بعدى – يعنى : أبا بكر وعمر – وهدى عمار وعهد أم عبد »(٢) .

(ز) « حدثنا عبد الله قال حدثنى أبى قثنا مؤمل قثنا نافع بن عمر قثنا ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : لما كان وجع رسول الله ﷺ الذى قبض فيه فقال :

« ادعوا لى أبا بكر وابنه فليكتب لكيلا يطمع فى أمر أبى بكر طامع ، ولا يتمنى متمن ثم قال : أبى الله ذلك والمسلمون » وقال : مؤمل مرة : والمؤمنون ، قالت عائشة : فأبى الله والمسلمون ، وقال مرة : والمؤمنون إلا أن يكون أبى ، فكان أبى رحمه الله »(٣) .

(ح) « حدثنا عبد الله قال : حدثنى زكريا بن يحيى بن صبيح زحمويه قثنا سنان – يعنى : ابن هارون البرجمى – عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال : والله لنزلت خلافة أبى بكر من السماء »(٤)

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٩٠ – ١٩١ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(ط) « حدثنا عبد الله قال : حدثنى أبى قثنا أبو معاوية قال : نا عبد الرحمن بن أبى بكر القرشى عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبى بكر : ائتنى بكتف أو لوح حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال : أبى الله والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر »[1] .

(ى) حدثنا عبد الله قال : حدثنى أبو معمر قثنا أبو داود الحفرى عن بدر بن عثمان عن عبد الله بن مروان قال : حدثنى أبو عائشة – وكان امرأ صدق – عن عبد الله بن عمر ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال :

« إنى رأيت آنفا كأنى أتيت بالمقاليد والموازين ، فأما المقاليد فهى المفاتيح ، وأما الموازين فهى موازينكم هذه ، فرأيت كأنى وضعت فى كفة الميزان ، ووضعت أمتى فى كفة فرجحت بهم ، ثم وضع أبو بكر ، ووضعت أمتى فرجح بهم ثم وضع عمر ، ووضعت أمتى فرجح الميزان بهم ، ثم وضع عثمان ، ووضعت أمتى ، فرجع الميزان ، ثم رفع »[2] .

تعليق :

هذا هو ميزان الله عز وجل : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[3] . فهل كان من المتصور أن يقدم على إمامة المسلمين مفضول وهناك إمام فاضل .

المصدر الرابع :

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق على محمد البجاوى ، مكتبة نهضة مصر ، جـ ٣ ، ص ٩٦٣ ومابعدها .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .
(٣) الحجرات ١٣ .

وفى هذا يؤكد ابن عبد البر ، أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر الصديق على أمته . فيقول بالحرف الواحد :

(أ) « واستخلفه رسول الله ﷺ على (أمته) من بعده بما أظهر من الدلائل البينة على محبته فى ذلك ، وبالتعريض الذى يقوم مقام التصريح ، ولم يصرح بذلك لأنه لم يؤمر فيه بشيء وكان لا يصنع شيئا فى دين الله إلا بوحى ، والخلافة ركن من أركان الدين ، ومن الدلائل الواضحة على ما قلنا ما حدثنا سعيد بن نصر ، وعبد الوارث بن سفيان ، قالا : حدثنا أصبغ ، حدثنا أحمد بن زهير ، حدثنا منصور بن سلمة الخزاعى ، وأخبرنا أحمد بن عبد الله ، حدثنا الميمون بن حمزة الحسينى بمصر ، وحدثنا الطحاوى ، وحدثنا المزنى ، حدثنا الشافعى ، قال : أنبأنا إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : أتت امرأة[1] إلى رسول الله ﷺ فسألته عن شيء ، فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت : يا رسول الله ، أرأيت إن جئت فلم أجدك ، تعنى : الموت . فقال لها رسول الله ﷺ : إن لم تجدينى فأتى أبا بكر[2] . قال الشافعى : فى هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر » .

(ب) « وروى ابن شهاب الزهرى ، عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه ، عن عبد الله بن هشام عن أبيه عن عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : كنت عند رسول الله ﷺ وهو عليل ، فدعاه بلال إلى الصلاة فقال لنا : مروا من يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس ، وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم يا عمر ، فصلى بالناس ، فقام عمر ، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان مجهرا ، فقال رسول الله ﷺ : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فبعث إلى أبى بكر ، فجاءه بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس طول علته حتى قبض رسول الله ﷺ . وهذا أيضا واضح فى ذلك »[3] .

---

(١) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ ٣ ، ص ٩٦٦ .

(٢) صحيح أبى عبد الله البخارى ، جـ ٥ ، ص ٥ .

(٣) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، جـ ٣ ، ص ٩٦٩ - ٩٧٠ ، رواه الإمام أحمد .

وأورد ابن عبد البر أحاديث أخرى يؤكد بها استخلاف أبى بكر منها : « اقتدوا بالذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر ، واهتدوا بهدى عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد »[١] .

وقول عمر بن الخطاب للأنصار رضى الله عنهم : « أنشدتكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلى بالناس ؟؟ قالوا : اللهم نعم . قال : فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ ؟؟ فقالوا : كلنا لا تطيب نفسه ، ونستغفر الله »[٢] .

وقول على رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ مرض ليالى وأياما ينادى بالصلاة ، فيقول : مروا أبا بكر يصلى بالناس ، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام ، وقوام الدين ، فرضينا لدنيانا من رضى رسول الله ﷺ لديننا ، فبايعنا أبا بكر »[٣] .

وروى ابن عبد البر : روى إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله بن مسعود : اجعلوا إمامكم خيركم ، فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا من بعده[٤] .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧٠ ؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الثالث ، حديث رقم ١٢٣٣ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٦ رواه أهل السنن .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٧١ ؛ رواه الإمام أحمد والنسائى .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧١ .

(٤) يقول ابن عبد البر : « واختلف فى السبب الذى مات منه . وروى عن سلام بن أبى مطيع : أنه سم ، والله أعلم » الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٩٧٧ . فإذا صح ذلك ، فإن أبا بكر يكون قد حاز إلى فضله فضلا آخر . وهو الشهادة فى سبيل الله ، ويشير أيضاً إلى أن التآمر على الدولة الإسلامية وأئمتها بدأ منذ زمن بعيد ، ولعل ذلك من فعل يهود وأعوانهم ، ولا عجب فى ذلك فلهم (يهود خيبر) سابقة فى دس السم لرسول الله ﷺ فى الطعام ، وهم الذين قتلوا عثمان رضى الله عنه وهم الذين أشاعوا الفتن فى صحابة رسول الله ﷺ رضى الله عنهم (البداية والنهاية ، جـ ٤ ، ص ٢٠٨ - ٢١٤) .

المصدر الخامس :

البداية والنهاية ، تأليف الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) ، مكتبة المعارف بيروت ، جـ ٥ ، ص ٢٥٠ .

أفرد الإمام الحافظ ابن كثير أبوابا عديدة لبحث قضية استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ، وأورد كلاما طيبا ، يدحض كل المزاعم والشبهات التى رددتها كتب المعاصرين من أهل التاريخ سواء المستشرقين أو من سار على نهجهم من أبناء العرب والمسلمين فى هذه المسألة .

وقد صدر الإمام أبو الفداء أحد أبحاثه بكلمة طيبة :

(وأما أهل السنة فليس لهم مذهب إلا اتباع الحق ، يدورون معه كيفما دار ، وهذا الذى كان يريده عليه الصلاة والسلام أن يكتبه قد جاء فى الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه . فإنه قد قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل ، حدثنا نافع عن ابن عمرو حدثنا ابن أبى مليكة عن عائشة ، قالت : لما كان وجع رسول الله ﷺ الذى قبض فيه قال : « ادعو لى أبا بكر وابنه لكى لا يطمع فى أمر أبى بكر طامع ، ولا يتمناه متمن ثم قال : يأبى الله ذلك والمؤمنون » ، مرتين[١] .

كما أورد الإمام الحافظ أحاديث كثيرة حول استخلاف أبى بكر الصديق ، منها ما هو وارد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم . كما أورد ابن كثير الخطبة التى خطبها رسول الله ﷺ يوم الخميس قبل أن يقبض عليه السلام بخمسة أيام ، بيّن فيها فضل الصديق[٢] من سائر الصحابة مع ما كان قد نص عليه أن يؤم الصحابة أجمعين كما سيأتى بيانه مع حضورهم كلهم . ولعل خطبته هذه كانت عوضا عما أراد أن يكتبه فى الكتاب) .

ومن الأبواب التى أفردها الإمام الحافظ ابن كثير : « ذكر أمره عليه

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

السلام أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يصلى بالصحابة أجمعين »[1] . وبعد أن أورد الأحاديث العديدة فى هذا الباب قال : (والمقصود أن رسول الله ﷺ قدّم أبا بكر الصديق إماما للصحابة كلهم فى الصلاة التى هى أكبر أركان الإسلام العملية ... قال الشيخ أبو الحسن الأشعرى : وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام . قال : وتقديمه له دليل على أنه أعلم الصحابة ، وأقرؤهم لما ثبت فى الخبر المتفق على صحته[2] . بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا فى السنة سواء فأكبرهم سنا ، فإن كانوا فى السن سواء فأقدمهم إسلاماً » . قلت : وهذا مع كلام الأشعرى رحمه الله مما ينبغى أن يكتب بماء الذهب . ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها فى الصديق رضى الله عنه وأرضاه[3] .

وقد أفرد الإمام الحافظ بابا : « فى ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه :

ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام لما مات كان الصديق – رضى الله عنه – قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح وكان إذ ذاك قد أفاق رسول الله ﷺ إفاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع وكشف ستر الحجرة ، ونظر إلى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر فأعجبه ذلك ، وتبسم صلوات الله وسلامه عليه حتى همّ المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف ، فأشار إليهم أن يمكثوا كما هم ، وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به عليه الصلاة والسلام » .... إلى آخر ما أورده ابن كثير[4] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٣) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٥٩ وما بعدها ، ص ٤٦٧ .

(٤) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٤ .

ثم انتقل بالحديث عن قصة سقيفة بنى ساعدة[1] واعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة[2] ، مما يؤكد أن بيعة الصديق - رضى الله عنه - لم تستغرق سوى لقاء واحدا ، لا يمكن على أقصى تقدير أن يستغرق أكثر من ساعتين أو ثلاثة ، وفى هذا اللقاء تم حسم الأمر ، واجتمع المهاجرون والأنصار على بيعة أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه[3] .

وفى فصل آخر يقول الإمام الحافظ : « ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له إجماع الصحابة المهاجرين والأنصار على تقديم أبى بكر ، وظهر برهان قوله عليه السلام : « يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس ، لا لأبى بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة ، ولا لعلى كما يقول طائفة من الرافضة . ولكن أشار إشارة قوية يفهمها كل ذى لب وعقل إلى الصديق كما قدمنا »[4] .

وهذه الكلمة الأخيرة التي أوردها الإمام الحافظ توافق ما ذهب إليه ابن تيمية من استخلاف رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق رضى الله عنه كما شرحناه .

كما أورد الإمام الحافظ ابن كثير **ما يؤكد بيعة الزبير بن العوام لأبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال :**

عن أبى سعيد الخدرى قال : « قبض رسول الله ﷺ ، واجتمع الناس فى دار سعد بن عبادة ، وفيهم أبو بكر وعمر » .

قال : فقام خطيب الأنصار فقال : أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله ، ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) ذكر ابن كثير أن رسول الله ﷺ توفى يوم الاثنين وذلك ضحى ، فاشتغل الناس ببيعة أبى بكر الصديق فى سقيفة بنى ساعدة ثم فى المسجد البيعة العامة ، فى بقية يوم الاثنين وصبيحة الثلاثاء . (البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٠١) .

(٤) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ . السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩٦ .

قال : فقام عمر بن الخطاب فقال : صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم نتابعكم . وأخذ بيد أبى بكر . وقال : هذا صاحبكم فبايعوه ، فبايعه عمر ، وبايعه المهاجرون والأنصار .

قال : فصعد أبو بكر المنبر ، فنظر فى وجوه القوم ، فلم يرى الزبير . قال : فدعا بالزبير فجاء ، فقال : قلت ابن عمة الرسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ ، فقام فبايعه[1] .

كما أورد الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير العديد من الأحاديث الصحيحة التى خلص فى نهايتها إلى القول :

« وفيه فائدة جليلة » ، **وهى مبايعة على بن أبى طالب ، أما فى أول يوم أو فى اليوم الثانى من الوفاة** . وهذا حق ، فإن على بن أبى طالب لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقات ولم ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه »[2] .... كما سنذكره ، وخرج معه إلى ذى القصة لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة ، كما سنبينه قريبا .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ . السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ ، ٢٨٦ . السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ – ٤٩٥ .
وقد زعم الدكتور عبد العزيز السيد سالم فى كتابه « تاريخ الدولة العربية » ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ : أن المؤرخين العرب قد أجمعوا على أن عليا رضى الله عنه قد امتنع عن بيعة أبى بكر الصديق مدة ستة أشهر ، وذكر المؤلف أن هذا الخبر قد استقاه من عدة مصادر ، ذكر منها كتاب « البداية والنهاية لابن كثير ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ .

وبالرجوع إلى البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، لم نجد أصلا لهذا الذى ذكره الدكتور عبد العزيز سالم ، ولكن على العكس مما ذكره ، فقد ورد فى البداية والنهاية ما يؤكد أن « هذه البيعة التى وقعت من على رضى الله عنه ، بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها ، بيعة مؤكدة للصلح الذى وقع بينهما ، وهى ثانية للبيعة التى ذكرناها يوم السقيفة كما رواه ابن خزيمة وصححه مسلم بن الحجاج ، ولم يكن على مجانبا لأبى بكر هذه الستة أشهر ، بل كان يصلى وراءه ، ويحضر عنده للمشورة ، وركب معه إلى ذى القصة . وفى صحيح البخارى أن أبا بكر رضى الله عنه صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن على يلعب مع الغلمان ، فاحتمله على كاهله وجعل يقول : بأبى شبه النبى ، ليس شبيها بعلى . وعلى يضحك . ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها فنفى ذلك ، والمثبت مقدم على النافى كما تقدم ، وكما تقرر والله أعلم » .

وعرض الإمام الحافظ ابن كثير مسألة فاطمة رضى الله عنها :

ولكن لمّا حصل من فاطمة رضى الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضى الله عنه ، أنه قال : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة »[1] ، فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه عن الميراث بهذا النص الصريح ، كما سنبين ذلك فى موضعه . فسألته أن ينظر على فى صدقة الأرض التى بخيبر وفدك فلم يجبها إلى ذلك . لأنه رأى أن حقا عليه أن يقوم فى جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ . وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضى الله عنه ، فحصل لها – وهى امرأة من البشر ليست بواجبة العصمة – عتب ، وغضبت ، ولم تكلم الصديق حتى ماتت »[2] . واحتاج على أنه يراعى خاطرها بعض الشىء ، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى على أن يجدد البيعة مع أبى بكر رضى الله عنه كما سنذكر من الصحيحين وغيرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى . مع ما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ . ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة فى مغازيه عن سعد بن إبراهيم ، حدثنى أبى أن أباه عبدالرحمن بن عوف كان مع عمر ، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير . ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس . وقال : ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتها فى سر ولا علانية . فقبل المهاجرون مقالته . وقال على والزبير : ما غضبنا إلا لأنا أخِّرْنَا عن المشورة ، وإنَّا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها ، إنَّه لصاحب الغار ، وإنَّا

---

(١) جزء حديث رواه البخارى فى فرض الخمس ٤ /٩٦ . وفى فضائل أصحاب النبى ﷺ باب : مناقب قرابة رسول الله ﷺ ... ٥/ ٢٥ . وفى النفقات باب : حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال ٧ /٨٢ . وفى الفرائض باب : قول النبى ﷺ : « لا نورث ما تركنا صدقة . ٨/ ١٨٥ . وفى الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين والبدع ... ٩ /١٢٢ .

ومسلم فى الجهاد والسير باب : قول النبى ﷺ : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . ٣/ ١٣٧٩ – ١٣٨٣ رقم (١٧٥٨ – ١٧٦١) . والنسائى وأحمد فى المسند ١ /٦ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

لنعرف شرفه وخيره . ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلى بالناس وهو حى[1] ، إسناد جيد ، ولله الحمد والمنة » .

وقد أفرد الإمام الحافظ بن كثير بابا فى موضع آخر من البداية والنهاية[2] : « بيان أنه عليه السلام قال : لا نورث » ، أورد فيه أحاديث لرسول الله ﷺ منها ما رواه أحمد : قال رسول الله ﷺ : « لا يَقْتَسِمُ ورثتى دينارا ولا درهما ، ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة »[3] . ومنها ما رواه البخارى تحت باب : « قول رسول الله ﷺ : لا نورث ما تركناه صدقة » روى فيه عن عائشة رضى الله عنها : « أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر . فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول ﷺ ﷺ يقول : « لا نورِّثْ ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال » . قال أبو بكر : والله لا أدع أمراً رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته ، قال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت »[4] .

« وأما تغضب فاطمة رضى الله عنها وأرضاها على أبى بكر رضى الله عنه ، فما أدرى ما وجهه ، فإن كان لمنعه إيَّاها ما سألته من الميراث ، فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله ، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » . وهى ممن تنقاد لنص الشارع الذى خفى عليها قبل سؤالها الميراث ما خفى على أزواج النبى ﷺ حتى أخبرتهن عائشة بذلك ، ووافقنها

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣٠٢ .

(٢) جـ ٥ ، ص ٢٨٥ .

(٣) أحمد فى المسند ٢/٢٤٢ ، ٣٧٦ ، ٤٦٤ .

والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الوصايا باب نفقة القيم للوقف ٤/١٥ . وفى فرض الخمس باب نفقة نساء النبى ﷺ بعد وفاته . ٤/٩٩ . وفى الفرائض باب قول النبى ﷺ : (لا نورث ما تركناه صدقة . ٨/١٨٦ . ومسلم فى الجهاد والسير باب قول النبى ﷺ : لا نورث ما تركناه فهو صدقة . ٣/١٣٨٢ رقم (١٧٦٠) .

(٤) صحيح البخارى كتاب الفرائض باب قول النبى ﷺ : « لا نورث ما تركناه صدقة » ٨/١٨٥ .

عليه ، وليس يظن بفاطمة رضى الله عنها أنها اتهمت الصديق رضى الله عنه فيما أخبرها به ، حاشاها وحاشاه من ذلك ، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والعباس بن عبدالمطلب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ، وعائشة رضى الله عنهم أجمعين . ولو تفرد بروايته الصديق رضى الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك . وإذا كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذ كانت هذه الأراضى صدقة لا ميراثا أن يكون زوجها ينظر فيها ، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ ، ويلى ما كان رسول الله يليه ، ولهذا قال : وإنى والله لا أدع أمرا كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته ، قال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت » .

وهذا الهجران والحالة هذه فتح على فرقة الرافضة شرا عريضا ، وجهلا طويلا ، وأدخلوا أنفسهم بسببه فيما لا يعنيهم ، ولو تفهموا الأمور على ما هى عليه لعرفوا للصديق فضله ، وقبلوا منه عذره الذى يجب على كل أحد قبوله ، ولكنهم طائفة مخذولة ، وفرقة مرذولة ، يتمسكون بالمتشابه ، ويتركون الأمور المحكمة المقدرة عند أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين »(١) .

وناقش الحافظ ابن كثير الزعم القائل بأن رسول الله ﷺ قد نص على علىّ رضى الله عنه « خليفة من بعده » ، فى ضوء الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ ووصل إلى الرأى التالى :

« هذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن علىّ رضى الله عنه يردّ على فرقة الرافضة فى زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما ردّ ذلك أحد من الصحابة ، فإنّهم كانوا أطوعَ لله ورسوله فى

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩٥ .

حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه ، فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا ولم ؟ .. » .

ومن ظن بالصحابة - رضوان الله عليهم - ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور ، والتواطؤ على معاندة رسول الله ﷺ ومضادته فى حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام بإجماع الأئمة الأعلام ، وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام .

ثم لو كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه نصّ ، فلم لا كان يحتج به على الصحابة على إثبات إمارته عليهم وإمامته لهم ؟

فإن لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للإمارة ، وإن كان يقدر ولم يفعله فهو خائن ، والخائن الفاسق مسلوب معزول عن الإمارة ، وإن لم يعلم بوجود النص فهو جاهل ، ثم وقد عرفه وعلمه من بعده ؟؟ هذا محال وافتراء وجهل وضلال ، وإنما يحسن هذا فى أذهان الجهلة الطغاة والمفترين من الأنام ، يزينه لهم الشيطان بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد التحكم والهذيان والإفك والبهتان »[1] .

المصدر السادس :

منهاج السنة فى نقض كلام الشيعة والقدريه تصنيف شيخ الإسلام أبى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية الحرانى ، الدمشقى الحنبلى المتوفى سنة ٨٢٧ م ، ج ١ ، مطبعة بولاق ، القاهرة ١٣٢١ هـ ، ص ١٣٤ - ١٤٢ .

« وأما قوله عن أهل السنة أنهم يقولون أن النبى صلى الله ﷺ لم ينص على إمامة أحد وأنه مات عن غير وصية ، فالجواب أن يقال ليس هذا قول

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ . وهو حديث قال فيه على رضى الله عنه : من زعم أن عندنا شيئا نقرأه ليس فى كتاب الله وهذه الصحيفة - لصحيفة معلقة فى سيفه ، فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات - فقد كذب .... إلخ . الحديث . وهو فى الصحيحين ، من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه . البداية والنهاية ، جـ ٥ ، ص ٢٥٢ .

جميعهم بل قد ذهبت طوائف من أهل السنة إلى أن إمامة أبى بكر ثبتت بالنص والنزاع فى ذلك معروف فى مذهب أحمد وغيره من الأئمة . وقد ذكر القاضى أبو يعلى وغيره فى ذلك روايتين عن الإمام أحمد ، إحداهما أنها ثبتت بالاختيار . قال وبهذا قال جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية وهذا اختيار القاضى أبى يعلى وغيره ، والثانية أنها ثبتت بالنص الخفى والإشارة قال وبهذا قال الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث وبكر ابن أخت عبدالواحد والبيهسية من الخوارج . وقال شيخه أبو عبدالله بن حامد فأما الدليل على استحقاق أبى بكر الخلافة دون غيره من أهل البيت والصحابه فمن كتاب الله وسنة نبيه ، قال وقد اختلف أصحابنا فى الخلافة هل أخذت من حيث النص أو الاستدلال ، فذهب طائفة من أصحابنا إلى أن ذلك بالنص وأنه ﷺ ذكر ذلك نصا وقطع البيان على عينه حتما ، ومن أصحابنا من قال أن ذلك بالاستدلال الجلى قال ابن حامد والدليل على إثبات ذلك بالنص أخبار من ذلك ما أسنده البخارى عن جبير بن مطعم قال : « أتت امرأة إلى النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت فلم أجدك كأنها تريد الموت قال إن لم تجدينى فأتى أبا بكر[1] ، وذكر له سياقا آخر وأحاديث أخر قال وذلك نص على إمامته ، قال وحديث سفيان عن عبدالملك ابن عمير عن ربعى عن حذيفة بن اليمان قال – قال رسول الله ﷺ قال : « اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر[2] وأسند البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتي ضرب الناس بعطَن »[3] . قال : وذلك نص

(١) صحيح البخارى فضائل أصحاب النبى ﷺ ٥/٥ . وكتاب الأحكام فى باب : الاستخلاف

(٢) الحديث رواه ابن ماجه فى السنن المقدمة ، باب : فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ٣٧/١ . رقم : (٩٧) . والترمذى وأحمد فى المسند ٣٨٥/٥ – ٤٠٢ .

(٣) صحيح البخارى فضائل أصحاب النبى ﷺ . ٧/٥ . وفى التعبير ، باب : نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف ٤٩/٩ .

والحديث رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضى الله تعالى عنه . ١٨٦٠/٤ . رقم (٢٣٩٢) وفى الباب غيره .

فى الإمامة قال : ويدل عليه ما أخبرنا أبو بكر بن مالك وروى عن مسند أحمد عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن عبدالرحمن بن أبى بكر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : يوما أيكم رأى رؤيا فقلت : أنا رأيت يارسول الله كأن ميزاناً دلى من السماء فوزنت بأبى بكر فرجحت بأبى بكر ثم وزن أبى بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فقال النبى ﷺ : خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك لمن يشاء »[1] ، قال : أسند أبو داود عن جابر الأنصارى قال – قال رسول الله ﷺ : رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ونيط عمر بأبى بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا ، أما الصالح فرسول الله ﷺ وأما تُنَوُّطُ بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه »[2] . قال ومن ذلك حديث صالح بن كيسان عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت –: دخل على رسول الله ﷺ اليوم الذى بدىء فيه فقال : ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكـر كتابا ثم قال : يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكـر وفى لفظ فلا يطمع فى هذا الأمر طامع وهذا الحديث فى الصحيحين ورواه من طريق أبى داود الطيالسى عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت لما ثقل رسول الله ﷺ قال : أدعى لى عبدالرحمن بن أبى بكر لأكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه ثم قال معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر وذكر أحاديث تقديمه فى الصلاة وأحاديث أخر لم أذكرها لكونها ليست مما يثبته أهل الحديث » .

« وقال أبو محمد بن حزم فى كتابه الملل والنحل[3] ، اختلف الناس فى الإمام بعد رسول الله ﷺ . فقالت طائفة : أن النبى ﷺ لم يستخلف

---

(١) مسند أحمد ٥/٤٤ .

(٢) مسند أبى داود كتاب السنة ، باب فى الخلفاء ٥/٣١ . رقم (٤٦٣٦) . وأحمد فى المسند ٣/٣٥٥ .

(٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل تأليف الإمام أبى محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهرى ، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر ، الدكتور عبدالرحمن عمر : شركات عكاظ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٧٦ .

أحدا ثم اختلفوا فقال بعضهم لكن لما استخلف أبا بكر على الصلاة كان ذلك دليلا عن إنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمر وقال بعضهم : لا ولكن كان أثبتهم فضلا فقدموه لذلك **وقالت طائفة بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصا جليا** قال أبومحمد وبهذا نقول لبراهين أحدها إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله فيهم « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » ، فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضى الله عنهم على أن سموه خليفه رسول الله ﷺ ، ومعنى الخليفة فى اللغة هو الذى يستخلفه المرء لا الذى يخلفه دون أن يستخلفه هو ، لا يجوز غير هذا ألبتة فى اللغة بلا خلاف ، يقال استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف . قال : ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين أحدهما أنه لم يستحق أبو بكر قط هذا الاسم على الإطلاق فى حياة النبى ﷺ وهو حينئذ خليفة فصح يقينا أن خلافته المسمى بها هى غير خلافته على الصلاة والثانى أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ فى حياته كعلى فى غزوة تبوك وابن أم مكتوم فى غزوة الخندق وعثمان بن عفان فى غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف بين أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ فصح يقينا بالضرورة التى لا محيد عنها أنها الخلافة بعده على أمته ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصا ولو لم يكن ههنا إلا استخلافه فى الصلاة لم يكن أبو بكر أولى بهذا الاسم من سائر من ذكرنا ، قال : وأيضا فإن الرواية قد صحت « أن امرأة قالت : يا رسول الله أرأيت إن رجعت فلم أجدك كأنها تعنى الموت قال : فأتى أبا بكر »[1] . قال : وهذا نص جلى على استخلاف أبى بكر . قال أيضا : فإن الخبر قد جاء من الطريق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة فى مرضه الذى توفى فيه : « لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك وأكتب كتابا

---

(١) سبق تخريجه

وأعهد عهداً لكيلا يقول قائل : أنا أحق ، أو يتمنى متمن ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر »[1] وروى أيضا ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر ، قال : فهذا

نص جَلّى على استخلافه ﷺ أبابكر على ولاية الأمة بعده . **قال : واحتج من قال لم يستخلف بالخبر المأثور** ، عن عبدالله بن عمر أنه قال : « إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعنى أبا بكر وإلا استخلف فلم يستخلف من هو خير منى يعنى رسول الله ﷺ »[2] وبما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف ، قال : ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابه الذى ذكرنا عنهم والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة مما لا تقوم به حجة ظاهرة مع أن هذا الأثر خفى على عمر كما خفى عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره وأنه استخلافا بعهد مكتوب ونحن نقر أن استخلافه لم يكن بعهد مكتوب وأما الخبر فى ذلك عن عائشة رضى الله عنها فكذلك أيضا وقد يخرج كلاهما على سؤال سائل وإنما الحجة فى روايتها لا فى قولهما ، (قلت). الكلام فى تثبيت خلافة أبى بكر وغيره مبسوط وفى غير هذا الموضع وإنما **المقصود هنا البيان لكلام الناس فى خلافته هل حصل عليها نص خفى أو جلى وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد فقد تبين أن كثيراً من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلى أو الخفى وحينئذ فقد بطل قدح الرافضى فى أهل السنة** بقوله إنهم يقولون أن النبى ﷺ لم ينص على إمامة أحد وأنه مات عن غير وصية وكذلك هذا القول لم يقله جميعهم فإن كان حقا فقد قاله بعضهم ، وإن كان الحق هو نقيضه فقد قال بعضهم ذلك ، فعلى

---

(١) ورد معناه فى صحيح البخارى كتاب الأحكام ، باب : الاستخلاف ٩ / ١٠٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف ٩ / ١٠٠ .

صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب الاستخلاف وتركه ٣ / ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ . وأبو داود كتاب الخراج والإمارة والفىء ، باب فى الخليفة مستخلف . ٣ / ٣٥٠ . وأحمد فى المسند ١ / ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ .

التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة وأيضا فلو قدر أن القول بالنص هو الحق لم يكن فى ذلك حجة للشيعة فإن الراوندية تقول بالنص على العباس كما قالوا هم بالنص على على . قال القاضى أبو يعلى وغيره واختلف الراوندية فذهب جماعة منهم إلى أن النبى ﷺ نص على العباس منهم بعينه واسمه وأعلن ذلك وكشفه وصرح به وأن الأمة كفرت هذا النص وارتدت وخالفت أمر الرسول ﷺ عنادا ومنهم من قال : أن النص على العباس وولده من بعده إلى أن تقوم الساعة[1] . يعنى هو نص خفى فهذان قولان للراوندية كالقولين للشيعة فإن الإمامية تقول أنه نص على علىّ بن أبى طالب من طريق التصريح والتسمية بأن هو هذا الإمام من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا والزيدية تخالفهم فى هذا ثم من الزيدية من يقول إنما نص عليه بقوله من كنت مولاه فعلى مولاه ، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى وأمثال ذلك من النص الخفى الذى يحتاج إلى تأمل لمعناه وحكى عن الجارودية من الزيدية أن النبى ﷺ نص على علىّ بصفة لم تكن توجد إلا فيه لا من جهة التسمية فدعوى الراوندية فى النص من جنس دعوى الرافضة وقد ذكر فى الإمامية أقوال أخر » .

« قال أبو محمد بن حزم » : اختلف القائلون بأن الإمامة لا تكون إلا فى صبية قريش فقالت طائفة هى جائزة فى جميع ولد فهر بن مالك بن النضر . وهذا قول أهل السنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة وقالت طائفة : لا تجوز الخلافة إلا فى ولد العباس بن عبدالمطلب وهم الراوندية ، وقالت طائفة : لا تجوز الخلافة إلا فى ولد علىّ بن أبى طالب وقالت طائفة : لا تجوز الخلافة إلا فى ولد جعفر ابن أبى طالب وبلغنا عن بعض بنى الحرث بن عبدالمطلب ، وهم أبوطالب وأبو لهب والعباس والحرث قال : وبلغنا عن رجل كان بالأردن يقول لا تجوز الخلافة إلا فى بنى عبد شمس وكان له فى ذلك تأليف مجموع قال : ورأينا كتابا مؤلف لرجل من ولد عمر بن الخطاب يحتج فيه أن الخلافة لا تجوز إلا فى ولد أبى بكر وعمر خاصة وسيأتى تمام الكلام على تنازع الناس فى الإمامة إن شاء الله تعالى .

---

(١) قوله يعنى فى الأصل ولعل لفظة يعنى زيادة الناسخ فحرر كتبه مصححه .

والمقصود هنا أن أقوال الرافضة معارضة بنظيرها فإن دعواهم النص على علىّ كدعوى أولئك النص على العباس وكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار ولم يقل أحد من أهل العلم شيئا من هذين القولين وإنما ابتدعهما أهل الكذب كما سيأتى إن شاء الله تعالى بيانه ولهذا لم يكن أهل الدين من ولد العباس وعلى يدعون هذا ولا هذا بخلاف النص على أبى بكر فإن القائلين به طائفة من أهل العلم وسنذكر إن شاء الله تعالى فصل الخطاب فى هذا الباب لكن المقصود أن لهم أدلة وحججا من جنس أدلة المستدلين فى موارد النزاع ويكفيك أن أضعف ما استدلوا به استدلالهم بتسمية خليفة رسول الله ﷺ فإن قد تقدم أن القائلين بالنص على أبى بكر منهم من قال بالنص الخفى ومنهم من قال بالنص الجلى ، وأيضا فقد روى ابن بطة بإسناده قال حدثنا أبو الحسن بن أسلم الكاتب حدثنا الزعفرانى حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المبارك بن فضالة أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى إلى الحسن فقال هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر فقال أوفى شك صاحبك نعم والله الذى لا إله إلا هو استخلفه لهو أتقى من أن يتوثب عليها . قال ابن المبارك : استخلافه هو أمره أن يصلى بالناس وكان هذا عند الحسن استخلافا قال : وأنبأنا أبو القاسم عبدالله بن محمد حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا يحيى بن سليم حدثنا جعفر بن محمد بن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال : ولينا أبو بكر فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا قال : وسمعت معاوية بن قرة يقول أن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر . ثم القائلون بالنص على أبى بكر منهم من قال بالنص الجلى واستدلوا على ذلك باتفاق الصحابة على تسميته خليفة رسول الله ﷺ قالوا والخليفة إنما يقال لمن استخلفه غيره واعتقدوا أن الفعيل بمعنى المفعول فدل ذلك على أن النبى ﷺ استخلف على أمته والذين نازعوهم فى هذه الحجة قالوا الخليفة يقال لمن استخلفه غيره ولمن خلف غيره فهو فعيل بمعنى فاعل كما يقال خلف فلان فلانا كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا »[1] وفى الحديث

---

(١) الحديث رواه مسلم فى صحيحه كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره .. ٣/١٥٠٧ . واللفظ له . والبخارى فى الجهاد باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير . ٤/٣٢ ، —

الآخر : « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلينا »[1] وقال تعالى : ﴿ وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ ثم جعلناك خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعلمون ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾[5] أى خليفة عمن قبلك من الخلق ليس المراد أنه خليفة عن الله وأنه من الله كإنسان العين من العين كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين بالحلول والاتحاد كصاحب الفتوحات المكية وأنه الجامع لأسماء الله الحسنى وفسروا بذلك قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها وأنه مثل الله الذى نفى عنه الشبه بقوله ليس كمثله شىء إلى أمثال هذه المقالات التى فيها من تحريف المنقول وفساد المعقول ما ليس هذا موضع بسطه » .

« والمقصود هنا أن الله تعالى لا يخلفه غيره فإن الخلافة إنما تكون عن غائب وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه لا يحتاج فى تدبيرهم إلى غيره وهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات جميعا بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله

= ٣٣ . بلفظ متقارب . وأبوداود فى السنن كتاب الجهاد ، باب ما يجزىء من الغزو ٣/٢٦ . بنحو رواية مسلم . والترمذى فى الفضائل . والنسائى فى الجهاد ، والدارمى كتاب الجهاد ، باب فى فضل من جهز غازيا ٢/٢٠٩ بلفظ مختلف . وأحمد فى المسند ٤/١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ . ٥/١٩٣ . بنحو رواية مسلم وبلفظ مختلف فى أكثر من موضع ١/٢٠ ، ٥٣ . ٥/١٩٢ ، ٢٣٤ .

(١) الحديث رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد فى المسند ٥/٨٣ عن عبدالله بن سرجس . وبلفظ مختلف فى ١/٢٥٦ ، ٣٠٠ عن ابن عباس ٢/١٤٤ ، ١٥٠ عن بن عمر ، ٢/٤٠١ ، ٤٣٣ عن أبى هريرة .

وهو جزء حديث رواه مسلم كتاب الحج ، باب : ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره . ٢/٩٧٨ . رقم (١٣٤٢) . وأبو داود فى الجهاد ، باب : ما يقول الرجل إذا سافر . ٣/٧٤ ، ٧٥ . رقم (٢٥٩٨ ، ٢٥٩٩) . والترمذى فى الدعوات ، والنسائى فى الاستعاذة ، والدارمى فى الاستئذان باب فى الدعاء إذا سافر ٢/٢٨٧ .

(٢) الأنعام : ١٦٥ .

(٣) يونس : ١٤ .

(٤) البقرة : ٣٠ .

(٥) ص : ٢٦ .

ويروى أنه قيل لأبى بكر : « ياخليفة الله فقال بل أنا خليفة رسول الله »[1] وحسبى ذاك . وقالت طائفة بل ثبتت بالنص المذكور فى الأحاديث التى تقدم إيراد بعضها مثل قوله فى الحديث الصحيح لما جاءته المرأة تسأله عن أمر فقالت أرأيت إن لم أجدك كأنها تعنى الموت فقال : إئتى أبا بكر[2] ومثل قوله فى الحديث الصحيح لعائشة رضى الله عنها : « ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه الناس بعدى . ثم قال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر »[3] ومثل قوله فى الحديث الصحيح : « كأنى على قليب أنزع منها فأخذها ابن أبى قحافة فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا من الناس ويفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن »[4] ومثل قوله : « مروا أبا بكر فليصل بالناس »[5] وقد وجع فى ذلك مرة بعد مرة فصلى بهم مدة مرض النبى ﷺ من يوم الخميس إلى يوم الخميس إلى يوم الاثنين وخرج النبى ﷺ مرة فصلى بهم جالسا وبقى أبو بكر يصلى بأمره سائر الصلوات وكشف الستارة يوم مات وهم يصلون خلف أبى بكر فسر بذلك وقد قيل أن آخر صلاة صلاها النبى ﷺ كانت خلف أبى بكر وقيل ليس كذلك ومثل قوله فى الحديث الصحيح على منبره « لو كنت متخذا من الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر »[6] وفى سنن أبى داود وغيره من حديث الأشعث عن الحسن عن أبى

---

(١) أحمد فى المسند ١٠/١ .

(٢) سبق تخريجه ص ٦٠ ؛ رواه البخارى .

(٣) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ١٨٥٧/٤ رقم (١٧ ، ٢٣) .

(٤) سبق تخريجه ص ٦١ ؛ رواه البخارى .

(٥) جزء حديث رواه البخارى فى الآذان ، باب حد المريض أن يشهد الجماعة . ١٦٩/١ وفى الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين والبدع : ١٢٠/٩ . ومسلم فى الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما ... ٣١١/١ - ٣١٦ .

((٦) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ١٨٥٤/٤ - ١٨٥٦ بألفاظ مختلفة . وأورده البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب =

بكرة أن النبى ﷺ قال ذات يوم : « من رأى منكم رؤيا فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزانا أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبى بكر ثم وزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأيت الكراهية فى وجه النبى ﷺ »[1] ورواه أيضا من حديث حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن عبدالرحمن بن أبى بكرة عن أبيه فذكر مثله ولم يذكر الكراهية فاستاء لها النبى ﷺ يعنى ساءه ذلك فقال : خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك من يشاء فبين ﷺ أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ثم بعد ذلك ملك وليس فيه ذكر على لأنه لم يجتمع الناس فى زمانه بل كانوا مختلفين لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك . وروى أبو داود أيضا من حديث ابن شهاب عن عمرو أبان عن جابر أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبى بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث به نبيه »[2] وروى أبو داود أيضا من حديث حماد بن سلمة عن أشعث بن عبدالرحمن عن أبيه عن سمرة بن جندب : « أن رجلا قال : يا رسول الله رأيت كأن دلوا دُلِّىَ من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانْتشطت وانتضح عليه منها شىء »[3] وعن سعيد بن جهمان عن سفينة قال : قال رسول الله ﷺ : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء »

= قول النبى ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبى بكر ، وباب قول النبى ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً . ٤/٥ ، ٥ . وباب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة . ٧٣/٥ . وكتاب الفرائض ، باب ميراث الجد مع الأب والإخوة . ١٨٩/٨ . بألفاظ مختلفة . والترمذى فى المناقب . وابن ماجه فى المقدمة . باب فى فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ٣٦/١ . والدارمى فى الفرائض ، باب قول أبى بكر فى الجد ٣٥٣/٢ . وأحمد فى المسند ٢٧٠/١ ، ٣٥٩ . ١٨/٣ ، ٤٧٨ . ٤/٤ ، ٥ ، ٢١٢ .

(١) سنن أبى داود كتاب السنة ، باب فى الخلفاء ٣٠/٥ . وأخرجه الترمذى فى الرؤيا باب رؤيا النبى ﷺ فى الميزان والدلو .

(٢) سنن أبى داود كتاب السنة ، باب فى الخلفاء ٣١/٥ .

(٣) سنن أبى داود كتاب السنة ، باب فى الخلفاء ٣٢/٥ .

أو قال الملك . قال سعيد : قال لى سفينة أمسك مدة أبى بكر سنتان وعمر عشر وعثمان اثنتا عشر وعلى كذا قال سعيد : قلت لسفينة أن هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن بخليفة قال كذبت أستاه بنى الزرقاء يعنى بنى مروان »[1] وأمثال هذه الأحاديث ونحوها مما يستدل بها من قال خلافته ثبتت بالنص . والمقصود هنا أن كثيرا من أهل السنة يقولون أن خلافته ثبتت بالنص وهم يسندون ذلك إلى أحاديث معروفة صحيحة ولا ريب أن قول هؤلاء أوجه من قول من يقول : أن خلافة على أو العباس ثبتت بالنص فإن هؤلاء ليس معهم إلا مجرد الكذب والبهتان الذى يعلم بطلانه بالضرورة كل من كان عارفا بأحوال الإسلام أو استدلال بألفاظ لا تدل على ذلك كحديث استخلافه فى غزوة تبوك ونحوه مما سنتكلم عليه إن شاء الله تعالى فيقال لهذا إن وجب أن يكون الخليفة منصوصا عليه كان القول بهذا النص أولى من القول بذلك وأن لم يجب هذا بطل ذاك .
والتحقيق أن النبى ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبى بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهدا ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك فى مرضه يوم الخميس ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة إكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبى بكر رضى الله عنه فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه رسول الله ﷺ بيانا قاطعا للعذر لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود ولهذا قال عمر بن الخطاب فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر رواه البخارى ومسلم . وفى الصحيحين أيضا عنه أنه قال يوم السقيفة بمحضر من المهاجرين والأنصار أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك منكر ولا قال أحد من الصحابة أن غير أبى بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه ولم ينازع أحد فى خلافته إلا بعض الأنصار طمعا

---

(١) سنن أبى داود كتاب السنة ، باب فى الخلفاء ٣٦/٥ ، ٣٧ .

فى أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبى ﷺ بطلانه ثم الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة لكونه هو الذى كان يطلب الولاية ولم يقل قط أحد من الصحابة أن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر لا على العباس ولا على على ولا غيرهما ولا ادعى العباس ولا على ولا أحد ممن يحبهما الخلافة لواحد منهما ولا أنه منصوص عليه بل ولا قال أحد من الصحابة أن فى قريش من هو أحق بها من أبى بكر لا من بنى هاشم ولا من غير بنى هاشم . وهذا كله مما يعلمه العلماء العاملون بالآثار والسنن والحديث وهو معلوم عندهم بالاضطرار ، وقد نقل عن بعض بنى عبد مناف مثل أبى سفيان وخالد بن سعيد أنهم أرادوا أن لا تكون الخلافة إلا فى بنى عبد مناف وأنهم ذكروا ذلك لعثمان وعلى فلم يلتفتاإلى من قال ذلك لعلمهما وعلم سائر المسلمين أنه ليس فى القوم مثل أبى بكر ففى الجملة وجميع من نقل عنه من الأنصار من بنى عبد مناف أنه طلب تولية غير أبى بكر لم يذكر حجة دينية شرعية ولا ذكر أن غير أبى بكر أحق بها وأفضل من أبى بكر وإنما نشأ كلامه عن حب لقومه وقبيلته وإرادة منه أن تكون الإمامة فى قبيلته ومعلوم أن مثل هذا ليس من الأدلة الشرعية ولا الطرق الدينية ولا هو مما أمر الله ورسوله المؤمنين باتباعه بل هو شعبة جاهلية ونوع عصبية للأنساب والقبائل وهذا مما بعث الله محمدا ﷺ بهجره وإبطاله وثبت عنده فى الصحيحين أنه قال : « أربع من أمر الجاهلية فى أمتى لن يدعوهن الفخر بالأحساب والطعن فى الأنساب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم »[1] وفى المسند عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ أنه قال : « من سمعتموه يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه هن أمه ولا تكنوا »[2] وفى السنن عن أنه قال : أن الله قد أذهب عنكم عبية . الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان مؤمن تقى وفاجر شقى »[3] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز ، باب التشديد فى النياحة . ٦٤٤/٢ . وأحمد فى المسند بألفاظ مختلفة . ٢٩١/١ ، ٤٥٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ . ٣٤٢/٥ ، ٣٤٣ .

(٢) مسند أحمد . ١٣٦/٥ .

(٣) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب فى التفاخر بالأحساب . ٣٤٠/٥ . والترمذى فى المناقب باب فضل الشام واليمن .

« وأما كون الخلافة فى قريش فلما كان هذا من شرعه ودينه وكانت النصوص بذلك معروفة منقولة مأثورة تذكرها الصحابة بخلاف كون الخلافة فى بطن من قريش أو غير قريش فإنه لم ينقل أحد من الصحابة فيه نصًّابل ولا قال أحد أنه كان فى قريش من هو أحق بالخلافة فى دين الله وشرعه من أبى بكر ومثل هذه الأمور كلما تدبرها العالم تدبر النصوص الثابتة وسائر الصحابة حصل له علوم ضرورية لا يمكنه دفعها عن قلبه أنه كان من الأمور المشهورة عند المسلمين أن أبا بكر مقدم على غيره وأنه كان عندهم أحق بخلافة النبوة وأن الأمر فى ذلك بين ظاهر عندهم ليس فيه اشتباه عليهم ولهذا قال : رسول الله ﷺ يأبى الله والمؤمنين إلاأبا بكر ومعلوم أن هذا العلم الذى عندهم بفضله وتقدمه إنما استفادوه من النبى ﷺ بأمور سمعوها وعاينوها وحصل بها لهم من العلم ما علموا به أن الصديق أحق الأمة بخلافة نبيهم وأفضلهم عند نبيهم وأنه ليس فيهم من يشابهه حتى يحتاج فى ذلك إلى مناظرة ولم يقل أحد من الصحابة أن عمر ابن الخطاب أو عثمان أو عليا أو غيرهم أفضل من أبى بكر أو أحق بالخلافة منه ، وكيف يقول ذلك وهم دائما يرون من تقديم النبى ﷺ لأبى بكر على غيره وتفضيله له وتخصيصه بالتعظيم ما قد ظهر للخاص والعام حتى أن أعداء النبى ﷺ من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين يعلمون أن لأبى بكر من الاختصاص ما ليس لغيره كما ذكره أبو سفيان بن حرب يوم أحد قال أفى القوم محمد أفى القوم محمد ثلاثا ، ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة أفى القوم ابن أبى قحافة أفى القوم ابن أبى قحافة أفى القوم ابن الخطاب أفى القوم ابن الخطاب أفى القوم ابن الخطاب . وكل ذلك يقول لهم النبى ﷺ لاتجيبوه ، أخرجاه فى الصحيحين كما سيأتى إن شاء الله تعالى بتمامه حتى أنى أعلم طائفة من حذاق المنافقين ممن يقول أن النبى ﷺ كان رجلا عاقلا أقام الرياسة بعقله وحذقه يقولون أن أبا بكر كان مباطنا له على ذلك يعلم إسراره على ذلك بخلاف عمر وعثمان وعلى فقد ظهر لعامة الخلائق أن أبا بكر رضى الله عنه كان أخص الناس بمحمد ﷺ فهذا النبى وهذا صديقه فإذا كان محمد أفضل الصديقين فخلافة أبى بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله ﷺ له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله

ورسوله وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعا لكن **النص دل على رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها . وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد . وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التى بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص** كما قال رسول الله ﷺ لما أراد أن يكتب لأبى بكر فقال لعائشة ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » أخرجاه فى الصحيحين . وفى البخارى لقد هممت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ويدفع الله ويأبى المؤمنون فبين ﷺ أنه يريد أن يكتب كتابا خوفا ، ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ليس مما يقبل النزاع فيه والأمة حديثة عهد بنبيها ، وهم خير أمة أخرجت للناس وأفضل قرون هذه الأمة فلا يتنازعون فى هذا الأمر الواضح الجلى فإن النزاع إنما يكون لخفاء العلم أو لسوء القصد ، وكلا الأمرين منتف فإن العلم بفضيلة أبى بكر جلى وسوء القصد لا يقع من جمهور الأمة الذين هم أفضل القرون . ولهذا قال : يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبى بكر الصديق واستخلافه لهذا الأمر يغنى عن العهد فلا يحتاج إليه فتركه لعدم الحاجة وظهور فضيلة الصديق واستحقاقه وهذا أبلغ من العهد » .

« (فصل) وأما قول الرافضى : أنهم يقولون الإمام بعد رسول الله ﷺ أبو بكر بمبايعة عمر برضا أربعة فيقال له ليس هذا قول أئمة السنة وإن كان بعض أهل الكلام يقولون أن الإمامة تنعقد ببيعة أربعة كما قال بعضهم : تنعقد ببيعة اثنين وقال بعضهم : ببيعة واحد فليست هذه أقوال أئمة السنة بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها ، ولا يصير الرجل إماما حتى يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماما ولذا قال أئمة السنة من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية فهو من أولى الأمر

الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله فالإمامة ملك وسلطان والملك لا يصير ملكا بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة ، إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضى موافقة غيرهم بحيث يصير ملكا بذلك وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه ولهذا لما بويع على رضى الله عنه صار معه شوكة صار إماما ، ولو كان جماعة فى سفر فالسنة أن يؤمروا أحدهم كما قال النبى ﷺ : « لا يحل لثلاثة يكونون فى سفر إلا أن يؤمروا واحدا منهم » فإذا أمره أهل القدرة منهم صار أميرا فكون الرجل أميرا وقاضيا وواليا وغير ذلك من الأمور التى مبناها على القدرة والسلطان متى حصل ما يحصل به من القدرة والسلطان حصلت وإلا فلا . إذ المقصود بها عمل أعمال لا تحصل إلا بقدرة فمتى حصلت القدرة التى بها يمكن تلك الأعمال كانت حاصلة وإلا فلا وهذا مثل كون الرجل راعيا للماشية متى سلمت إليه بحيث يقدر أن يرعاها كان راعيا لها ، وإلا فلا عمل إلا بقدرة عليه فمن لم يحصل له القدرة على العمل لم يكن عاملا ، والقدرة على سياسة الناس إما بطاعتهم له وإما بقهره لهم فمتى صار قادرا على سياستهم بطاعتهم أو بقهره فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة لله ولهذا قال أحمد فى رسالة عبدوس بن مالك العطار : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ إلى أن قال : ومن ولى الخلافة فأجمع عليه الناس ورضوا به ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فدفع الصدقات إليه جائز برا كان أو فاجرا وقال فى رواية إسحق بن منصور وقد سئل عن حديث النبى ﷺ من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية . ما معناه فقال : تدرى ما الإمام - الإمام الذى يجمع عليه المسلمون كلهم بقول هذا إمام فهذا معناه ، والكلام هنا فى مقامين (أحدهما) فى كون أبى بكر كان هو المستحق للإمامة وأن مبايعتهم له مما يحبه الله ورسوله فهذا ثابت بالنصوص والإجماع (والثانى) أنه متى صار إماما فذلك بمبايعة أهل القدرة له وكذلك عمر لما عهد إليه أبو بكر إنما صار إماما لما بايعوه وأطاعوه ولو قدر أنهم لم ينفذوا عهد أبى بكر ولم يبايعوه لم يصر إماما سواء كان ذلك جائزا أو غير جائز فالحل والحرمة متعلق بالأفعال وأما نفس الولاية والسلطان فهو عبارة عن القدرة الحاصلة ثم قد تصل على وجه يحبه الله ورسوله كسلطان الخلفاء الراشدين ، وقد تحصل على وجه فيه معصية

كسلطان الظالمين ولو قدر أن عمر وطائفة معه بايعوه وامتنع سائر الصحابة عن البيعة لم يصر إماما بذلك وإنما صار إماما بمبايعة جمهور الصحابة الذين هم أهل القدرة والشوكة ولهذا لم يضر تخلف سعد بن عبادة لأن ذلك لا يقدح فى مقصود الولاية فإن المقصود حصول القدوة والسلطان اللذين بهما تحصل مصالح الإمامة وذلك قد حصل بموافقة الجمهور على ذلك . فمن قال أنه يصير إماما بموافقة واحد أو اثنين أو أربعة وليسوا هم ذوى القدرة والشوكة فقد غلط كما أن من ظن أن تخلف الواحد أو الاثنين أو العشرة يضر فقد غلط وأبو بكر بايعه المهاجرون والأنصار الذين هم بطانة رسول الله ﷺ والذين بهم صار الإسلام قوة وعزة وبهم قهر المشركون وبهم فتحت جزيرة العرب فجمهور الذين بايعوا رسول الله ﷺ هم الذين بايعوا أبا بكر وأما كون عمر أو غيره سبق إلى البيعة ففى كل بيعة لا بد من سابق ولو قدر أن بعض الناس كان كارها للبيعة لم يقدح ذلك فى مقصودها فإن نفس الاستحقاق لها ثابت بالأدلة الشرعية الدالة على أنه أحقهم بها ومع قيام الأدلة الشرعية لا يضر من خالفها ونفس حصولها ووجودها ثابت بحصول القدرة والسلطان بمطاوعة ذوى الشوكة فالدين الحق لابد فيه من الكتاب الهادى والسيف الناصر كما قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾[1] فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه والسيف ينصر ذلك ويؤيده وأبو بكر ثبت بالكتاب والسنة أن الله أمر بمبايعته والذين بايعوه كانوا أهل السيف المطيعين لله فى ذلك فانعقدت خلافة النبوة فى حقه بالكتاب والحديد .

وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبى بكر فصار إماما لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم » .

المصـــدر السابـــع :

كتاب « شرح العقيدة الصحاوية » الذى صنفه الإمام الفقيه الحافظ المحدث ابن أبى العز الحنفى شرح وحقق أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى وجماعة من العلماء ، ونشره المكتب الإسلامى ، ط ١ ، ١٣٩٢ هـ ، ص ٥٣٣ وما بعدها .

والإمام الطحاوى ، هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة بن عبدالملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن جواب الأزدى الطحاوى ، نسبة إلى صعيد مصر . ولد هذا الإمام الفقيه الحافظ سنة تسع وثلاثين ومائتين (ت ٣٢١ هـ) . قال عنه ابن كثير فى البداية والنهاية : « هو أحد الثقات الأثبات والحفاظ الجهابذة » . وقال الذهبى فى تاريخه الكبير : « الفقيه المحدث الحافظ ، أحد الأعلام ، وكان ثقة ثبتا فقيها عاقلا كما قال ابن يونس »[1] .

قوله : **نثبت الخلافة بعد رسول الله - ﷺ - أولا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة :**

اختلفت أهل السنة فى خلافة الصديق رضى الله عنه : هل كانت بالنص ، أو بالاختيار فذهب الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفى والإشارة ، ومنهم من قال بالنص الجلى . وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار .

والدليل على إثباتها بالنص أخبار : من ذلك ما أسنده البخارى عن جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبى ﷺ ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن جئتُ فلم أجدك ؟ كأنها تريد الموت ، قال : (إن لم تجدينى فأتى أبا بكر)[2] : وذكر له سياق آخر ، وأحاديث أخر . وذلك نص على إمامته . وحديث حذيفة بن اليمان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذين

---

(١) والشرح يعتمد على ما ورد فى منهاج السنة ، جـ ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .
(٢) صحيح .

من بعدى أبى بكر وعمر »[1] . رواه أهل السنن وفى الصحيحين ، عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها ، قالت : دخل على رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدىء فيه ، فقال : ادعى لى أباك وأخاك ، حتى لأكتب لأبى بكر كتابا ، ثم قال : يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر »[2] وفى رواية : (فلا يطمع فى هذا الأمر طامع) . وفى رواية : قال : « ادعى لى عبدالرحمن بن أبى بكر ، لأكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه ، ثم قال : معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر) . وأحاديث تقديمه فى الصلاة مشهورة معروفة ، وهو يقول : « مروا أبا بكر فليصل بالناس »[3] . وقد روجع فى ذلك مرة بعد مرة . فصلى بهم مدة مرض النبى ﷺ وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله - ﷺ - : يقول : « بينا أنا نائم رأيتى على قليب عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة ، فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم استحالت غربا ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه ، حتى ضرب الناس بعطن »[4] . وفى (الصحيح) أنه ﷺ قال على منبره . « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا ، لا يبقين فى المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبى بكر »[5] . وفى سنن أبى داود) وغيره ، حديث الأشعث عن الحسن عن أبى بكرة ، أن النبى ﷺ قال ذات يوم : « من رأى منكم رؤيا ؟ فقال رجل أنا ، رأيت ميزانا أنزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر ، فرجحت أنت بأبى بكر ، ثم وزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان ، فرجح عمر ، ثم رفع ، فرأيت الكراهة فى وجه النبى ﷺ فقال : « خلافة نبوة ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء »[6] . فبين رسول الله ﷺ ،

---

(١) صحيح ، وهو مخرج فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ، برقم ١٢٣٣ .

(٢) صحيح ، وهو مخرج فى « الصحيحة » برقم : ٦٩٠ .

(٣) متفق عليه .

(٤) صحيح .

(٥) متفق عليه وتقدم بنحوه .

(٦) صحيح رواه أبو داود (٤٦٣٤ ، ٤٦٣٥) من طريقين عن أبى بكرة ، واللفظ الذى فى الكتاب هو عنده من طريق الأشعث التى ذكرها المؤلف ، لكن ليس فيها قوله فى آخره خلافة ... وهذه الزيادة عنده من الطريق الأخرى ، وفيها على بن زيد وهو ابن جدعان وفيه ضعف .

أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ، ثم بعد ذلك ملك ، وليس فيه ذكر على رضى الله عنه ، لأنه لم يجتمع الناس فى زمانه ، بل كانوا مختلفين ، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك وروى أبو داود أيضا عن جابر رضى الله عنه ، أنه كان يحدث ، أن رسول الله ﷺ قال : « رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ، ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر ، قال جابر : فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ ، قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما المنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه[1] . وروى أبو داود أيضا عن سمرة بن جندب أن رجلا قال : يا رسول الله ، رأيت كأن دلوا دلى من السماء ، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شرابا ضعيفا ، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء على فأخذ بعراقيها ، فانتشطت منه ، فانتضح عليه منها شىء . وعن سعيد بن جهمان عن سفينة . قال : قال رسول الله ﷺ : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء »[2] . أو (الملك) .

واحتج من قال لم يستخلف ، بالخبر المأثور ، عن عبدالله بن عمر ، عن عمر رضى الله عنهما ، أنه قال : « إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى ، يعنى أبا بكر ، وأن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير منى ، يعنى رسول الله ﷺ ، / قال عبدالله : فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف . وبما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف . والظاهر – والله أعلم أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب ، ولو كتب عهدا لكتبه لأبى بكر ، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال : « يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر »[3] . فكان هذا أبلغ من مجرد العهد ، فإن النبى ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبى بكر ، وأرشدهم إليه بأمور متعددة ، ومن أقواله

---

(١) صحيح .

(٢) ضعيف ، فيه عبدالرحمن الجرمى ، فيه جهالة ، ومن طريقه أيضا أخرجه أحمد (٢١/٥) و (العراق) جمع عرقوة وهى أعواد يخالف بينها ثم تشد فى عرى الدلو ويعلق بها الحبل .

(٣) حسن يشهد له ما قبله بحديث .

وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك ، حامد له ، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا ، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتاب اكتفاء بذلك ، ثم عزم على ذلك فى مرضه يوم الخميس ، ثم لما حصل لبعضهم شك : هل ذلك القول من جهة المرض ؟ أو هو قول يجب اتباعه ؟ ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبى بكر . فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانا قاطعا للعذر ، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين ، وفهموا ذلك حصل المقصود . ولهذا قال عمر رضى الله عنه ، فى خطبته التى خطبها بمحضر من المهاجرين . والأنصار : أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، ولم ينكر ذلك منهم أحد ولا قال أحد من الصحابة أن غير أبى بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه ، ولم ينازع أحد فى خلافته إلا بعض الأنصار ، طمعا فى أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبى ﷺ بطلانه . ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر ، إلا سعد بن عبادة ، لكونه هو الذى كان يطلب الولاية . ولم يقل أحد من الصحابة قط أن النبى ﷺ نص على غير أبى بكر ، لا على ، ولا العباس ، ولا غيرهما كما قد قال أهل البدع . وروى ابن بطة بإسناده : أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلى إلى الحسن ، فقال : هل كان النبى ﷺ استخلف أبا بكر ؟ فقال : أو فى شك صاحبك ؟ نعم ، والله الذى لا إله إلا هو استخلفه ، لهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها .(١)

وفى الجملة : فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبى بكر ، لم يذكر حجة دينية شرعية ، ولا ذكر أن غير أبى بكر أفضل منه ، أو أحق بها ، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومة فقط ، وهم كانوا يعلمون فضل أبى بكر رضى الله عنه ، وحب رسول الله ﷺ . ففى (الصحيحين) ، عن عمرو بن العاص : أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته ، فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ قال : عائشة . قلت : من الرجال ؟ قال : (أبوها) ، قلت : ثم

---

(١) مسلم وغيره ، ومضى .

من ؟ قال : (عمر ، وعد رجالا)[1] . وفيهما أيضا ، عن أبى الدرداء ، قال : كنت جالسا عند النبى ﷺ ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه ، حتى أبدى عن ركبتيه ، فقال النبى ﷺ : « أما صاحبكم فقد غامر » ، فسلم ، وقال : يا رسول الله إنه كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فأسرعت إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لى فأبى على ، فأقبلت إليك ، فقال : (يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثا) ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبى بكر ، فسأل : أثم أبو بكر ؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبى ﷺ ، فسلم عليه ، فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر ، حتى أشفق أبوبكر ، فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله : والله أنا كنت أظلم ، مرتين فقال النبى ﷺ : أن الله بعثنى إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ مرتين ، فما أوذى بعدها)[2] .

ومعنى : غامر . غاضب وخاصم . ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفى « الصحيحين » أيضا ، عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح[3] - فذكرت الحديث - إلى أن قالت : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة ، فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : منا أمير ، ومنكم أمير . فذهب إليهم أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم ، فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت فى نفسى كلاما قد أعجلنى ، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر . ثم تكلم أبو بكر ، فتكلم أبلغ الناس ، فقال فى كلامه نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء ، فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء . هم أوسط العرب ،

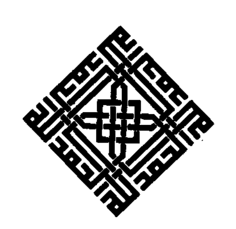
---

(١) صحيح البخارى فى فضائل أصحاب النبى ﷺ . ٦/٥ .

(٢) البخارى عن أبى الدرداء ، ولم أره عند مسلم ، ولم يعزه إليه فى « الذخائر » . وفى هذا نهى صريح عن إيذاء أبى بكر رضى الله عنه ، ولو بالكلمة (انظر فتح البارى) جـ ٧ ، ص ٢٥ .

(٣) السنح بضم السين المهملة وسكون النون - ويجوز ضمها - وآخره حاء مهملة . طرف من أطراف المدينة بعواليها ، كان بينها وبين منزل النبى ﷺ ميل ، وكان بها منزل أبى بكر .

وأعزهم أحسابا ، فبايعوا عمر بن الخطاب ، أو أبا عبيدة بن الجراح ، فقال عمر : نبايعك فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعدا ، فقال عمر : قتله الله[1] والسنح : العالية ، وهى حديقة بالمدينة معروفة بها » .


(١) صحيح ، أخرجه البخارى دون مسلم . خلافا للمصنف رحمه الله .

الفصل الرابع

الجزء الأول

مواقف لصحابة الرسول ﷺ بعد وفاته

هذه المواقف تؤكد انضباط :

سلوك أصحاب رسول الله مهاجرين وأنصار مع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأنهم كانوا أعظم من أن يختلفوا على الدنيا .

تمهيد :

نحن لا ندعى العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ، ولكن نقول أيضا أنه يستحيل فى حق هؤلاء الصحابة – رضوان الله عليهم – أن يبدر منهم ما نسبه إليهم المشتغلون بالتاريخ من المحدثين الذين تربوا على الاستشراق فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾[1] .

هؤلاء الصحابة هم الذين قال فيهم سبحانه وتعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا

---

(١) الفتح : ٢٩ .

الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾[1] .

ولهذا فقد أورد الإمام ابن حجر العسقلانى[2] كلمة قال فيها : « اتفق أهل السنة على أن الجميع (الصحابة) عدول ، ولم يخالف ذلك إلا شذوذ من المبتدعة » .

« والأحاديث الواردة فى فضل الصحابة كثيرة من أدلها على المقصود ما رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عبدالله بن مغفل قال : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضا ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه »[3] .

ولهذا فقد قال محمد بن حزم : « الصحابة كلهم من أهل الجنة » .

لقد كان الخلفاء الراشدون على أعلى مثال من التواضع، إذ كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحلب أغنام الحى الذى يقيم فيه وهو السنح ، فلمّا بويع بالخلافة قالت جارية من الحى : « الآن لا يحلب لنا منايح (أغنام) دارنا » ، فسمعها أبو بكر رضى الله عنه ، فقال : « بلى ، لعمرى ، لأحلبنّها لكم ، وإنى لأرجو ألّا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه » ، وكان يحلب لهن . وبقى على ذلك ما أقام فى السنح فلمّا انتقل إلى المدينة بعد ستة أشهر من توليه الخلافة ترك ذلك بالضرورة[4] .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا سقط خطام ناقته ينزل ليأخذه ،

---

(١) الحشر : ٩ - ١٠ .

(٢) الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ١ ، ص ١٨ - ١٩ ، المعجم المفهرس ، جـ ١ ، ص ٤٩ .

(٣) والإمام أحمد فى المسند ٥/٥٤ ، ٥٥ .

(٤) الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ ؛ الكامل فى التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٤ ؛ تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

فيقال له : لو أمرتنا أن نناولكه ، فيقول : أمرنا رسول الله ﷺ ألّا نسأل الناس شيئا[1] .

هذا التواضع قد فُقِد بعد تلك الصفوة إلا من رحم ربك وغدا الرجل إذا استلم المسئولية ترفّع عن الناس ، وأصبح لا يكلمهم إلا من وراء حجاب وبأنف شامخٍ وبعد اجتياز عدد من السدود والأسوار من الجُند .

ولقد كان الخليفة يتجول فى النهار فى الأسواق ، ويسأل عن شئون الناس ، ويتجول فى الليل يتفقد أحوال الأمة والمحتاجين ، والذين يبيتون حول المدينة من الأعراب والتجار والمنقطعين ومن ألجأتهم الحاجة إلى ذلك ، يؤمّنُ لهم حاجاتهم . فبينما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعس فى المدينة ليلا أتى على امرأة من الأنصار تحمل قربة ، فسألها عن شأنها ، فذكرت أن لها عيالا ، وأنه ليس لها خادم ، وأنها تخرج فى الليل فتسقيهم الماء وتكره أن تخرج فى النهار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها فقال : اغدى على عمر غدوة يخدمك خادما ، قالت : لا أصل إليه . قال : إنك ستجدينه إن شاء الله تعالى . فغدت عليه فإذا هى به ، فعرفت أنه الذى حمل قربتها فذهبت تُولّى فأرسل فى أثرها ، وأمر لها بخادم ونفقة .

فإذا نظرنا إلى الجانب المالى الذى عليه مدار الحياة حسنه وسيئه ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه رجلا تاجرا يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع فلما اُسْتُخْلِف أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها ، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا : « أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ » قال : « السوق » . قالا : « تصنع ماذا وقد وُلِّيتَ أمور المسلمين ؟ » قال : « فمن أين أطعم عيالى ؟ » فقالا : « انطلق معنا حتى نفرض لك شيئا » . فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاه[2] .

---

(1) عن أبى مليكة قال : ربما كان يسقط الخطام من يد أبى بكر فيضرب بذراع ناقته فينحيها فيأخذه . فيقال له : أفلا أمرتنا نناولكه ، فقال : إن حبِيِّ صلوات الله عليه وسلامه ، أمرنى أن لا أسأل الناس حديثا (أخرجه أحمد وصاحبه الصفوة ، انظر الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ١٨٠) .

(2) الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

وجاء فى الرياض النضرة أن رزقه الذى فرضوه له خمسون ومائتا دينار فى السنة وشاة يؤخذ من بطنها ورأسها وأكارِعها ، فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله ، قالوا وقد كان قد ألقى كل دينار ودرهم عنده فى بيت مال المسلمين ، فخرج إلى البقيع فتصافق (بايع) ، فجاء عمر رضى الله عنه فإذا هو بنسوة جلوس ، فقال : « ما شأنكن ؟ » قلن : « نريد خليفة رسول الله ﷺ يقضى بيننا » ، فانطلق فوجده فى السوق فأخذه بيده فقال : « تعالى هاهنا » . فقال : « لا حاجة لى فى إمارتكم[1] ، رزقتمونى مالا يكفينى ولا عيالى » . قال : « فإنّا نَزِيدُك » . قال أبو بكر : « ثلاثمائة دينار والشاة كلها » ، قال عمر : « أما هذا فلا » فجاء على رضى الله عنه وهما على حالهما تلك ، قال : « أكملها له » . قال : « ترى ذلك ؟ » قال : نعم ، قال : « قد فعلنا » . قال : أبو بكر : « أنتما رجلان من المهاجرين لا أدرى أيرضى بقية المهاجرين أم لا ؟ » .

وانطلق أبو بكر رضى الله عنه فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس فقال : « أيها الناس إن رزقى كان خمسين ومائتى دينار وشاة يؤخذ منى بطنها ورأسها وأكارِعُها وإن عمر وعليا كملّا لى ثلاثمائة دينار والشاة . أفرضيتم ؟ » قال المهاجرون : « اللهم نعم قد رضينا » . فقال أعرابى من جانب المسجد : « لا والله ما رضينا فأين حق أهل البادية ؟ » . قال أبو بكر : « إذا رضى المهاجرون شيئا فإنّما أنتم تبع » .

أين البشرية اليوم من أولئك الصحابة رضوان الله عليهم ؟ فإن الخزينة قد أضحت بعدهم بيد أشخاص ينفقون كيف يشاءون ، ويتصرفون كما يريدون ، كما أصبحت لهم نفقات مستورة لا حصر لها ، وفوق هذا فقد تكدست لهم الأموال فى المصارف خارج البلاد ، حتى غدت دول أجنبية تعيش على هذه الأموال لكثرتها وأكثرها يعود إلى أبناء المسلمين . ولعل أفضل حكمة تقال عن المال ما قاله عبادة بن الصامت رضى الله عنه للمقوقس حاكم مصر قبل فتحها أثناء حديثه معه : « لو كانت الدنيا كلها لنا ، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه » .

---

(١) الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

لاشك فإن حكاما كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما هذا عملهم وهذا دأبهم ستستقيم رعيتهم وسينظرون إليهم بعين التقدير والإكبار ، وسيشعرون أنهم فى طمأنينة ، وسيعيشون فى أمن وسلام كل آمن على نفسه وماله وعرضه ، وستكون عندها السعادة ، ولا شك فإن فى كل مجتمع وفى أى وقت عناصر تحاول الإساءة ، وتسعى للفساد ، وترغب فى مصالحها الخاصة إلا أن أعين الخلفاء الراشدين لم تكن غافلة عنهم بل كانت لهم بالمرصاد تجبرهم على الإستقامة والسير على الطريق المستقيم وذلك بالقوة إن لم تجد معهم النصيحة ، إذ لم يكن سلوك أولئك الخلفاء نتيجة ضعف وخوف وإنما نتيجة التربية الإسلامية السليمة والخوف من الله سبحانه وتعالى والسير على منهجه .

ولا شك فإن الإسلام الذى تربى عليه هؤلاء الخلفاء وكانوا أئمة كذلك نشأت عليه الرعية فخافت الله واتقته ، فنصحت لأئمتها ولسائر المسلمين وشعرت بأخوتها لكل أبناء مجتمعها فكانت الأمة الفاضلة ، وخير أمة أخرجت للناس ، وذلك ما داموا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

والمواقف التالية التى التقطناها تؤكد صدق هؤلاء الصحابة مع أنفسهم ، وإن شاء الله مع ربهم ، وتؤكد نظافة مشاعرهم وسلوكهم وتؤكد أنهم كانوا أكبر من أن يتوثبوا ويتنازعوا على الخلافة ، لأنهم قد خرجوا من حَظِّ أنفسهم . كما تؤكد انضباطهم مع كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ .

الموقف الأول :

موقف لصحابة رسول الله من الأنصار فى بيعة العقبة الثانية[1] (العام الثالث عشر من البعثة) :

قال كعب بن مالك : ونمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا

---

(١) وكان مصعب بن عمير قد خرج من المدينة ومعه قومه من الأنصار الذين أسلموا لله رب العالمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أيام التشريق ، وكان مع القوم كعب بن مالك رضى الله عنه .

مستخفين ، حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدى » ؛ قال : « فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له . فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب ، فقال : « يا معشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده » ، فقلنا له : « قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت » .

فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب فى الإسلام ، ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » . فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : « نعم والذى بعثك بالحق نبيا ، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا » ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله ﷺ - أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : « يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها » ، يعنى اليهود - « فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » .

وقد قال رسول الله ﷺ : ﴿ أخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم » ، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس[1] .

وكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القوم ، فلما بايعنا رسول الله ﷺ ، صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط ! يا أهل الجباجب (المنازل) هل لكم فى مُذَمّم والصُبّاء معه ، قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هذا أزَبُّ العقبة ، هذا ابن أزيب » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « ارفضّوا إلى رحالكم » . فقال العباس بن عبادة بن نضلة ؛ « والله الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا » ، فقال رسول الله ﷺ : « لم نؤمر بذلك » ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » .

فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا ، فلمّا أصبحنا غدت علينا جِلّةُ قريش فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإن والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علمنا » وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : « وبعضنا ينظر إلى بعض » .

ونفر الناس من منى ، فتنطس (أى أكثروا البحث) القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا فى طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر (موضع قريب من مكة) والمنذر بن عمرو ، وكلاهما كان نقيبا . فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله (شراك يشد به

---

(١) السيرة النبوية للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ ٢ ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٩٢ - ٢٠٨ عن بيعة العقبة الثانية ، الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ٢ ، ص ٢٦٢ ، برقم ٤٥٠٦ .

الرحل) ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ، ويجذبونه بجمته ، وكان ذا شعر كثير . قال :

« فوالله إنّى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش ، فيهم رجل وضيء أبيض ، شعشاع حلو من الرجال ، فقلت فى نفسى : إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى : « والله ما عندهم بعد هذا من خير فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل ممن كان معهم : فقال : ويحك أما كان بينك وبين أحد من قريش جوار . ولا عهد ؟ قلت : بلى والله لقد كنت أُجيرُ لجبير بن مُطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف تجارة ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما .

« قال : ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلا من الخزرج الآن يضُرب بالأبطح ويهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوار . قال : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة . قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارتنا ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده » .

« قال : فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم ، فانطلق » .

تعليق : إن ما جرى فى بيعة العقبة يعكس لنا صورة صادقة حية لتشبع روح المبايعين من الأنصار بروح الجهاد والفداء بعد أن اعتنقوا هذا الإسلام العظيم ، إنه يعكس لنا روح الانضباط الكامل مع أوامر وتوجيهات رسول الله ﷺ . ولنا مع بعض المسائل وقفات ندعو الله عز وجل أن يلهمنا ما فيها من دروس وعبر يجب أن يتملاها كل العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية ، وكل من أدرك واحب الدعوة إلى الله عز وجل .

فبعد عام واحد فقط من وصول مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف إلى المدينة المنورة يتكون وفد من ثلاثة وسبعين مسلما ومسلمة جاءوا ليبايعوا محمدا ﷺ فى العقبة ؛ فالفترة وجيزة ، ولكن الحصيلة ضخمة تعجز دور العلم

فى أى عصر عن إعدادها أو تدريبها فى أضعاف أضعاف هذا الوقت ؛ وهى تعكس لنا أن رسول الله ﷺ القائد والموجه والمربى قد أحسن إختيار سفيره الأول إلى المدينة المنورة ، وبفضل الله ثم بفضله (مصعب بن عمير) وجده وإجتهاده دخل الإسلام إلى كثير من بيوت الأنصار ، بالمدينة المنورة فى ذلك الوقت . وهذا يعكس لنا أيضا فقها حقيقيا بأصول الدعوة ، وتخطيطا دقيقا .

هذه الفئة المؤمنة التى آمنت بالله ورسوله كانت على أعلى درجات الفقه بالدعوة ومقتضياتها ، وبطبيعة الأرض التى تتحرك عليها . ففى المدينة المنورة حيث اليهود ، أسلمت هذه الفئة ، ولم يحس أحدٌ أبدا بأن لهم علاقة ببعضهم البعض ، علاقة الإسلام التى ميزتهم عن المجتمع الجاهلى الذى كانوا يعيشون فيه ، ولكنهم كانوا يتميزون عنه بمشاعرهم وتفكيرهم وسلوكهم .

لقد كانت النواة المسلمة التى تشكلت بفضل الله ثم بفضل جهود مصعب بن عمير ، مجتمعا مسلما صغيرا ، متماسكا تماسكا دقيقا ، لم يدر عنه المشركون شيئا ، والدليل على ذلك أن بيعة العقبة لم يعرف أهلُ المدينة ولا أهلُ مكة بمكانِها ولا زمانِها ولا حدودها ، يتضح ذلك من رد أهل يثرب على مشركى قريش الذين فاجأوا القوم فى رحالهم : « يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجوه من بين أظهرنا ، وتبايعوه على حربنا ، فانبعث من هناك (الكلام لكعب بن مالك) من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء وما علمنا » .[1]

لقد كان الرسول ﷺ فى مكة ، ومصعب وصحبه فى المدينة ، مسافات وأبعاد ، ووسائل الاتصال بطيئة ، والعيون تترصد محمد وصحبه . ومع هذا لم يعرف أحد من أعداء الدعوة المتربصين بموعد لقاء الرسول محمد ﷺ بإخوانه وأحبابه من الأنصار .

لقد خرج المختارون للبيعة من الأنصار مع قومهم من المشركين فى المدينة فى مناسبة عامة وهى الحج ، ونزلوا معهم فى رحالهم بمنى ، حقيقة إن أجسادهم كانت مع مشركى قومهم ولكن أرواحهم كانت ترفرف حول البيت حيث رسول الله محمد ﷺ بعد أن أسلموا وجوههم لرب العالمين .

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ ، تأليف الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢هـ ، المطبعة السلفية ، ١٣٧٩هـ ، ص ١٥٩ .

يقول كعب بن مالك رضى الله عنه : ونمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى إذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدى » .

الناس نيام والدعاة هُجّع ، وهكذا إذا تمكن الإيمان بالله من قلب إنسان ، أصبحت اليقظة الدائمة دأبه ، لأنه لا ينام إنسان آمن بالله وأدرك تبعات هذا الإيمان ؛ إنهم يحسبون الوقت بدقة ، ويتكتمون أمرهم لنجاح لقائهم بالرسول المصطفى محمد ﷺ ؛ يستيقظون فرادى ، ويتسللون فرادى لا يوقظ واحد منهم الآخر لأن عملية الإيقاظ ، قد تحدث ضجة ، كما أنه لابد من اختيار هؤلاء الذين سيعتمد عليهم الرسول ﷺ فيتوجهون إلى المكان المحدد فى الموعد المحدد .

وهنا سؤال قد يستوقف المؤرخ ، لماذا هذا الحذر ، هل كان نابعا من الخوف ؟ بكل تأكيد لا ؛ لأنهم جاءوا ليبايعوا محمداً ﷺ على حرب الأسود والأحمر من الناس من أجل إزالة العقبات التى تحول بين الناس وبين اعتناق الإسلام .

إذن ليس هنالك من تعليل ، سوى الحرص ، حرص المسلم المكلف على تتبع السبيل الصحيح والوسيلة الآمنة التى توصله إلى هدفه .. هذا الموقف أملاه طبيعة توجيهات هذا الدين ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾[1] أمر لم يترك للاجتهاد[2] .

لم يتكتموا إسلامهم ، والذى تكتم إسلامه ، كان مأمورا بذلك لمصلحة الدعوة ، وإنما لم يتوانوا عن الدعوة إلى الله ، لقد تكتموا طريقة عملهم وحركتهم

---

(١) النساء : ٧١ .

(٢) ما أشبه هذا التصرف بتصرف موسى عليه السلام ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ (القصص ١٥) ؛ ﴿ فخرج منها خائفا يترقب ﴾ (القصص ٢٠) . وبموقف الفتية المؤمنين أصحاب الكهف ﴿ وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ﴾ (الكهف ١٩) ، وبموقف على من أبى ذر الغفارى وهو يبحث عن رسول الله ﷺ : يا هذا إذا رأيتنى أميل على نعلى لأصلحه فاعلم أن هناك من يتبعنى فانصرف لقد وعى المؤمنون الأمر الربانى الذى لا إجتهاد فيه ﴿ يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ (النساء ٧١) .

حينما أخفوا ارتباطاتهم عن أعين المشركين من أجل مصلحة الدعوة . ولزم التكتم .

وهكذا تعلموا فى مدرسة الدعوة كيف يكون العمل لتفويت الفرصة على الجاهلية التى تتربص بدعوة الإسلام ، لتحقيق الغاية من هداية الناس إلى الإسلام . وهؤلاء الأنصار من الصحابة ، هم الذين بايعوا رسول الله ﷺ على « السمع والطاعة ، فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأثره عليهم وألا ينازعوا الأمر أهله ، وأن يقولوا بالحق أينما يكونوا وألا يخافوا فى الله لومة لائم » .

« وحينما أخذ بيد رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة ، فقال : « رويدا يا أهل يثرب ، فإنَّا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجه اليوم ، مناوأة للعرب كافة ، وقتل خيارهم ، وإن تعضكم السيوف . فإمَّا أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه ، وأجركم على الله وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا يا أسعد أمط عنا بيدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها .. »[1] .

« هذه البيعة وما أبرم فيها من مواثيق ، وما دار فيها من محاورات تكشف عن روح اليقين والفداء والاستبسال التى سادت هذا الجمع وتمشت فى كل كلمة قيلت . وبدا أن العواطف الفائرة ليست وحدها التى توجه الحديث أو تملى العهود كلا ، فإن حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم ، والمغارم المتوقعة نظر إليها قبل المغانم الموهومة ... مغانم ؟ أين موضع المغانم فى هذه البيعة ؟ لقد قام الأمر كله على التجرد المحض والبذل الخالص[2] . فأين الدنيا برمتها ، وأين المغانم مهما عظمت فى مواقف رجال يعلمون أنهم سيناولؤن العرب كافة ، وأن اعتناقهم لهذا الإسلام ووقوفهم إلى جانب رسول الله ﷺ وصحبه قد يؤدى إلى قتل خيارهم ، أو أن تعضهم السيوف ، وحينما ينبههم أسعد بن زرارة إلى تلك

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(٢) السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ - ١٩٦ ؛ فقه السيرة ، ص ١٥٩ .

الحقائق ، يجيبون ، إنا لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها » .

فهل من المعقول أن أمثال هؤلاء الرجال يتصارعون ويفترقون من أجل منصب الخلافة ؟ بعد أن أعطوا العهود والمواثيق على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وأثره عليهم وألا ينازعوا الأمر أهله ؟ إن هذا الحوار الذى جرى بين صحابة رسول الله ﷺ يوم العقبة يعكس لنا نظافة فى المشاعر وتضحية وفداء لا يكافئه شىء من متاع الدنيا أنه لم يكن للدنيا أدنى أثر فى تحريك هؤلاء الصحابة صوب السقيفة لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ ، ولكنها الرغبة فى ألا يبيتوا ليلة دون إمامة .

إن تأمل نصوص بيعة الأنصار الثانية فى العقبة لرسول الله ﷺ ، على حرب الأحمر والأسود ، وإعطاء رسول الله ﷺ ما اشترطه لنفسه على القوم كما روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه :

« بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على السمع والطاعة ، فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف لومة لائم » .

وصحابة رسول الله ﷺ من الأنصار ومنهم – سعد بن عبادة – يستحيل أن ينقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ ، لأنهم يعلمون أن يد الله كانت فوق أيديهم يوم بايعوا رسول الله ﷺ ، إنهم بذلك قد بايعوا الله عز وجل .

والجدير بالذكر أنهم بايعوا على أثرة عليهم ، ولذلك حينما ذكّر أبو بكر الصديق رضى الله عنه سعدَ بن عبادة رضى الله عنه : « ولقد علمتَ يا سعد أن رسول الله ﷺ قال : وأنتَ قاعد قريش ولاة هذا الأمر ، بر الناس تبعا لبرهم وفاجرهم تبعا لفاجرهم فقال : سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء[1] .

---

(١) سعد بن عبادة يذعن للصديق بالإمارة : أن سعد بن عبادة لم يعارض ولم يدفع حقا ولا أعان على باطل بل قد روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فى مسند الصديق عن عثمان عن أبى معاوية عن داود بن عبد الله الأودى عن حميد بن عبدالرحمن هو الحميرى فذكر السقيفة وفيه أن الصديق قال : « ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبعا لبرهم وفاجرهم تبعا لفاجرهم قال فقال له سعد : « صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء » .

وثمة شيء آخر أن سعدا بن عبادة كان من السابقين الأولين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وشهدوا بدرا ، ويعلم أنه من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية ، ويعلم أنه يجب أن يسمع ويطيع ولو ولى عليه عبد حبشى كأن رأس أمه زبيبة ويعلم من توجيهات نبيه وحبيبه محمد ﷺ « من رأى من أميره شيئاً يكره فليصبر » ، ويعلم أيضاً أن قد أعطى ميثاقا على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ؛ فهل من المتصور أن يُلقى بكل هذه التوجيهات والأوامر والمواثيق عرض الحائط فى سبيل منصب يعلم أن توليه مسئولية بين يدى الله عظيمة ؟؟ ، هل يبيع آخرته بدنياه ، إن العرض المزعوم لمواقف الأنصار فى يوم السقيفة ، يدحضه ويكذبه مواقفهم المعروفة بيقين فى بيعة العقبة وما عرضناه آنفا .

وحتى لو صح ما قيل عن موقف سعد بن عبادة رضى الله عنه يوم السقيفة ، ألا يشفع له مواقفه السابقة مع رسول الله وصحبته لنصرة دين الله عز وجل .

أن حاطبا بن أبى بلتعة كان له موقف قبل فتح مكة ، دفع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إلى أن يطلب الإذن من رسول الله لضرب « عنق ذلك المنافق » ، (أى حاطب رضى الله عنه كما تصور عمر نتيجة إرساله رسالةإلى قريش يعلمها بفتح مكة) . فلم يأذن رسول الله ﷺ لعمر ، وقال : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال ; « إعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » .

وسعد بن عبادة ، قيل أنه قد شهد بدرا كما أثبت ذلك البخارى . كما أن رسول الله ﷺ كان يعهد إليه براية الأنصار ، كما دعا له محمد ﷺ فقال : « اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » . كما قال محمد ﷺ : « جزى الله عنا الأنصار خيرا لاسيما عبدالله بن عمرو ابن حرام وسعد بن عبادة »[1] .

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ، لشيخ الإسلام ، إمام الحفاظ شهاب الدين الفقيه أحمد بن على ابن محمد بن على الكنانى العسقلانى الشافعى المعروف يابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢) ، (جـ ٢ ، بيروت ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

وسعد بن عبادة كما قدمنا كان عقبيا نقيبا سيدا جوادا . والله سبحانه وتعالى يحب السخى الجواد .

وموقفه يوم الخندق يؤكد أنه كان يفعل ما يفعل حبّا لله ورسوله ، بل وكان يحب الجهاد فى سبيل الله . فحينما شاوره رسول الله ﷺ فى إعطاء عيينة بن حصن يومئذ ثلث ثمر المدينة لينصرف بمن معه من غطفان ويخذل الأحزاب ، فأبى عيينة إلا أن يأخذ نصف الثمر » فكان رأى سعد رضى الله عنه : « يا رسول الله إن كنتَ أمرت بشىء فافعله وامض له ، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف ، والله يارسول الله ، ما طمعوا بذلك منّا قط فى الجاهلية ، فكيف اليوم وقد هدانا الله بك ، وأكرمنا وأيدنا ، والله لا نعطيهم إلا السيف » . فسر رسول الله ﷺ بقوله[1] :

فهل لهذا الصحابى حظ فى نفسه ؟؟

ومع ذلك فإنه من أهل الجنة كما أثبت ذلك للصحابة أبو محمد بن حزم[2] .

والله يزن السيئات ويزن الحسنات ، والله يقول : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾[3] فهل بعد ذلك من فضل وكرم ، ألا يكفى ذلك لكى يكف المغرضون عن الخوض فى أعراض أصحاب رسول الله - ﷺ - .

الموقـف الثانى :

موقف المهاجرين والأنصار فى بدر :

روى الإمام أحمد حدثنا عبيدة - هو ابن حميد - عن حميد الطويل عن أنس قال : استشار النبى ﷺ مخرجه إلى بدر فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم

---

(١) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، للفقيه الحافظ المحدث القرطبى المالكى (٣٦٣ - ٤٦٣ هـ) ، جـ ٢ ، بيروت ، ص ٣٢ - ٣٨ ، وهو مع كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر .

(٢) الإصابة ، جـ ١ ، ص ١٩ .

(٣) هود : ١١٤ .

فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار : « إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار ، فقال بعض الأنصار : يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن والذى بعثك بالحقِّ لو ضربت أكبادَها إلى برك الغماد لاتبعناك[1] .

وقال أحمد أيضا حدثنا عفان ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان ، قال : فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقال سعد بن عبادة إيانا يريد رسول الله ﷺ ، والذى نفسى بيده ، لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا » .

هذا هو موقف المؤمنين . بين مهاجر باع فى سبيل الله نفسه وماله ، وأنصارى ربط مصيره وحاضره بهذا الدين الذى افتداه وآوى أصحابه .

فهل من المعقول أن هؤلاء قد انقلبوا بين يوم وليلة بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى مجموعة من الانتهازيين الذين يفترقون من أجل منصب الخلافة ؟؟ .

الموقـف الثالث

سعد بن معاذ يعبر عن رأيه ورأى الأنصار فى خروج رسول الله ﷺ لغزوة بدر الكبرى :

إن هؤلاء الصحابة قد خرجوا من حظ أنفسهم ، ومن الدنيا برمتها ، طالبين لشىء واحد هو الجنّة :

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ٢٦٣ ، وهذا إسناد ثلاثى صحيح على شرطا الصحيح ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٣٩٢ .

« يا رسول الله إيانا تريد ؟ فو الذى أكرمكَ وأنزل عليكَ الكتابَ ما سلكْتها قط ، ولا لى بها علم ، ولئن سرتَ حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن ، لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون ، ولعل أن تكون خرجتَ لأمرٍ وأحدثَ الله إليك غيرَه فانظرْ الذى أحدث الله إليك فامض فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئتَ ، وعاد من شئتَ ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئتَ ..»[1] .

فهل يمكن أن يزعم زاعم أن مثل هذا الصدر الأول يمكن أن يتنازع على الدنيا برمتها ، لقد كانوا يعرفون قدر الدنيا ، وقيمتها الحقيقية ، لعب ولهو وزينة وتفاخر ، ويعرفون قدر الآخرة ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾[2] ، ومن أجلها كانوا يعملون ، حول جنتها كانوا يرفرفون بأرواحهم .

الموقــف الرابع

موقف الحُباب بن المنذر رضى الله عنه فى بدر :

الرسول محمد ﷺ الذى ما ينطق عن الهوى يشيد بصواب رأى الحباب بن المنذر ، بصورة تقطع أنه لا يمكن أن يصدر عنه ما نسبه إليه يوم السقيفة فالحباب بن المنذر بن الجموح يشير على رسول الله ﷺ فى غزوة بدر :

يا رسول الله أرأيتَ هذا المنزل أمنزلا أنزلَكَهُ اللهُ ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال يا رسول الله : فإن هذا ليس بمنزل فامضِ بالناس حتى تأتى أدْنَى ماءٍ من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماءاً

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٣٩٣ ؛ البداية والنهاية ، جـ ٣ ٢٦٤ ، تهذيب سيرة ابن هشام ، ص ٥٧ ؛ محمد الغزالى ، فقه السيرة ، ط ٦ ، ٢٣٨ ؛ مختصر سيرة الرسول ﷺ ، ص ٢٠٩ .

(٢) العنكبوت : ٦٤ .

ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : « لقد أشرت بالرأى » .

وهنا نلمح استعداد الحباب إلى النزول على أمر الله ، إذا كان الله قد أنزلهم منزلا ليس لهم أن يتقدموه ؛ فهل من المتصور عندما يتبين له فى بيعة السقيفة ، أن أبا بكر أحق بالخلافة ، ويرى الحضور من المهاجرين والأنصار يبايعون أبا بكر ويجتمع شمل المسلمين ، ينبرى هذا الصحابى الجليل ليقول كلمات نسبها إليه كتاب الإمامة والسياسة[1] ، من شأنها أن تضرم نيران العصبية والتطاحن بين المسلمين . مع أنه قد بايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى المنشط والمكره وعلى أثرة عليه . وأن يسمع ويطيع ولو ولى عليه عبد حبشى ، هذا الموقف الذى ذكره كتاب الإمامة والسياسة عن الحباب لم يثبته النقل الخاضع للجرح والتعديل . ولا يمكن أن تكون تلك الكلمات صادرة عن صحابى شهد له رسول الله ﷺ بسداد الرأى فرضى الله عن صحابة رسول الله أجمعين .

الموقـف الخامس

موقف لأبى بكر فى مكة فى بداية الدعوة :

إذا تصورنا طبيعة المجتمع المكى الذى تسلط عليه طواغيت قريش الذين ما كانوا ليسمحوا بأن يرتفع للحق صوت يجهر بـ لا إله إلا الله ، وإذا تصورنا خطوات الدعوة الوليدة ، وهى تتحرك بحذر شديد ، حتى لا يسْمَعَ صُوت حركتها ، وفى تلك اللحظة التى كان المؤمنون قلة ، كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أوّل الناس إسلاما . كما أن قبول الدعوة لم يقف عنده فحسب ، ولكن الدعوة وصلت إلى قلبى ابنتيه أسماء وعائشة وهما يومئذ صغيرتان . فأسلمتا لله رب العالمين .

---

(١) المنسوب إلى الإمام الفقيه أبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيورى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) وهو المعروف بتاريخ الخلفاء تحقيق د. طه محمد الزينى ، جـ ١ ، مؤسسة الحلبى ، ص ١٥ ، ويرى الشيخ محب الدين الخطيب ، إنه ليس من وضع ابن قتيبة ولكنه مدسوس عليه (انظر العواصم من القواصم ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ ؛ « موقف ابن قتيبة من عقيدة السلف » رسالة ماجستير أعدها الباحث على نفيع العليانى كلية الشريعة جامعة أم القرى) ؛ وفيها يذكر عدداً من الأدلة والبراهين التى تؤكد أن كتاب الإمامة والسياسة مدسوس على ابن قتيبة ، وسنفرد لذلك مقالة خاصة - إن شاء الله .

فى الوقت الذى كان أصحاب رسول الله ﷺ – وهم قليل – إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب ، فاستَخْفُوا لصلاتهم من قومهم ، كان أبو بكر أسبق الناس إسلاما ، لم يرهبه تربص المشركين ، ولا تهديدات الكافرين .

ألا يعنى ذلك أن أبا بكر قد باع نفسه ﷺ ، ليس من أجل الدنيا ، ولكن من أجل الآخرة ، لأنه ماذا كان يمكن لرسول الله ﷺ أن يقدم لأبى بكر الصديق وأسرته فى مقابل تضحيتهم بأنفسهم وأموالهم ، لا شىء سوى الوعد بالجنة . إذن أبو بكر كان أعظم من أن يتوثب على الخلافة(1) .

الموقف السادس

موقف آخر للصحابى الجليل أبو بكر الصديق رضى الله عنه :

أبو بكر رضى الله عنه يلح على رسول الله ﷺ فى الظهور بدينه :

ألحَّ أبو بكر الصديق رضى الله عنه على رسول الله ﷺ على الظهور بدينهم ، والإعلان عن إسلامهم . ولما اجتمع أصحاب النبى وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا قال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إنا قليل » . فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون فى نواحى المسجد كل رجل فى عشيرته ، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالس فكان أوَّلَ خطيبٍ دعا إلى الله ورسوله ﷺ .

وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمون فَضُرِبُوا فى نواحى المسجد ضربا شديدا ، ووُطِىَء أبو بكر وضُرِبَ ضَرْباً شديدا ودنا منه الفاسقُ عتبةُ بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحّرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبى بكر ، حتى ما يُعْرف وجهُه من أنفه ، وجاء بنو تَيم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبى بكر ، وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته ، ثم رجعت بنو تيم ، فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر ، لنقتلن عتبة بن ربيعة ، فرجعوا إلى أبى بكر ، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ، فمسّوا منه بألسنتهم وعزلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير ، أنظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه فلما

---

(1) الإصابة فى تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ، فقالت والله ما لى علم بصاحبك . فقال اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمدٍ بن عبدالله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله . وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح ، وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟. قالت : هذه أمك تسمع . قال : فلا شىء عليك منها ، قالت : سالم صالح . قال : أين هو ؟ قالت : فى دار الأرقم ، قال : فإن لله على أن لا أذوق طعاما ولا شرابا ، أو آتى رسول الله ﷺ(1) . فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكت الناس ، خرجتا به يتكىء عليهما ، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، قال : فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلمون ، ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة ، فقال : بأبى وأمى يا رسول الله ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى ، وهذه أمّى بَرّة بولدها ، وأنت مبارك ، فادعها إلى الله وادع الله لها ، عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت .

هذه صورة لصحابى أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من نفسه ، لم يعد يهمه - بعد إسلامه - إلا أن تعلو راية التوحيد ، ويرتفع النداء لا إله إلا الله محمد رسول الله فى أرجاء مكة حتى لو كان الثمن حياته ، وكاد أبو بكر فعلا أن يدفع حياته ثمنا لعقيدته وإسلامه .

أين حساب الدنيا والمغانم فى حياة هذا الصحابى الجليل ، حتى لو كانت الإمامة ؟؟(2)

---

(1) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٣٠ ، عن عبدالله بن محمد عن أبى محمد بن عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة .

(2) هذه الواقعة بيان عملى من رسول الله ﷺ لأصحابه بألا يظهروا نظرا لقلة عددهم ولضعف شوكتهم ، حتى لا تنقض عليهم قوى الجاهلية فتئِد الدعوة الوليدة فى مهدها ، كما تبين لنا أن الجاهلية =

ومن خلال هذا الموقف أن نتبين :

★ أن أبا بكر كان له فضل السبق إلى الإسلام ، فى الوقت الذى عز فيه النصير ، وقل فيه المعين ، والداخل إلى الإسلام فى هذه الظروف – من غير المتصور – أنه كان يهدف إلى تحقيق مكاسب شخصية .

★ إصرار أبى بكر على الظهور بدعوة الإسلام وسط الطغيان الجاهلى ، رغبة فى إعلان الناس بذلك الدين الذى خالطت بشاشته القلوب ، رغم علمه بالأذى الذى قد يتعرض له وصحبه وما كان ذلك إلا لأنه قد خرج من حظ نفسه .

★ حبُّ اللهِ ورسولهِ طغى فى قلب أبى بكر على حبه لنفسه ، بدليل أنه رغم ما ألم به ، كان أول ما سأل عنه : ما فعل رسول الله ﷺ ، قبل أن يطعم أو يشرب ، وأقسم أنه لن يفعل حتى يأتى رسول الله ﷺ ، وهكذا يجب أن يكون حب الله ورسوله ﷺ عند كل مسلم أحب إليه مما سواهما ، حتى لو كلفه ذلك نفسه وماله .

★ وهنا لا يفوتنا أن نذكر موقف أم جميل بنت الخطاب ، وكيف تربت على حُبَّ الدعوة والحرص عليها ، وعلى الحركة لهذا الدين ، فحينما سألتها أم أبى بكر عن رسول الله ﷺ قالت : « ما أعرف أبابكر ولا محمد بن عبدالله »ويتجلى الموقف الحذر من الجاهلية التى تفتن الناس عَن دِينهم فى خروج الثلاثة عندما : « هدأت الرجل وسكت الناس » .

★ استهانة أبى بكر بما يصيبه فى سبيل الله : « بأبى وأمى يا رسول الله ﷺ ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى » .

★ البر بالوالدين : « هذه أمى برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار » . إنه الخوف من النار والرغبة فى الجنة ..

وهنا تظهر أهمية الدعاء فهو العبادة ، لقد دعا رسول الله ﷺ لأم أبى بكر بالهداية ، فاستجاب الله له ، وأسلمت أم أبى بكر لله رب العالمين .

= لا يزعجها سوى ارتفاع الأصوات بنداء التوحيد ، كما تبين لنا قيمة الانضباط والجندية والتكتم فى موقف أم الخير وموقف أم جميل بنت الخطاب .

الموقف السابع

عزم الصديق على الهجرة إلى الحبشة :

تروى عائشة رضى الله عنها ، قالت : لم أعقل أبواى قط إلا وهما يدينان الدينى ،ولم يمر علينا يوم (إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ) طرفى النهار بكرة وعشية ، فلمّا ابتلى المؤمنون ، خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة . حتى إذا بلغ برك الغماد ، لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى . فقال ابنُ الدغنة فإنَّ مثلَك يا أبا بكر لا يَخْرُج ولا يُخْرَجَ مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويَحمل الكلّ ويقرى الصيف ويُعن على نوائب الحق؟ وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره . ويصل فيها وليقرأ ما شاء الله ، ولا يؤذينا بذلك لا بستغلن به ، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر ، فلبث أبو بكر يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدأ لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فكان نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلا بكـاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم . فقالوا إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربَّه فى داره ، فقد جاوز ذلك ، فابتنى مسجدا بفناء داره ، فأعلن فى الصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن أبناؤنا ونساؤنا ، فإن أحب على أن يقتصر أن يعبد ربه فى داره فعل ، وإن أبى

إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فإنا قد كرهنا نخفرك ، ولسنا مقرين لأبى بكر الإستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمت الذى عاقدت عليه قريش فإمَّا أن تقتصر على ذلك وإما أن تردّ إلىّ ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى قد أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر : فإنى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل[1] ... وحين خرج من جوار ابن الدغنة ، يعنى أبو بكر ، لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابا ، فمر بأبى بكر ، الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل – فقال له أبو بكر رضى الله عنه : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ، فقال : أنت فعلت ذلك بنفسك ، وهو يقول : « ربى ما أحلمك ، أى ربى ما أحلمك ، أى ربى ما أحلمك »[2] .

ولا يفوتنا هنا أن نقف لنتأمل هذه المواقف المشرقة المعطاءة المربية ، لقد كان أبو بكر فى عز من قومه قبل بعثة محمد ﷺ فها هو ابن الدغنة يقول له : « مثلك يا أبابكر لا يَخْرُج ولا يُخْرَج مثله ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

إذن فأبو بكر لم يدخل فى دين الله ، طلبا لجاه أو سلطان ، وما دفعه إليى ذلك إلا حب الله ورسوله ما ما يترتب على ذلك من ابتلاءات . أى أنه لم يكن له تطلعات سوى مرضات الله تعالى ، إنه يريد أن يفارق الأهل والوطن والعشيرة ليعبد ربه لأنه حيل بينه وبين ذلك فى وطنه إن عبادة الله تفزع الجاهلية ، إن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، يفزع المشركين ، وارتفاع الصوت بكلام الله يرعبهم : ﴿ إنا خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا فانهه ﴾ وصدق الله العظيم : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ (البروج ٨) .

والموقف يبين لنا أهمية العكوف على تلاوة كتاب الله عز وجل وتدبر معانيه والعمل بما فيه . كما يبين لنا الأثر الذى يمكن أن ينشئه كتاب الله عز وجل فى

---

(١) يقول ابن كثير : « ثم ذكر تمام الحديث فى هجرة أبى بكر رضى الله عنه على رسول الله . كما سيأتى مبسوطاً ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٩٤ – ٩٥ . السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٦٥ .

(٢) رواه ابن كثير عن ابن إسحاق عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ؛ البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٩٥ ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

نفوس بنى البشر ممثلا فى نوعية الصديق ، كما يبين لنا نوعية المسلم الذى يمكن أن يتربى على كتاب الله عز وجل ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يتلو القرآن على المدعو إلى دين الله عز وجل . وهذا يعنى أيضا أنه لو خُلِّى بين الإنسان وربه لاختار دين الله على ملة الجاهلية ، وإلا ما خشى المشركون أن يفتتن أبناؤهم ونساؤهم من قراءة أبى بكر – رضى الله عنه – للقرآن .

أين الدنيا فى حياة أبى بكر الصديق الذى طلق الدنيا ، وخرج من ماله وأولاده ووطنه مهاجرا إلى الله ، حتى يعبد ربه .

إنها التضحية بكل زينة الدنيا ، من مال وأولاد وعشيرة ووطن مرضات لله ورسوله ، فهل مثل هذا الصحابى يمكن أن يستشرف للخلافة وهو يعلم إنها لأمانة ، وإنها يوم القيامة لخزى وندامة إلا من أخذها بحقها .

الموقف الثامن

صحبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه لرسول الله ﷺ فى هجرته من مكة إلى المدينة[1] ؛ ومن خلالها تبدو جملة مواقف جديرة بالإهتمام والدراسة :

أولا : أبو بكر الصديق يتسأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة ، فقال له : « لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً » . أبو بكر لم يشغله أبناؤه الصغار ولا والده وأمه الذين سيخلفهم وراءه فى مكة ، عن الهجرة بدين الله عز وجل ، لأنه يريد أن يباشر الدعوة فى مكان آخر ، فهل مثل هذا الصحابى حريص على الدنيا ؟ .

ثانيا : يقظة أبى بكر الصديق ، وإدراكه لاحتياجات الهجرة ، فها هو يبتاع راحلتين يحبسهما فى داره يعلفهما إعدادا لذلك . دون أن يطلب منه الرسول ﷺ ذلك .

---

(١) الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ – ١٧٤ ؛ البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ وما بعدها ؛ السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ وما بعدها .

ثالثا : حرص الرسول ﷺ وصحبه على السرية التامة ، فها هو رسول الله ﷺ يطلب من أبى بكر أن يُخْرِجَ عنه من عنده ، حتى لو كانتا ابنتاه الصغيرتان عائشة وأسماء ، وكان يمكن أن يستجيب أبو بكر لتوجيهات النبى القائد ، دون أن يتردد ؛ ولكنه قد علم ابنتيه معنى حفظ السر التكتم ولذلك فقد رد عليه قائلا : « يا رسول الله إنما هما ابنتاى » وقد برهنت الأحداث على صدق أبى بكر وحسن تربيته .

رابعا : فرح أبو بكر فرحا شديدا لصحبة النبى ﷺ ، فلم يحفل ولم يتردد فى ترك والده ، وأمه وأولاده الصغار وسط طغاة قريش ، بدليل قولة عائشة : « فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى » ؛ إن الله ورسوله كانا أحب إليه من نفسه وولده[1] .

خامسا : أبو بكر يُعرِّضُ أبناءه لمخاطر شتى أثناء قيامهم بالمهمات التى كلفوا بها معاونة له ولرسول الله ﷺ فى الهجرة ، لأن الله ورسوله أحب إلى أبى بكر مما سواهما .

فها هو أبو بكر الصديق يأمر ابنه عبدالله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحهما عليهما إذا أمسى فى الغار .

وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ؛ قالت أسماء : « ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قالت ، قلت : لا أدرى والله أين أبى قالت : فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشا خبيثا - فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا » .

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ ؛ السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .

ولم يقف الأمر عند حد التضحية بالنفس . والأبناء ، والأب والأم ، ولكن ذهب إلى أبعد من ذلك ، إلى التضحية بالمال (١)

« وخرج أبو بكر مع رسول الله » ، واحتمل أبو بكر مالَه كلَّه معه خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه ، تقول أسماء : « فدخل علينا جدى أبو قحافة - وقدْ ذهب بصُره - فقال : والله إنِّى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه وقالت قلت كلا يا أبت إنه قد ترك خيرا كثيرا ، قالت وأخذت أحجارا فى كوة البيت الذى كان يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم لا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن اسكِّنُ بذلك » .

وأثناء الطريق ، وعندما خرج النبى ﷺ ، وأبو بكر إلى ثَور ، فجعل أبو بكر يكون أمام النبى ﷺ مرة ، وخلفه مرة . فسأله النبى ﷺ عن ذلك فقال : « إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك . وإذا كنتُ أمامك خشيتك أن تؤتَى من خلفك »(٢) . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبوبكر كما أنت حتى أدخل يدى فأحسه وأقصه فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك : ولذلك فقد قال عمر بن الخطاب فى هذه الواقعة : « والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبى بكر خير من آل عمر »(٣) .

هل مثل هذا الصحابى ، كان له حظ فى نفسه ؛ ما هى الغاية ؟ إنه إرضاء الله عز وجل ليس إلا ،أين الرغبة فى الزعامة هنا ، أو فى أى شيء من متاع الدنيا ، إنسان معرض للموت فى كل لحظة ،لأنه يصر على أن يفتدى رسول الله ﷺ بنفسه ، هل فعل ذلك لأنه كان على يقين من أن رسول الله ﷺ الذى خرج من مكة مطاردا ، سينشيء دولة إسلامية ، وسيستخلف أبا بكر من بعده ؟؟؟ أبدا وما كان لإنسان أن يتوقع ذلك نظرا للظروف الصعبة والقاسية والحرب

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .
(٣) البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

الضارية التى كانت تتعرض لها الدعوة فى ذلك الحين . ليس لذلك من تفسير ، إلا حب الله ورسوله الذى ملك على أبى بكر مشاعره ، نتيجة تشبعه بروح الإسلام ، فقد كان أبو بكر إسلاما يتحرك على قدميه فرضى الله عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ .

الموقف التاسع

أبو بكر الصديق ينصح بعدم طلب الإمارة ، لأن الأمير أطول الناس حسابا وأغلظهم عذابا :

أخرج ابن المبارك عن رافع الطائى قال :

صحبت أبا بكر رضى الله عنه فى غزاة فلما قفلنا قلت :

« يا أبا بكر أوصنى قال : أقم الصلاة المكتوبة لوقتها ، وأدّ زكاة مالك طيبة بها نفسك ، وصم رمضان وحج البيت وأعلم أن الهجرة فى الإسلام حسنى وأن الجهاد فى الهجرة حسنى ، ولا تكونن أميرا ، قال : قلت إنه ليخيل إلى أن أمراءكم اليوم خياركم فقال : إن هذه الإمارة اليوم يسيرة وقد أوشكت أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها بأهل وأنه من يك أميرا فإنه من أطول الناس حسابا وأغلظهم عذابا ومن لا يكن أميرا فإنه من أيسر الناس حسابا ، وأهونهم عذابا ، لأن الأمراء أقرب من ظلم المؤمنين ، ومن يظلم المؤمنين ، فإنّه يخفر الله — أى ينقض عهد الله — هم جيران الله وهم عواذ الله ، والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره أو بعير جاره فيبيت وارم العضل فيقول : شاة جارى وبعير جارى فإن الله أحق أن يغضب لجيرانه . (١)

تعليق :

فهل مثل هذه الكلمات يقولها رجل يحرص على الإمارة ؟

هذه الكلمات تؤكد لمن يقرأها أو يسمعها أنها صادرة عن يقين بالله

---

(١) الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

ورسوله ، وعن قلب يخاف الحساب والعقاب ، ويخشى الوقوف بين يدى الله للحساب عن رعيته ، فيخاف أن يكون قد ظلم مؤمنا ، وهذا محتمل الوقوع بالنسبة للحاكم المسلم دون أن يدرى . وفى هذه الوصية تبدو جملة من المسائل التى نأمل أن يتملاها الشباب المسلم والفتيات المسلمات ، لأنهن أمهات المستقبل . نأمل أن يتملاها المسلمون رعاة ورعية ليدركوا كيف يربى الله عز وجل : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ﴾[1] ليروا الأسوة ، ويروا القدوة فى النماذج التى تربت بالإسلام ، وعلى يد رسول الله ﷺ :

١ – حرص الإمام المسلم .. الراعى المسلم على أن يكون كل فرد من رعيته . عبدا لله ، يعرف كيف يقف بين يدى الله عابدا متبتلا وذلك يعنى : أن من واجب الراعى بالدرجة الأولى أن يعلم الناس ويربيهم على أن يكونوا عبيدا لله عز وجل .

٢ – أهمية العبادات : الصلاة لأنها عماد الدين ، والزكاة والصوم والحج .

٣ – أهمية الجهاد فى سبيل الله ، وهو يفوق فى مرتبته الهجرة : ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، والذين آووا ونصروا ، أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير ﴾[1] .

٤ – عدم طلب الإمارة « ولا تكونن أميرا » تماما كما أوصى رسول الله ﷺ ، أبا ذر الغفارى « وإنَّها أمانة وإنَّها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها »[2] ولذلك فإن أبا بكر الفاهم الواعى لكلام حبيبه محمد ﷺ قال : « وأنه من يك أميرا فإنه من أطول الناس حسابا ، وأغلظهم عذابا ،

---

(١) الأحزاب : ٢٣ .

(٢) الأنفال : ٧٢ .

(٣) رواه مسلم .

ومن لا يكن أميرا فإنه من أيسر الناس حسابا ، وأهونهم عذابا » .

وهذا يعكس لنا إحساس الصديق رضى الله عنه بالتبعة العظيمة ، تبعة الإمارة يخشى أن يظلم مؤمنا ، فينقض بذلك عهده مع الله عز وجل .

لا ندرى هل الأساتذة الذين كتبوا عن أبى بكر والمهاجرين والأنصار وبيعة السقيفة أتيح لهم الاطلاع على هذا الأدب الراقى أم لا ؟؟ هل شاهدوا هذه الصورة تتكرر فى حياة البشرية ؟ هل شاهدوا المظالم التى يتعرض لها – لا أقول – آلاف بل ملايين من بنى البشر ، لهم رعاة كالذئاب ، رغم أن لهم مجالس تسمى دستورية ، ولهم أنظمة يسمونها ديمقراطية ، حتى يقولوا لنا هل دولة الإسلام على عهد أبى بكر رضى الله عنه كانت دستورية ؟ أم لا ؟ ..

٥ – إن الله حرم الظلم على نفسه ، ونهى عباده أن يتظالموا ، أن يظلم بعضهم بعضا ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ، كما نهى عن ظلم المؤمنين لأنهم أولياء الله « من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب »[١] . وهم جيران الله ، وهم عواذ الله ، والله أحق أن يغضب لجيرانه .

٦ – على عهد الصدر الأول كان أمراء الأمة خيارها ، وجاء وقت فشا أمرها (الإمارة) وكثرت حتى نالها من ليس لها بأهل : « إن هذه الإمارة ليسيرة ، وقد أوشكت أن تفشوا حتى ينالها من ليس لها بأهل » ونسى أصحابها أنه « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة »[٢] .

وبعـــد !!!

فهل كان الصديق رضى الله عنه حريصا على الإمارة ، هل كان حكمه يقوم على غير الشورى ؟؟ .. هل كان حكمه استبداديا مطلقا ؟؟ .. هل تركه

---

(١) أورده البخارى فى حديث طويل بلفظ « .... من عادى لى وليا ... » فى الرقاق باب التواضع ١٣١/٨ . كما أورده الإمام أحمد فى المسند بلفظ « .. من أذل لى وليا فقد استحل محاربتى .. » المسند ٢٥٦/٦ .

(٢) وفى رواية : « فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة » وفى رواية لمسلم : « ما من أمير يلى أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » .

الصحابة يحكم حكما مطلقا ؟؟ .. ألا يخاف الكتَّابُ يوم العرض على الله عز وجل ؟؟ .. ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ، بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾ (١) ألا يدرك الكتاب أن الكلمة أمانة ، ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ (٢). ألا يخافون يوما يعرضون فيه على الله عز وجل ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ (٣). ﴿ وقالوا لجلودهم : لما شهدتم علينا ، قالوا : أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ﴾ (٤).

الموقف العاشر

وصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان ، (وقد شيعه ماشيا) :

« إنى قد وليتك لأبلوك وأجربك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك وإن أسأت عزلتك . فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك ، وإن أولى الناس بالله أشدّهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدّهم تقربا إليه بعمله . وقد وليتك عمل خالد بن سعيد فإياك وعبية الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها . وإذ أقدمت إلى جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه . وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس . وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها ولتخشع فيها ، وإذ أقدم عليك رسول عدوّك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تريثنهم فيروا خللك ويعلموا علمك . وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تكتم عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار وتنشكف عندك الأستار وأكثر حرسك .. » إلى آخر ما ورد فى الوصية ؛

---

(١) الكهف : ٤٨ .
(٢) ق : ١٨ .
(٣) النور : ٢٤ .
(٤) فصلت : ٢١ .

تعليـق :

هذه هى وصية الراعى لأحد أفراد رعيته ، طالما تطلعت البشرية إلى تطبيقها فى واقعها . إنها وصية تدل على يقظة الراعى حيال رعيته ، وتعكس ورعه ، وخشيته لله سبحانه وتعالى ، وتعكس قبل كل ذلك ، كيف صنع الله هؤلاء الرجال بهذا الإسلام العظيم . ومن هذه الوصية يبدو عدة أمور هامة للحاكم المسلم والمحكوم على السواء :

أولا : أن الولاية أمانة .

ثانيا : أن الوالى لابد وأن يتقى الله عز وجل فى نفسه وفى رعيته .

ثالثا : أن الله يبغض العصبية القبلية لأنها من عبية الجاهلية .

رابعا : إحسان صحبة الرعية .

خامسا : تخول الرعية بالموعظة الموجزة .

سادسا : على الراعى أن يكون قدوة وأسوة فى السلوك الطيب ، فإذا صلح الراعى صلحت الرعية « عففت فعفت الرعية ، ولو رتعت لرتعوا » .

سابعا : إقام الصلاة مع إتمام ركوعها وسجودها .

ثامنا : عدم إعطاء الفرصة لرسل أعداء المسلمين « كالسفراء ومن يعاونهم اليوم » ، لإقامة طويلة بين ظهرانى المسلمين حتى لا يتعرفوا على عورات المسلمين .

تاسعا : عدم السماح لرعايا الدولة الاتصال بالأجانب حتى ، لا تتسرب أسرار الدولة المسلمة عن طريقهم .

عاشرا : إن على الراعى عند الاستشارة أن يصدق الحديث حتى يصدق المشورة ، وأن لا يكتم عن المشير خبره ، لئلا يؤتى من قبل نفسه .

وهكذا تعكس لنا هذه الوصية فقه بالسياسة وفقه بالعسكرية ، وفقه بالدين ، ومعرفة بأساليب الأعداء .

ومن هنا كان اشتراط الإسلام والعلم والخبرة السياسية والإدارية والفقه فيمن يلى أمر المسلمين . وهكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه .

فهل يستطيع الكتاب العظام أن يعطونا نموذجا لمثل الحكومة الإسلامية على عهد الصديق رضى الله عنه ، غير الدستورية ؟؟ .. والاستبدادية ؟؟ ..

الموقف الحادى عشر

على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : « إن أبا بكر رضى الله عنه هو أشجع الناس » :

وها هو البزار فى مسنده يروى حديثا لمحمد بن عقيل عن على رضى الله عنه أنه خطبهم فقال : يأيها الناس من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنى ما بارزنى أحد إلا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا ، فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى عليه أحد من المشركين ، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوى إليه أحد إلَّا أهوى إليه فهذا أشجع الناس . قال ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش فهذا يُحَادُهْ ، وهذا يتلتله ويقولون أنت جعلت الآلهة إلها واحدا فوا لله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع علىّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته . ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو ؟ فبكت القوم ، فقال علىّ : « فوالله لساعة من أبى بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه » .

هذا هو على ورأيه فى أبى بكر . هل يمكن ، لهذا الصحابى أن يرى نفسه أحق بالخلافة من أبى بكر ؟ هؤلاء الصحابة لم يكن لهم باطن غير الظاهر ، ظاهرهم كباطنهم نقى نقاء الثوب الأبيض .

أين هذه الصور المشرقة فى كتب الذين يشتغلون بالتاريخ ؟ لماذا لا ينشرونها ، لماذا لا يركزون الأضواء عليها ، لماذا لا يستلهمونها العبرة والدروس النافعة ، لماذا الحرص على طمس ملامح الأسوة والقدوة الحسنة ، لماذا الحرص على التجاهل والتجهيل بهذه الأسوة الحسنة ؟ إن هذا اعتراف من على بن أبى طالب بفضل الصديق ، وشهادة على نقاء سريرة ... صحابة رسول الله ، ذلك الجيل القرآنى الفريد الذى لم يتكرر قط ، لماذا الحرص على تشويه تلك

الصورة الجميلة ؟؟ لا شك أنها الرغبة فى رد المسلمين كفارا حسدا من عند أنفسهم .

الموقف الثانى عشر

على رضى الله عنه يشيد بفضل أبى بكر رضى الله عنه :

وذكر الإمام النووى فى كتابه تهذيب الأسماء واللُّغَات ، جـ ٢ ، ص ١٩١ عن على بن أبى طالب أنه قال : « قدَّم رسول الله أبا بكر يصلى بالناس ، وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مريض . ولو شاء أن يقدمنى لقدمنى ، فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا »(١) .

وأخرج البخارى وأحمد ، عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى (يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه) : أى الناس خير بعد النبى ﷺ ؟ قال : أبو بكر قلت : ثم من ؟ قال : عمر وخشيت أن يقول عثمان . قلت : ثم أنت ، قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين(٢) .

وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال للسائل : « على الخبير سقطت ، كانا والله إمَامَى هدى ، هاديين مهديين ، راشدين مرشدين ، مصلحين ، منجحين ، خرجا من الدنيا خميصين » .

وقال : « جعل الله أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما إلى يوم القيامة ، فسبقا والله سبقا بعيدا ، واتعبا من بعدهما إتعابا شديدا » .

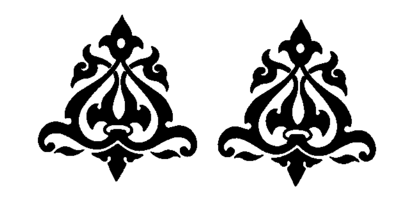
وجاء رجل إلى على رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبى بكر ، وأنت أسبق منه سابقة ؟ فقال على : سبقنى أبو بكر إلى أربع لم أوتهن ، ولم أعتض منهن بشىء ، سبقنى إلى إفشاء الإسلام ، وقدم الهجرة ، ومصاحبة النبى فى الغار . وإتمام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب ، يظهر الإسلام وأخفيه ، وتستحقرنى قريش وتستوفيه . والله

---

(١) الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ١٩٦ .

(٢) فتح البارى ، جـ ٧ ، ص ٢٠ ص ٣٦٧١ .

لو أن أبا بكر زال عن مزيته ، ما بلغ الدين العبرين ، لكان الناس كرعة ككرعت طالوت ، ويلك إن الله ذم الناس ، ومدح أبا بكر فقال : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ . فرضى الله عن أبى بكر .



الجـــزء الثانى

وفاة الرسول محمد ﷺ
صحابة رسول الله ﷺ فى سقيفة بنى ساعدة
تحليل وتقويم فى ضوء العقيدة الإسلامية

بعد وفاة النبى ﷺ خشى المسلمون أن يبيتوا ليلة دون إمامة أو إمارة أو خلافة ، والمسلمون الأنصار والمهاجرون ، كانوا إيجابيين يعلمون أن الحكم من الإسلام[1] ، وأنه لابد من إقامة شرع الله ونظامه ، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان هناك خليفة ، ولذلك كان لابد أن تتحرك كل قوى المجتمع الإسلامى للحفاظ على كيان الدولة الإسلامية ، لابد من تدبير الأمر خشية الوقوع فى الفتن لعدم وجود خليفة للمسلمين ، الأنصار بدأوا يعدون لهذا الأمر ، لأنهم هم الذين قامت على أرضهم وبفضل الله ثم بمساندتهم أول دولة إسلامية على أرض المدينة بعد بعثة محمد ﷺ . ولكن ليس الذى يحركهم العصبيةُ ، والحرصُ على الإمامة أو الخلافة أو الرغبة فى السبق ، ولكنه الحرص على وحدة المسلمين وعلى كيان الدولة الإسلامية ، من هذا المنطلق اجتمعوا ليختاروا من يصلح لهذا الأمر ، وفيهم صحابة رسول الله ﷺ ، وخاصة سعد بن عبادة الذى كان نقيبا فى بيعة العقبة الثانية .. إن الذى حركهم هو العبودية لله ، لقد خشوا أن يبيتوا ليلة واحدة دون إمامة بعد موت النبى ﷺ . فتركوه مسجًّى فى فراشته واجتمعوا لإقامة إمام من بينهم . فالسفينة بلا ربان والأمة بلا إمام ، والإمامة جزء من الإسلام ، وإقامتها طاعة لله تعالى ..

---

(١) اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة فرض واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التى أتى بها رسول الله ﷺ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ ٤ ، ص ١٤٩ . تحت عنوان الكلام فى الإمام والمفاضلة ؛ انظر أيضا السياسة الشرعية لابن تيمية ؛ الأحكام السلطانية للقاضى الماوردى ؛ والأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى .

والمسلمون تربوا على السبق والمسارعة إلى الخيرات ، بادروا إلى الأعمال الصالحة ؛ فتحرك الجميع ، الأنصار والمهاجرون لذات الغاية وهى إقامة الإمامة ، أى أن الذى دفع الأنصار إلى التحرك الإحساسُ بالواجب الذى يجب أن يؤدوه . والذى أسرع بأبى بكر إلى التحرك إلى السقيفة الإحساس بالواجب والحرص على وحدة المسلمين .

فحينما وصل خبر وفاة النبى ﷺ إلى أبى بكر الصديق ، عاد إلى بيت عائشة رضى الله عنها ، حيث كان نبى الرحمة مسجى فى فراشه ، فكشف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن وجهه ، وأكّب عليه يقبله وقال : « بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، طبت حيا وميتا ، والله لا يجمع الله عليك الموتتين ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد متَّها ، ثم خرج إلى المسجد – والناس فيه ، وعمر يأتى بهجر من القول كما قدمنا – فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، ﴿ وما محمدا إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ﴾[1] ؛ فخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم .

واجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ، ولا يدرون ما يفعلون . وبلغ ذلك المهاجرين فقالوا : نرسل إليهم يأتوننا . فقال أبو بكر : « بل نمشى إليهم » . فسار إليهم المهاجرون ، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ... فقال أبو بكر كلاما كثيرا مصيبا ، ويكثر ويصيب منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء – إن رسول الله ﷺ قال : « الأئمة من قريش » وقال : « أوصيكم بالأنصار خيرا : أن تقبلوا من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئهم » . « إن الله سمانا (الصادقين) وسمَّاكم

---

(١) آل عمران : ١٤٤ . صحيح أبى عبدالله البخارى ، جـ ٥ ، ص ٨ ، ٩ ؛ فتح البارى ، جـ ٧ ، ص ١٩ – ٢٠ .

(المفلحين)[1] ، وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال : ﴿ يأيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[2] ، إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية ، فتذكرت الأنصار ذلك وانقادت إليه وبايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه[3] .

إن مسارعة أبى بكر الصديق وعمر وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم إلى سقيفة بنى ساعدة كان طاعة لله عز وجل ، وواجب فى رقابهم لابد وأن يقوموا به ، هذا الواجب هو تنصيب إمام للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ خاصة وأنهم خشوا أن يبيتوا ليلة واحدة دون إمامة .

وهكذا يتبين لنا أن تنصيب أبى بكر خليفة للمسلمين لم يستغرق سوى لقاء واحد هو لقاء السقيفة ، وكان ذلك بإجماع الصحابة ، ولم ترق فيه نقطة دم واحدة ، بل ولم يحدث فيه اشتباك واحد بالأيدى .

وفى اليوم التالى جلس عمر بن الخطاب على المنبر[4] ، وخطب خطبة وأبو بكر صامت لا يتكلم ، قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمدا قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به ، هَدَى الله محمداً[5] ﷺ ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين ، وإنَّه أَوْلَى المسلمين بأموركم ، فقَدِّمُوا فبايعوه .

---

(١) ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرونَ الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون . والذين تبوءُوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾(الحشر : ٨ -٩) .

(٢) التوبة : ١١٩ .

(٣) العواصم من القواصم ، ٤١ - ٤٥ . السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٨٦ - ٤٩٠ .

(٤) هكذا أورده الإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير فى السيرة النبوية جـ ٤ ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٥) أى أن الله قد أبقى فيكم كتابه الكريم الذى هدى به رسوله محمد ﷺ فإن إعتصمتم به هداكم الله كما هدى به رسول الله ﷺ .

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة ، وكانت بيعة العامة على المنبر .

قال الزهرى عن أنس بن مالك ، سمعت عمر يقول يومئذ لأبى بكر : اصعد المنبر ، فلم يزل به حتى صعد ، فبايعه الناس عامة .

« ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله . ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى (عندى) حتى أزيح علته إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله »[1] .

تعليــق :

وفى كلمة الصديق رضى الله عنه تبرز معالم رئيسية ترسم القواعد التى تضبط حركة الحاكم والمحكوم ، وترسم الملامح الرئيسية للقواعد التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام :

لقد كان خليفة رسول الله قمة فى التواضع – وهو الذى وزن بالأمة ليس فيها رسول الله ﷺ فرجح – حينما قال للمسلمين : أنه قد ولّى عليهم وليس بخيرهم ، ثم يطلب من الأمة المسلمة كل الأمة ، أن تعينه إذا أحسن ، وتقومه إذا أساء ، ثم يشترط على الأمة الصدق ، أن يكون هو صادقا مع ربه ، ومع نفسه ، ومع رعيته ، وأن تكون الرعية صادقة مع ربها ، ومع نفسها ، ومع راعيها ، ألا يغش رعيَّته ، وأن ينصح لها ، وأن لا تغشه رعيتُه ، ولا تنافقُه ، ولا ترائِيه ، تُعِينُه إذا أحسن وتقوِّمُه إذا أساء .

---

(١) السيرة النبوية ؛ جـ ٤ ، ص ٤٩٣ .

ويشترط كذلك – ذلك الصحابى الجليل أبو بكر الصديق رضى الله عنه – إقامة العدل بين الناس ، العدل الذى يقتص للضعيف المظلوم من القوى الذى ظلمه .

ويحذر نفسه والأمة المسلمة من ترك الجهاد فى سبيل الله ، ويحذرها من عدم الاستمرار فى حمل دعوة النبى محمد ﷺ وإلا ضربهم الله بالذل – كما هو واقع المسلمين الآن – كما حذرهم ارتكاب الفواحش حتى لا يعمهم الله بالبلاء .

ثم يشترط لنفسه وعلى أمته ، الطاعة ، ما أطاع الله ورسَولَهُ ، فإن عصى الله ورسوله ، فلا طاعة له عليهم ؛ وذلك يعنى أن دليلهم والحكم بينهم ونظامهم الذى يخضعون له جميعا هو كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ .

فهل هذه الخطبة التى ألقاها الصديق خالية من ذكر الشورى ؟؟؟ ... التى فرضها الله عز وجل على الحكومة الإسلامية ؟؟ .. إن هذه الخُطبة عبارة عن ميثاق بين الحاكم والمحكومين يشهدوا الله فيه أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله محمدا ﷺ .

إنَّنا نشعر ونحن نقرأ هذه الخطبة التى ألقاها خليفة رسول الله ﷺ بالحملة الضارية التى شنها المستشرقون ، ومن سار على نهجهم لتشويه وتزييف تاريخ الأمة المسلمة بعد وفاة رسول الله ﷺ . نتذكر ما قاله أحد الكتاب المحدثين : (وساعد على تأجج نار الردة ، وإزكاء الفتنة ما بلغ القبائل العربية فى أنحاء الجزيرة من تنازع المهاجرين والأنصار على الخلافة ، واستئثار قريش بالزعامة بعد أن خرجت الخلافة من الأنصار[1] .

وهنا نتساءل كم سيفاً قد رفع ؟ وكم قتيلا قد وقع ؟ وكم معركة قد اندلعت ؟ وكم من الوقت قد استمرت ؟ شهرا أو شهرين ، أو أكثر ؟؟ ..

ونتساءل أيضا ، هل هذه هى النزاهة العلمية ؟؟ .. هل هذه هى الحيدة التامة ؟ هل هذه هى الأخلاقيات ؟؟ .. أم أن هذا هو الحقد اليهودى والصليبى

---

(١) تاريخ الدولة العربية ، ص ١٦٥ .

الذى يقوم على إنفاذه والتعبير عنه أبناء العرب والمسلمين اليوم .

والخبر الصحيح يؤكد لنا :

أن الصحابى الجليل أبا بكر رضى الله عنه كان رجل الموقف بلا منازع فى سقيفة بنى ساعدة ، فقد اختار من الكلمات المقنعة الحاسمة المؤثرة التى أنهت الموقف ، وجعلت الجميع يغادرون السقيفة ، وهم واثقون بأنهم أحسنوا الاختيار ببيعة أبى بكر الصديق ، خليفة لرسول الله ﷺ ، بل وأحسوا بتوفيق الله سبحانه وتعالى فى هذا الاختيار .

وليس أدل على ما نقول مما قاله عمر بن الخطاب :

« أردت أن أتكلم ، وكنت قد زورت مقالة أعجبتنى أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد (كالغضب ، والحدة) ، وهو كان أحكم منى وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته ، وأفضل حين سكت »[١] .

إن ما حدث فى ذلك اليوم لهو جدير بالدراسة والتأمل ، وإذا نحن قارنا الحدث الذى تم فى ذلك اليوم ، وهو إجماع الأمة ... الصحابة : المهاجرون والأنصار على بيعة أبى بكر الصديق خليفة لرسول الله ﷺ ، واجتماع كلمة الأمة على اختيار الإمام الحاكم . ولو قارنا ذلك بما يحدث فى مثل تلك الظروف عند أناس آخرين ، وفى أمم شتى ، لراعنا الفارق الشاسع بين الموقفين .

لقد وصل الصديق إلى السقيفة هو وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، وقام خطيب الأنصار ، فأثنى على الله بما هو أهله ، وقال : « أما بعد .. فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دفَّت دافَّة[٢] منكم ، يريدون أن يختزلونا[٣] من أصلنا ويحصّونا[٤] من الأمر »[٥] .

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٨٨ .

(٢) دفت دافة : بدرت بادرة ، المسند للإمام أحمد ، جـ ١ ، حديث ٣٩١ .

(٣) يختزلونا : يقتطعونا .

(٤) يحصّونا : يمنعونا .

(٥) السيرة النبوية ، جـ ٤ ؛ ص ٤٨٨ .

إنه ثناء على الله ، خوف وخشية منه ، ولهذا جاء اللفظ عفا نظيفا ، لطيفا « نحن أنصار الله ، وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا » لم يقولوا : نحن معشر الأوس والخزرج أفضل منكم أيها المهاجرون ، لم يقولوا : أخرجوا من بلادنا أيها الغرباء .

ثم يحكى عمر : « فلما سكت – أى الأنصارى – أردت أن أتكلم – وكنت قد زورت مقالة أعجبتنى – أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر – وكنت أدارى منه بعض الحدّ[1] ، وهو كان أحكم منى وأوقر » .

إذن فهى الحكمة والوقار ، وأمثال هذه المواقف تحتاج إلى الحكمة وإلى الوقار .

« والله ما ترك كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قالها فى بديهته وأفضل حين سكت »[2] .

وتحدث الصديق رضى الله عنه وأرضاه فقال : « أما بعد ، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا »[3] .... « وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم » وأخذ بيد عمر ويد أبى عبيدة بن الجراح ، يقول عمر : « فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقرِّبنى ذلك إلى إثم أحب إلى أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، إلا أن تُغَرَّ نفسى عند الموت »[4] .

إنه اعتراف بالفضل لأصحابه ، خلق المسلم وأدب المسلم ، إنهم جميعا صناعة الله بهذا الإسلام .

لقد بين أبو بكر السبب فى كون الأئمة من قريش ، لأنهم أوسط العرب نسبا ودارا ، والعرب –أى عرب الجزيرة الذين كانوا حديثى عهد بالإسلام كانوا

---

(١) الحد : الغضب كالحدة .

(٢) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٨٨ .

(٣) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٨٨ .

(٤) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٨٨ .

لا يدينون حتى فى جاهليتهم إلا لقريش على أساس أنهم سدنة البيت وخدمه ، ورسول الله ﷺ منهم :

وكلمة أبى بكر رضى الله عنه . هنا ليست من المنظور القومى – حاشا لله أن يكون كذلك – ولكنه من المنظور الفاهم الواعى ، الذى يعلم أن العرب حديثو عهد بالإسلام ولا يقبلون أن يولى عليهم أحد يعتبرونه ندا أو نظيرا لهم . أما من كانت النبوة فيهم ، فلهم الأفضلية بالنبوة ، فلا تمتنع القبائل العربية أن تسمع وتطيع .

ولقد برهنت الأحداثُ على صدق فراسة أبى بكر ، حين ارتدت القبائل العربية . فكلمة أبى بكر لا تعنى معالجة الأمر من منطلق قومى ، كما لا يعنى ذلك أن الأنصار ليسوا أهلا لذلك الأمر .

وفى رواية أخرى : « فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم ، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل فى الأنصار ، ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره . وقال لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال : لو سلك الناس واديا ، وسلكت الأنصار واديا سلكت وادى الأنصار . ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال : – وأنت قاعد – قريش ولاة هذا الأمر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم . فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء »[1] .

وقام عمر بن الخطاب يذكر الأنصار : « يا معشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر . فقالت الأنصار : معاذ الله أن نتقدم أبا بكر » .

هذا هو الأدب يا أساتذة التاريخ ، هذا هو الإسلام يا من تحملون أعلى الدرجات التى يسمونها علمية ، هذا هو الخُلُق الذى رباهم عليه رب الإسلام .. « معاذ الله أن نتقدم أبا بكر »[2] ..

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩١ ؛ مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، ج ١ ، حديث ١٨ .

(٢) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٩٠ .

وفى رواية أخرى قال عمر رضى الله عنه : « يا معشر المسلمين ، إن أولى الناس بأمر نبى الله ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار ﴾[1] « وأبو بكر السباق المسن » ، « ثم أخذت بيده ، وبدرنى رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده ، وتتابع الناس » .

هل يدرى القارىء من الذى سبق عمر المهاجر إلى أبى بكر ليبايعه ؟ إنه أنصارى ؟؟ .. إنه بشير بن سعد ، والد النعمان بن بشير[2] .

الحمد لله قد حصحص الحق .

وهكذا فإن الخبر الصحيح يؤكد أن اختيار أبى بكر خليفة للمسلمين قد حسم فى لقاء واحد ، لا يتعدى ساعتين من الزمان . وفى هذا رد حاسم على هؤلاء المشتغلين بالتاريخ ، الذين صوروا الأمر على غير حقيقته . وهنا نتساءل أين الأزمة السياسية الخطيرة التى زعمها حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن فى كتابهما : « النظم الإسلامية » ، ص ١٠ ؟؟ وأين الانقسام ؟ وأين النزاع الذى زعمه د. محمد جمال الدين سرور فى كتابه : « الحياة السياسية فى الدول العربية » ، ص ١١ ، ١٢ ؟؟ وأين النزاع الكبير الذى نشب بين المهاجرين الأنصار ، وكاد يفتت وحدة المسلمين ، ويصدع إحدى المقومات الرئيسية التى قامت عليها الدولة الإسلامية كما زعم الدكتور عبد العزيز السيد سالم فى كتابه « تاريخ الدولة العربية » . جـ ٢ ، ص ١٥٦ ؟؟ وأين انقسام المسلمين إلى ثلاث فرق ، لكل منها مرشحها كما زعم الكتاب السابق الذكر ، ص ١٥٧ . أين ما زعمه د . عبد العزيز سالم فى كتابه ؟؟ ..

أين ما زعمه سيديو فى كتابه تاريخ العرب العام ؟ من أن الرسول ﷺ لم يستخلف وعدم استخلافه لشخص معين أدى إلى تضريج القرن الأول الهجرى بالدماء (ص ١٠٩) ؟؟ .

---

(١) التوبة : ٤٠ .

(٢) السيرة النبوية : ص ٤٩٠ .

أين ما زعمه د. عبد المنعم ماجد فى كتابه التاريخ السياسى للدولة العربية من أن النبى لم يعين لهذه الأمة المسلمة نظام الحكم من بعده ، وأن الخلافات على رئاسة الأمة من بعده كانت قائمة ، وإن كان الراغبون فيها كثيرين (ص ١٣٩ ، ١٤٠) ، وما زعمه أيضا من تأخر على وسعد رضى الله عنهما عن المبايعة لأبى بكر (ص ١٤٣) .

أين ما زعمه هاملتون جب ، فى كتابه دراسات فى حضارة الإسلام : « إن أهل السنة والجماعة قد تنكبت جادة الإسلام ، وترددت نتيجة لذلك فى الآثام ، لأنها دانت بالولاء لخلفاء سنيين ، لذلك وجه فقهاء السنة جهدهم نحو تسويغ هذا الواقع كى يواجهوا هجمات الخصوم » (ص١٨٦) .

أين ما زعمه د. على إبراهيم حسن فى كتابه « التاريخ الإسلامى العام » : « قد اختلفت آراء المسلمين فيمن تزعمهم ، وظهرت بينهم روح التعصب القبلى .... ولكن الصحابة اختلفوا فى كيفية اختيار الخليفة ، لأنه لم يؤثر عن الرسول نص صريح يشير فيه إلى مسألة الحكم من بعده ، كما أن القرآن لم يشر إلى نظام الحكم بعد وفاته ، وكان من أثر ذلك أن ظهر الإنقسام بين صفوف المسلمين ، واشتدت وطأة الأزمة السياسية ، وتسابقت القبائل والبطون ليكون لها الأمر دون غيرها ، وتكشف ما فى الصدور ، وتجلت النفس العربية والطبيعة القبلية » (ص ٢١٥ ، ٢١٦) .

وقبل هؤلاء جميعا ، أين ما أورده المسعودى عن السقيفة ، وما جرى فيها من منازعة طويلة وخطوب عظيمة[١] ، وأن سعدا بن عبادة لم يبايع أبا بكر حتى مات[٢] .

وأين ما ذكره اليعقوبى[٣] : « وتخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين

---

(١) التنبيه والإشراف لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى (ت ٣٤١ هـ) ، عنى بتصحيحه ومراجعته عبدالله بن إسماعيل ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ص ٢٤٧ .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لنفس المؤلف ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ، ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣ هـ ، ص ٣٠٨ .

(٣) تاريخ أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسى ، المجلد الثانى ، بيروت ١٣٧٩ هـ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

والأنصار ، ومالوا مع على بن أبى طالب وأبى سفيان ... » إلى غير ذلك مما لا يثبته النقل أو يقبله العقل ؟

إن هذه المزاعم التى تمتلأ بها كتب الأقدمين والمحدثين ، لا يثبتها النقل الصحيح الذى يخضع للجرح والتعديل ، ولا تتفق مع ما عرف عن خلق وسلوك صحابة رسول الله .

إن صحابة رسول الله ﷺ ليسوا من الذين تعصف بهم الفتن ، أو يسمحون للكيد الشيطانى أن يثمر بينهم ، إن ما حدث من نقاش لم يتعد باب السقيفة . إن الشيطان لم يكن له سلطان على هؤلاء الذين رباهم رسول الله محمد ﷺ : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[1] .

ألا فليتق الله هؤلاء الذين يشتغلون بالتاريخ ، وليراجعوا ما كتبوا ، وليعلنوا براءتهم مما كتبوا ، وليحذروا يوما يعرضون فيه على الله ، ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ، ويصلى سعيرا ﴾[2] .

كثيرا ما نتساءل ، من نحن حتى نتجرأ على تاريخ هؤلاء الصحابة الكرام بهذه الصورة ؟ .. من نحن حتى نسمح لأنفسنا بأن نتجرأ على تاريخ الصحابة ونشوهه بهذه الصورة ؟ ألم يكن من الأولى بنا أن نعرض الصور المشرقة فى تاريخ الإسلام ، لكى نعين أبناء الإسلام على تلمس القدوة والأسوة ؟ من نحن حتى نتحدث عن صحابة رسول الله ﷺ بهذه الطريقة ؟ ونحن من نحن يا أساتذة التاريخ .. وقفة مع أنفسكم ، ألستم مسلمين ؟ ألا تعلمون أن الإسلام هو الإستسلام لله عز وجل ، هل عرفتم الحق الآن ؟ وهلّا رجعتم إليه ؟ ألا قد بلغنا ، اللهم فاشهد .

---

(١) فاطر : ٦ .

(٢) الانشقاق : ١٠ - ١٢ .

الجزء الثالث

رجل فوق الأحداث
أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد وفاة
رســول الله صلى الله عليه وســــلم

كما عرفنا ، نقل الناس إلى أبى بكر رضى الله عنه خبر وفاة النبى ﷺ ، فأقبل رضى الله عنه من السّنح على دابته حتى نزل بباب المسجد ، وأقبل مكروبا حزينا ، فاستأذن فى بيت ابنته عائشة فأذنت له ، فدخل ورسول الله ﷺ قد توفى على الفراش ، والنسوة حوله ، فخمرن وجوههن ، واستترن من أبى بكر ، إلا ما كان من عائشة فكشف عن رسول الله ﷺ فجثا عليه يقبله ويبكى ويقول : ليس ما يقوله ابن الخطاب شيئاً ، توفى رسول الله ﷺ ، والذى نفسى بيده . رحمة الله عليك يارسول الله ، ما أطيبك حيا وميتا ، ثم غشاه بالثوب ثم خرج سريعا إلى المسجد ، يتخطى رقاب الناس حتى أتى على المنبر ، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلا ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ، ونادى الناس ، فجلسوا وأنصتوا ، فتشهد أبوبكر بما علمه من التشهد ، وقال : إن الله عز وجل نعى نبيه إلى نفسه وهو حى بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت حتى لايبقى منكم أحد إلا الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾[1] .

فقال عمر : هذه الآية فى القرآن ؟ والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم . وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ إنك ميت وأنهم ميتون ﴾[1] . وقال الله تعالى : ﴿ كل شىء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون ﴾[2] . وقال : ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾[3] . وقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾[4] . وقال : إن الله عمّر محمدا ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله وأظهر أمر الله ، وبلغ رسالة الله ، وجاهد فى سبيل الله ، ثم توفاه الله على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة ، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء ، فمن كان الله ربه فإن الله حى لايموت ، ومن كان يعبد محمدا ونزله إلها فقد هلك إِلَهُهُ ، فاتقوا الله أيها الناس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على الله ربكم ، فإن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر من نصره ، ومعزّ دينه ، وإن كتابَ الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمدا ﷺ ، وفيه حلال الله وحرامه ، والله لانبالى من أجلب علينا من خلق الله ، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ، ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع محمد رسول الله ﷺ ، فلا يبقين أحد إلا على نفسه »[5] .

تعليـــق :

المصيبة عظيمة ، والخطب جلل ، فرسول الله ﷺ قائدهم ونبيهم قد توفى ، مدبر أمرهم قد رحل ، لقد تعودوا أن يروه كل يوم ، عهدوه إماما يصلى

---

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) القصص : ٨٨ .

(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) آل عمران : ١٨٥ .

(٥) السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٣ . وقد ورد فى صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ١٥٠ ، حديثا لرسول الله محمد ﷺ : « عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى أبوبكر وبكى وقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا » . وقد علق عليه الإمام النووى بقوله : (وإنما قال ﷺ : « أن عبداً » وأبهمه لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحذق) وهذه فضيلة لأبى بكر رضى الله عنه .

بهم ، خمس مرات فى اليوم والليلة ، ويعود مرضاهم ، ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم ، ويقضى حوائجهم . لقد كان أبا لمن لا أب له ، وأخا لمن لا أخ له ، وعونا للأرملة واليتيم والمسكين ... لقد عهدته الأمة سائسا لأمرها ، يستقبل الوفود ، ويوجه السرايا والبعوث ، ويرسل الرسل ، ويدبر أمر الدولة الإسلامية الوليدة ، حركة دائبة ، وتوجيه متصل .. وفجأة يتوقف كل ذلك ، وقبل ذلك ينقطع نزول الوحى بعد أن كان يملأ الأرض نورا وخيرا .

المسلمون ، بعضهم ألجمته المفاجأة ، فسكت لايحير جوابا ، والبعض الآخر جعلته المفاجأة غير قادر على التصديق ، أو التخيل أن ذلك يمكن أن يحدث ، بل هدد من يقول أن محمدا قد مات .. وفريق ثالث كان يبكى ... ولاشىء غير البكاء .

حدث هذا والدولة الإسلامية محاطة بالأعداء داخل الجزيرة وخارجها ، وكان لابد لهذا الموقف من رجل يتعالى على كل الأحزان والآلام ، ويمسك بقياد السفينة فى هذه الظروف القاسية ، كان لابد لهذا الموقف من رجل ، يعرف الناس فضله ودينه وتقواه ... لابد من شخصية واعية للمخاطر التى يمكن أن تتعرض لها الأمة نتيجة استمرار هذا الضياع . هذه الشخصية التي تحركت بلا أمر أو إذن من أحد ، حركها دينها وإيمانها وعلمها الحاضر دائما بأن الأشخاص إلى زوال ، وأن البقاء لله سبحانه وتعالى . هى شخصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

كان لابد من رجل مسلم صادق الإيمان يعرف الناس فضله وشجاعته ، وكانت هذه الصفات مجتمعة فى أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه .

لقد وقف ذلك الصحابى العملاق ، يضع قاعدة هامة فى حياة الأمة ، لا أقول يصنعها ولكن يؤكد بها ، إن القيادة فى الإسلام قيادة فكرية عقدية ليست مرتبطة بأشخاص ولكنها مرتبطة بالله :

(يا أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت) ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ،

وسيجزى الله الشاكرين ﴾[1] .

لقد استطاع أبو بكر الصديق رضى الله عنه – بفضل الله تعالى – ثم بهذه الكلمات القلائل التى تَوَّجها بالآيات القرآنية ، أن يخرج الناس من ذهولهم ... ومن حيرتهم ... لقد استطاع أبوبكر – بفضل الله تعالى – أن يرد الناس إلى الفهم الصحيح ردا جميلا ، أن يذكرهم أن الله وحده هو الحى الذى لايموت ، وأنه وحده هو الذى يعبد ، وأن الإسلام باق بعد محمد ﷺ : (إن دين الله قائم ، وإن كلمة الله تامة ، وإن الله ناصر من نصره ، ومعزّ دينه ، وإن كتاب الله بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء ، وبه هدى الله محمدا ﷺ ، وفيه حلال الله وحرامه) .

بديهيات يعرفونها ... ولكن كانوا فى تلك اللحظات القاسية على النفوس يحتاجون إلى من يذكرهم : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[2] .

ولم يكن أحد قد هيأه الله للإمساك بزمام الموقف إلا أبابكر الصديق ، الذى رجح إيمانه إيمان أمة محمد كلها ليس فيها رسول الله ﷺ ، لقد صدق رسول الله ﷺ .

إن المحن والابتلاءات والشدائد ، هى التى تظهر معادن الرجال ، هى التى يتربون عليها وبها ، ومن خلالها يظهر الطيب من الخبيث ، ومن هنا كانت الوسيلة التربوية لتربية الرجال هى الابتلاءات : ﴿ الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين ﴾[3] .

لقد كان موت محمد ﷺ ، مصيبة عظيمة ، ابتلاءا شديداً ، ومن خلالها وبعدها برزت شخصية ربانية قائدة هى شخصية الصحابى الجليل أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

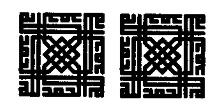
(٢) الذاريات : ٥٥ .

(٣) العنكبوت : ١ – ٣ .

وقبل ذلك وبعده ، إن أبا بكر الصديق هو نتاج تربية المدرسة الإسلامية ، التى عمادها القرآن وسنة النبى محمد ﷺ .

وهنا نتساءل : ألم يكن ذلك موقف يستحق الوقوف عنده ، وتجليته وعرضه لكى يكون نبراسا تهتدى به الأمة المسلمة ، وهى تخطو فى طريق العودة إلى دينها وإسلامها ، بدلا من الحرص على تشويه وتزييف تاريخ تلك الأمة المسلمة التى ننتمى إليها ، وهى خير أمة أخرجت للناس ؟ أليس أبوبكر قدوة لتصرف الرجال فى وجه المحن والشدائد ، أليس ذلك نموذجاً تربوياً يمكن أن يتربى عليه أبناء هذه الأمة وقادتها ؟ .

لماذا يا أبناء المسلمين ، يامن تربيتم على أيدى اليهود والنصارى تغفلون هذا الموقف العظيم ؟ ورحتم تختلقون أزمات وانفعالات من خيالكم الخصب الذى غذاه أعداء هذه الأمة لتشويه وتزييف تاريخ أمتنا الإسلامية العظيمة ؟ .



الفصل الخامس

الجزء الأول

الفقرة الأولى

أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، خليفة رسول الله يوجه خطابا إلى الأمة

« من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام أو رجع عنه » .

« سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأقر بما جاء به » .

« أما بعد : فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، يهدى الله للحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها ، ثم توفى رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قرين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزله ، فقال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾(١) وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾(٢) وقال للمؤمنين :

---

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) الأنبياء : ٣٤ .

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾(١) ، فمن كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله وحده لاشريك له ، فإنه له بالمرصاد ، حى قيوم لايموت ، ولا تأخذه سنة ولانوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بجزبه ، وإنى أوصيكم بتقوى الله ، وحظكم ونصيبكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يعافه يبتلى ، وكل من لم ينصره مخذول ، فمن هداه كان مهديا ، ومن أضله كان ضالا : ﴿ من يهدى الله فهو المهتدِى ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾(٢) ، ولم يقبل منه فى الدنيا عملا حتى يقرّ به ، ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولا عدل »(٣) .

تعليـــق :

هذا بلاغ للناس ، يقيم به الصديق رضى الله عنه الحجة على الناس عامة ، وينعى فيه إلى الأمة المسلمة النبى الكريم محمد ﷺ ، ويُعْلِمْهُمْ فيه ، ويذكرهم أن العبادة لابد وأن تكون لله وحده : « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت » ، ومن هنا يجب أن تكون القيادة للأمة المسلمة ، قيادة فكرية ، لاقيادة شخصية ، ارتباط المسلم بالله ، ولاؤه لله ، لايتزعزع مع الأيام ، أو مع تغير الأشخاص أو وفاتهم ، وهذا ما أدركه أبوبكر الصديق رضى الله عنه ضرورة تعميقه فى نفوس الناس ، وتربيتهم عليه ، لأنه أدرك من خلال التجربة بعد وفاة النبى ﷺ ، حالة الضياع التى صار إليها الكثير من المسلمين ، لدرجة أن بعضهم قد تصور أنه لايمكن أن يموت رسول الله ﷺ .

ومن هنا فإن هذه التوجيهات، تؤكد خطورة تعلق الأفراد بالقيادة ،

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

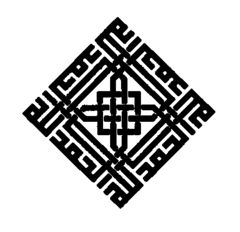
(٢) الكهف : ١٧ .

(٣) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، تأليف أبى العباس أحمد بن على القلقشندى (٨٢١ هـ /١٤١٨ م) جـ ٦ ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

البشرية ، حتى يتحول الأمر إلى مستوى العبادة ، كما هو واقع المجتمعات الطاغوتية اليوم ، فعبادة الأفراد ، كفر ، ومنهى عنها ، « فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله وحده لاشريك له ، فإن له بالمرصاد حى قيوم لايموت ، ولا تأخذه سنة ولانوم ، حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه » .

ومن خلال وصايا الصديق تبرز أهمية تقوى الله ، والاهتداء بهديه ، والاعتصام بدينه .

وتبرز أيضا ، أن الهداية من الله ، وأن النصر من الله ، ﴿ وما النصر إلا من عند الله . إن الله عزيز حكيم ﴾[1] .



---

(١) الأنفال : ١٠ .

الفقرة الثانية

أبوبكر رضى الله عنه يستشير أصحابه فى إقطاع اثنين من المسلمين قطعة أرض سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة

أخرج ابن أبى شيبة والبخارى فى تاريخه وابن عساكر والبيهقى ويعقوب بن سفيان عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر – رضى الله عنه – فقال : يا خليفة رسول الله ، إن عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فإذا أردت أن تقطعناها ، لعلنا نحرثها ونزرعها . فأقطعها إياهما ، وكتب لهما عليه كتابا ، وأشهد فى ذلك عمر ، وليس فى القوم ، فانطلقا إلى عمر ليشهداه . فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم تفل فيه ومحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة . قال عمر : إن رسول الله – ﷺ – كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل وإن الله قد أعز الإسلام ، فاذهبا جهدكما لارعى الله عليكما إن رعيتما ، فأقبلا إلى أبى بكر ، وهما يتذمران ، فقالوا : والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر ؟؟ فقال : بل هو ، ولو شاء كان . فجاء عمر مغضبا حتى وقف على أبى بكر فقال : أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين الرجلين ، أرض لك هى خاصة أم هى بين المسلمين عامة ؟؟ قال : بل هى بين المسلمين عامة . قال : فما حملك أن تخص هذين بها دون جماعة المسلمين ؟؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولى فأشاروا على بذلك . قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أو كل المسلمين ، أوسعت مشورة ورضى . فقال أبوبكر : قد كنت قلت لك : إنك أقوى على هذا منى ، ولكنك غلبتنى .

تعليــق :

هذه الواقعة دليل لايقبل الشك أن حكم الدولة الإسلامية على عهد أبى بكر رضى الله عنه كان يقوم على الشورى ، فهى تظهر لنا خليفة رسول

الله ﷺ ، حريصا على استشارة المسلمين فى الصغيرة والكبيرة ، وما كان يبرم أمر دون مشورة إخوانه .

صحيح لم يكن هنالك مجلس نيابى كما هو عليه الآن ، إنما كانت الأمة كلها تشكل مجلسا نيابيا ، فكان من حق الفرد المسلم أن يستوقف خليفة رسول الله ﷺ ويناقشه ويعترض عليه ، بل إن الخليفة هو الذى ذكر أمته بهذا الواجب ، حينما قال لها من على منبر رسول الله ﷺ : « فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة » .

صحيح لم يكن هنالك مجلس نيابى ، ولكن لم يكن هنالك حكم مطلق غير دستورى ، كما زعم د. على حسن الخربوطلى فى كتابه[1] : غروب الخلافة الإسلامية ، إنما كان هنالك أهل الحل والعقد ، وهم علماء الأمة وفقهاؤها وهم الصفوة من الأمة الذين تثق الأمة فى علمهم وتقواهم ، وأمانتهم وسداد رأيهم ، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ وأصحاب الصديق رضى الله عنه ، كانوا أفضل الأمة ، كما تثبت المصادر الصحيحة ، ويفقهون دينهم ، ويشيرون فى حرية تامة ، وشجاعة كاملة ، بما يمليه عليهم علمهم وضميرهم وإيمانهم وكان هنالك أيضا جمهور المسلمين .

والخبر السالف الذكر يؤكد لنا أن خليفة رسول الله ﷺ (رضى الله عنه) كان يمضى الشورى فى كل شأن من شؤون المسلمين ، بل وكان ينزل عن رأيه ، - وهو من هو رضى الله عنه - إنها صورة للشورى الحقيقية المنضبطة مع أوامر الله ، مع الحلال والحرام ، لا الشورى المزيفة التى تجرى تحت قباب مجالس دستورية لم تجن من ورائها الشعوب إلا المرارة والاستبداد والظلم والضياع .

فى هذه الواقعة :

(أ) نرى اثنين من المسلمين يطلبان من أبى بكر الصديق رضى الله عنه إعطاءهما

---

(١) ص ٥١ - ٥٣ .

قطعة أرض سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منفعة ، لعلهما يحرثانها ويزرعانها .

(ب) تشاور خليفة رسول الله مع أصحابه الموجودين ، ولم يكن بينهم عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – وأرضاه ، فكتب للمسلمين (وهما عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس) كتابا ، وطلب منهما الذهاب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأخذ رأيه .

(جـ) انطلق المسلمان إلى عمر بن الخطاب ليشهداه .

(د) فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم تفل فيه ومحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة ، وردهما . (كان بودى أن الأستاذ الدكتور يقول لنا تصوره عما يمكن أن يحدث فى مثل هذا الموقف بين حاكم وأحد أفراد رعيته ، فى بلاد المسلمين التى لديها مجالس دستورية ، وتزعم أن حكمها يقوم على الشورى . من المؤكد وأعتقد أن الرد لايحتاج إلى كبير عناء ، فهنالك من الحكام من يبيع أمته دون مشورة من أحد ، وإذا تجرأ إنسان وانتقد لا أقول اعترض ، فإن السجن مصيره ، أو إلى الفناء نهايته ، فهل هذه هى الحكومات الدستورية التى كان يأمل المؤرخ العظيم أن تتحقق فى عهد صحابة رسول الله ﷺ ؟) .

(هـ) عاد الرجلان إلى أبى بكر ليقولا له : « والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر ؟ » فقال : « بل هو ، ولو شاء كان ... » ياالله !! قمة الإنضباط مع هذا الإسلام ، إنه الصديق ، إنه خليفة رسول الله ، إنه أفضل الأمة على الإطلاق ليس فيها رسول الله ، إيمانا وإسلاما وسلوكا وخلقا ... رضى الله عنك ياخليفة رسول الله .

(و) «وجاء عمر مغضبا، هكذا تقول الأخبار الصحيحة مغضبا، حتى وقف على أبى بكر فقال : أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين الرجلين ، أرض لك هى خاصة أم هى بين المسلمين عامة ؟؟ قال : بل هى بين المسلمين عامة ، قال : فما حملك أن تخص هذين بها دون جماعة المسلمين ؟؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولى فأشاروا على ذلك . (إذن

هى الشورى ، ليس إلا) قال عمر : فإذا إستشرت هؤلاء الذين حولك أو كل المسلمين أوسعت مشورة ورضى ؟؟ سبحان الله !! منح قطعة أرض موات لمن يحييها يحتاج إلى مشورة كل المسلمين فى تصور ابن الخطاب رضى الله عنه .... سبحانك ياعظيم !! إنها مدرسة الإسلام ! إنها صحبة رسول الله ﷺ ، ومشورة كل المسلمين

وهنا أسأل الأستاذ العظيم الذى سمح لنفسه أن يقول : إن هذه الحكومة - حكومة أبى بكر - غير دستورية !! هل يمكنك أن تعطينا نموذجا للحكومة الدستورية فى عالمنا المعاصر ، التى يتمنى أن كانت حكومة أبى بكر مثلها !! .

ماذا كان موقف الخليفة ، خليفة رسول الله ﷺ ؟؟ قمة الالتزام بآداب الدين ، بل النزول عن رأيه والاعتذار عما بدر منه - رغم أنه قد شاور المسلمين الحضور - لقد قال الخليفة رضى الله عنه : « كنت قلت لك : إنك أقوى على هذا منى ، ولكنك غلبتنى » .

فهل بعد ذلك يمكن أن يزعم زاعم : أن خطبة أبى بكر فى السقيفة جاءت خالية من الشورى التى فرضها الله عز وجل على الحكومة الإسلامية ؟؟ هل يمكن بعد ذلك أن يزعم زاعم أن الصحابة قد تنازلوا عن حق هو أكبر حقوقهم ، وانتخبوا رجلا منهم ليحكمهم ، ثم تركوه يحكم بينهم بما يراه ، حكما مطلقا غير متقيد هل يمكن أن يزعم زاعم بعدما شاهدنا : أن الصحابة كانوا حديثى عهد بالحكومة ! .

هل بعد ذلك يمكن أن يزعم زاعم أن الحكومة الصحابية لاتسمى دستورية ؟؟ ...[1] .

---

(١) انظر : د. على حسن الخربوطلى ، غروب الخلافة الإسلامية ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

الفقرة الثالثة

(أ) الصديق خليفة رسول الله ، يُحلّ الناس من بيعتهم له ، ويطلب منهم أن يدفعوها لمن أحبُّوا

روى أبو نعيم عن أبى بكر :

« يأيها الناس ، إن كنتم ظننتم أنى أخذت خلافتكم رغبة فيها أو إرادة استئثار عليكم وعلى المسلمين ، فلا والذى نفسه بيده ما أخذتها رغبة فيها ، ولا إستئثار عليكم ولا على أحد من المسلمين ولا حرصت عليها يوما ولا ليلة قط ، ولا سألت الله سرا ولا علانية . ولقد تقلدت أمرا عظيما ، لاطاقة لى به إلا أن يعين الله ، ولوددت أنها إلى أى أصحاب رسول الله ﷺ على أن يعدل فيها ، فهى إليكم رد ، ولابيعة لكم عندى ، فادفعوا لمن أحببتم ، فإنما أنا رجل منكم » .

(ب) أبوبكر الصديق خليفة رسول الله يعلن : هل من كاره فأقيله ؟

وأخرج ابن النجار عن زيد بن على عن آبائه قال : قام أبوبكر – رضى الله عنه – على منبر رسول الله – ﷺ – فقال : هل من كاره فأقيله ؟ ثلاثا يقول ذلك ، فعند ذلك يقوم على بن أبى طالب فيقول : لا والله لا نقيلك ، ولا نستقيلك ، من ذا الذى يؤخرك وقد قدمك رسول الله ﷺ(٢) .

---

(١) الرياض النضرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) وهذا حق فقد كان الصديق كما قال الإمام الذهبى فى تذكرة الحفاظ : « أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه فى الغار وصديقه الأكبر وصديقه الأشفق ووزيره الأحزم » ، ص ٢ .

تعليــق :

هاتان كلمتان لأبى بكر الصديق رضى الله عنه من على منبر رسولِ الله ﷺ بعد بيعته بالخلافة :

خطبة يعلن فيها أنه ما أخذ الخلافة رغبة فيها ، ولا استئثارا على أحد من المسلمين وأنه ماحرص عليها يوما ولاليلة ، ولا سألها الله سرا ولا علانية ، وأنه قد تقلد أمرا عظيما ، لاطاقة له به ، إلا أن يعينه الله عز وجل ، وأنه ودّ أن يكون إلى أى من أصحاب رسول الله ﷺ يعدل فيها .

ثم يعلن الصديق رد أمر المسلمين إليهم ويحلهم من بيعتهم ، ليدفعوها لمن أحبوا ، هل هذه هى الدكتاتورية ؟؟ .. هل هذا هو الحكم المطلق كما زعم المستشرقون ومن سار على نهجهم ؟؟ .. إن البشرية لم تعرف فى حياتها هذا السمو ، وهذه الرفعة فى خلق الحاكم المسلم كما عرفته فى أبى بكر وصحبه رضوان الله عليهم .

فهل هذا حكم يقوم على الشورى ؟؟ أم على الاستبداد ؟؟ . .

وفى وقت لا حق يعلن الصديق رضى الله عنه :

هل من كاره فأقيله (ثلاثا) ، هل من أحد لايرغب أن يكون الصديق خليفة عليه فيرد عليه بيعته ، فعند ذلك يقوم على بن أبى طالب فيقول : والله لا نقيلك ، ولا نستقيلك ، من الذى يؤخرك وقد قدمك رسول الله ﷺ .

إنه الإسلام ، إنه دين الله ، إنه خلق القرن الأول ، خير القرون على الإطلاق ، فأين الحكم المطلق ؟ وأين الذين تركوا أبا بكر يحكم حكما مطلقا ؟ سامح الله أبناء المسلمين الذين نهجوا نهج المستشرقين فى التهجم على أصحاب رسول الله ﷺ ، متناسين - حتى الأمانة العلمية - فيما نقلوه عن صحابة رسول الله .

الجزء الثانى

خليفة رسول الله ﷺ ينفذ جيش أسامة رضى الله عنه ويقرر قتال أهل الردة ومانعى الزكاة

لقد أثبتت الأحداث أن الله سبحانه وتعالى – وإن كان هذا لايحتاج إلى إثبات – ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو . ويعلم مافى البر والبحر . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها . ولا حبة فى ظلمات الأرض . ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾(١) ، وأثبتت أيضا أن رسول الله ﷺ : ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى ﴾(٢) ، فى تقديمه أبى بكر لإمامة المسلمين .

فها هو أبوبكر رضى الله عنه يواجه المخاطر الجسام التى تعرضت لها الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ ، بشجاعة وجنان ثابت وحنكة ، ودراية ، وعلم ، وفهم لم يكن لأحد غيره من صحابة رسول الله ﷺ .

نتعرف على ذلك من خلال موقفين :

الموقف الأول : تنفيذ جيش أسامة بن زيد :

ندع أولا النصوص تحدثنا عن هذا الموقف ، ثم نستعين بالله لتجلية الموقف ، وبيان إيحاءاته وتوجيهاته والدروس المستفادة منه :

« فصل فى تنفيذ جيش أسامه بن زيد الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام »(٣) .

---

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) النجم : ٣ – ٤ .

(٣) البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ – ٣٠٥ .

« وكان رسول الله ﷺ قد أمرهم بالمسير إلى تخوم البلقاء من الشام حيث قتل زيد بن حارثة ، وجعفر وابن رواحة فيغتزوا على تلك الأراضى ، فخرجوا إلى الجرف فخيموا به ، وكان بينهم عمر بن الخطاب ، ويقال : وأبوبكر الصديق ، فاستثناه رسول الله منهم للصلاة ، فلما ثقل رسول الله ﷺ ، أقاموا هنالك ، فلما مات عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ، ولم يبق للجمعة مقام فى بلد سوى مكة والمدينة ، وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما فى صحيح البخارى عن ابن عباس كما سيأتى ، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام ، لم يفروا ولا ارتدوا ، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لاينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم ، لأن ما جهز بسببه فى حال السلامة ، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب ، فامتنع الصديق من ذلك ، وأبى أشد الإباء ، إلا أن ينفذ جيش أسامة ، وقال : والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ، ولو أن الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة ، وآمر الحرس يكونون حول المدينة ، فكان خروجه فى ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لايمرون بحى من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم ، وقالوا : ماخرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فقاموا أربعين يوما ، ويقال : سبعين يوما ، ثم أتوا سالمين غانمين ، ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعى الزكاة على ما سيأتى تفصيله قال سيف بن عمر : عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما بويع أبوبكر وجمع الأنصار فى الأمر الذى افترقوا فيه ، قال : ليتم بعث أسامة وقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة ، فى كل قبيلة ونجم النفاق ، واشرأبت اليهودية والنصرانية والمسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ ، وقلتهم وكثرة عدوهم ، فقال له الناس : إن هؤلاء جل المسلمين ، والعرب على ما ترى قد انتقصت بك ، وليس ينبغى لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين ، فقال : والذى نفسى أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السباع

تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته » .

«وقد روى هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ومن حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأبت النفاق ، والله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة فى حش فى ليلة مطيرة بأرض مسبعة ، فوالله ما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بخطلها وعنانها وفصلها ، ثم ذكرت عمر فقالت : من رأى عمر علم أنه خلق غنى للإسلام كان والله أحوذيا ، نسيج وحده ، قد أعد للأمور أقرانها » .

« وروى سيف بن عمر عن أبى ضمرة وأبى عمرو وغيرهما عن الحسن البصرى : أن أبابكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر : قل له : فليؤمر علينا غير أسامة ، فذكر له عمر ذلك ، فيقال : أنه أخذ بلحيته وقال : ثكلتك أمك ياابن الخطاب ، أؤمر غير أمير رسول الله ﷺ ؟؟ ثم نهض بنفسه إلى الجرف ، فاستعرض جيش أسامة ، وأمرهم بالمسير ، وسار معهم ماشيا ، وأسامة راكبا ، وعبدالرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق ، فقال أسامة : يا خليفة رسول الله ، إما أن تركب وإما أن أنزل فقال : والله لست بنازل ولستُ براكب ، ثم استطلقَ الصدِّيقُ من أسامة عمرَ بن الخطاب — وكان مكتتبا فى جيشه — فأطلقه له ، فلهذا كان عمر لايلقاه بعد ذلك إلا قال : السلام عليك أيها الأمير » .

تعليــق :

نلمس فى هذا النص التاريخى رجلا حقيقيا تربى على الإسلام ، فكان بحق إسلاما يتحرك على الأرض ، ونرى فيه العالم الربانى الذى زاده الله علما وفقها ، نرى رجلا له عزة المسلم وشجاعة المسلم الواثق من ربه ، الذى لايريد أن تنكس أعلام الجهاد حتى لو كان وحده فى مواجهة أعداء الله .

هذا الرجل هو الصحابى الجليل أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه ، حينما تولى أمور المسلمين ، فإذا هو يواجه موقفا عصيبا : « لما مات رسول الله ﷺ عظم الخطب ، واشتد الحال ، ونجم النفاق بالمدينة ، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ، ولم يبق للجمعة مقام فى بلد سوى مكة والمدينة » . « واشرأبت اليهودية والنصرانية والمسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ ، وقلتهم وكثرة عدوهم » ... وهذا ما عبرت عنه عائشة رضى الله عنها بقولها : «والله لقد نزل بى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزى مطيرة فى حش ، فى ليلة مطيرة، بأرض مسبعة » .

ماذا يفعل خليفة رسول الله ﷺ ، الرجل الأول ، راعى الأمة فى مواجهة هذا الموقف ؟؟ . . .

لم يكن أمامه من سبيل إلا الإعتصام بالله : ﴿ واعتصموا بالله هو مولاكم ﴾[1] ، ومشاورة المسلمين أصحابه ، أصحاب رسول الله ﷺ .. ، لم يكتم شيئا ، لم يهون الأمر ، ولم يهوله . فهناك شرط لكى يصدق الإنسان المشورة ، يجب أن لايكتم عن المشير خبره كاملا ... وهذا ما فعله خليفة رسول الله ﷺ .

وجاء رد الصحابة رضوان الله عليهم أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم لأن ماجهز بسببه فى حال السلامة ، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه ، فامتنع الصديق من ذلك ، وأبى أشد الإباء وقال : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة ، وآمر الحرس يكونون حول المدينة » .

رد حاسم يتجلى فيه قوة أبى بكر وفقهه وعلمه وحسمه ، ولا يعنى ذلك أن أبابكر رضى الله عنه قد استبد برأيه فى مواجهة مشورة الصحابة رضوان الله

---

(١) الحج : ٧٨ .

عليهم ، وإنما ذلك يعنى أن أبابكر قد فقه أمرا قد خفى على صحابة رسول الله ﷺ . يتضح ذلك من قوله رضى الله عنه : « والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ . ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته » . إذن عقد الراية لبعث أسامة ، هو أمر من رسول الله ﷺ الذى ما ينطق عن الهوى بإنفاذه ، ولايجوز لأحد أن يحل راية عقدها رسول الله ﷺ ، من هنا نرى إذا ظهر النص واضحا جليا ، فلا يسع الجميع إلا أن يؤخروا الشورى ويقدموا النص ، وهذا ما حدث . ولله الحمد والمنة .

وكان التوفيق من الله عز وجل ، يقول المؤرخون المسلمون : فكان خروج « جيش أسامه » فى ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لايمرون بحى من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم ، وقالوا : ماخرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة ، فقاموا أربعين يوما ، ويقال : سبعين يوما ، ثم أتوا سالمين غانمين .

بقى نقطة أخيرة :

لما صمم أبوبكر على تجهيز جيش أسامة قال الأنصار لعمر : قل له : فليؤمر علينا غير أسامة ، فذكر له عمر ذلك ، فقال أبوبكر : « أؤمر غير أمير رسول الله ﷺ » .

إنها أوامر رسول الله ﷺ ، تستوى فى ذلك الصغيرة والكبيرة ، ورسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى ، إنه وحى يوحى ، حقيقة أن رسول الله قد مات ، ولكن رب رسول الله حى لايموت ، فالأمر أولا وآخرا هو أمر خشية الله سبحانه وتعالى فى السر والعلانية .

ثم نهض بنفسه إلى الجرف ، فاستعرض جيش أسامة ، وأمرهم بالمسير ، وسار معهم ماشيا وأسامة راكبا ، وعبدالرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق ، قمة الإحساس بالمسئولية وقمة التواضع ، لم يوفد الصديق الخليفة نائبا عنه ليودع جيش أسامة ، إنما ذهب بنفسه ، يسير على قدميه وأسامة القائد الشاب ، راكبا ، ياسبحان الله ، إن هذا هو الإسلام هذا هو دين الله . الخليفة يسير على أقدامه وأحد قواده يركب على فرسه . ماهو الأثر الذى يمكن أن يتركه هذا على الجنود

إنه لاشك أثرا يعجز القلم عن أن يصفه أو يعبر عنه .

وهنا نرى أسامة رضى الله عنه يقول : ياخليفة رسول الله ، إما أن تركب وإما أن أنزل . فقال : والله لستَ بنازلٍ ولستُ براكبٍ .

هنا نلمح أدب أسامة بن زيد رضى الله عنه الذى تربى على الإسلام ، وعلى يد رسول الله ﷺ ، ونلمح أيضا تواضع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو نتاج التربية على هذا الدين وثمة شيء آخر ، أبوبكر خليفة رسول الله يستطلق من أسامة عمر بن الخطاب وكان مكتتبا فى جيشه ، فأطلقه له .

ياالله ؟؟ أين البشرية الآن من هذه القمة السامقة ، أين البشرية الآن من هذا الإسلام العظيم ، أين البشرية الآن من هذه النماذج لصحابة رسول الله ﷺ ، الذين كانوا إسلاما يتحرك على الأرض . لايعنى ذلك أنها نماذج مثالية ، ولا يمكن أن تتحقق ، على العكس يمكن أن تتحقق لو أنكم يا أساتذة التاريخ أظهرتم هذه الصور المشرقة فى تاريخنا الإسلامى ، وقلتم للناس هذا هو نتاج هذا الإسلام العظيم ، ولكنكم تتحملون الوزر الأكبر ، لأنكم أخفيتم هذه الصور الوضيئة بل وطمستم معالمها ، واخترعتم بدلا منها صورا من خيالكم المريض .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه جندى فى جيش أسامة ، وعمر وهو من هو ، جندى فى جيش أسامة ، وقيل إن الصديق رضى الله عنه كان مكتتبا فى جيش أسامة ، ولكن رسول الله ﷺ أمره أن يصلى بالمسلمين أيام مرضه الأخير ... خيار الصحابة رضوان الله عليهم جنود فى جيش يقوده شاب صغير عمره لايتجاوز سبعة عشر عاما .

إنه الإسلام ، إنه تربية المسلم على السمع والطاعة ولو ولى عليه عبد حبشى كأن أم رأسه زبيبة ، لم يعترض عمر ، ولم يعترض أبوبكر ، إنما قالوا : سمعنا وأطعنا وهذا درس للجندية فى الإسلام ، وهذا يؤكد لنا أهمية هذا الدين ، وما يمكن أن ينشئه فى النفس البشرية من قيم وتصورات .

ثم يأتى موقف الصديق ، إنه يستأذن أسامة فى عمر بن الخطاب ، لا إله إلا الله الخليفة يستأذن من أحد جنوده ، من أسامة لم يصدر قرارا أو أمرا وكان

قادرا ، وكان من حقه ، ولكنه يستأذن ، هذا هو الأدب يا أبناء المسلمين ، هذا هو الأدب يا أساتذة التاريخ هذا هو الأدب يا من وضع فى أيديكم أمانة تربية هذه الأمة ، ألم يكن الأولى بكم التركيز على هذه الصور المشرقة فى تاريخنا الإسلامى بدلا من تلمس الهفوات ، وبدلا من اختراع صور ساقطة من خيالكم المريض ، ألا أيها الكتاب فلتتقوا الله ، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .

الموقف الثانى : التصدى لقتال أهل الردة ومانعى الزكاة :

« قد[1] تقدم أن رسول الله ﷺ لما توفى ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ،و نجم النفاق بالمدينة ، وانحاز إلى مسيلمة الكذاب بنو حنيفة وخلق كثير باليمامة ، والتفت على طليحة الأسدى بنو أسد وطيء ، وبشر كثير أيضا وادعى النبوة أيضا كما ادعاها مسيلمة الكذاب وعظم الخطب ، واشتدت الحال ، ونفذ الصديق جيش أسامة ، فقل الجند عند الصديق ، فطمعت كثير من الأعراب فى المدينة ، وراموا أن يهجموا عليها فجعل الصديق على أنقاب المدينة حراسا يبيتون بالجيوش حولها ، فمن أمراء الحرس على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبدالله ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعبدالله بن مسعود ، وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ، ويمتنعون من أداء الزكاة ، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق ، وذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم »[2] . قالوا : فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا ، وأنشد بعضهم :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا
فوا عجبا مابال ملك أبى بكر

---

(1) البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣١١ - ٣١٤ .
(2) التوبة : ١٠٣ .

وقد تكلم الصحابة مع الصديق فى أن يتركهم وماهم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان فى قلوبهم : ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك وأباه .

وقد روى الجماعة فى كتبهم سوى ابن ماجه عن أبى هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر : علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟ » . فقال أبوبكر : والله لو منعونى عناقا ، وفى رواية : عقالا ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . قال عمر : فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق .

قلت : وقد قال الله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم ﴾(١) . وثبت فى الصحيحين : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا »(٢) .

وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريقين عن شبابة بن سوار : ثنا عيسى بن يزيد المدينى ، حدثنى صالح بن كيسان ، قال : لما كانت الردة **قام أبوبكر فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال** : الحمد لله الذى هدى فكفى ، وأعطى

---

(١) التوبة : ٥ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحة – كتاب الإيمان – باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ١/٤٥ . واللفظ له . وفى الباب غيره بألفاظ مختلفة ، والبخارى فى صحيحه – كتاب الإيمان – باب دعاؤكم إيمانكم ١٠/٩ . بلفظ « ... والحج » ، والترمذى فى سننه ، والنسائى فى السنن ، وأحمد فى المسند ٢/٢٦ .

فأغنى ، إن الله بعث محمدا ﷺ والعلم شريد ، والإسلام غريب طريد ، قد رث حبله ، وخلق عهده ، وضل أهله منه ، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيرا لخير عندهم ، ولايصرف عنهم شرا لشر عندهم ، قد غيروا كتابهم ، وألحقوا فيه ماليس منه ، والعرب الآمنون يحسبون أنهم فى منعة من الله ، لا يعبدونه ولا يدعونه ، فأجهدهم عيشا ، وأضلهم دينا فى ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب فختمهم الله بمحمد ، وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ﷺ ، فركب منهم الشيطان مركبه ، الذى أنزله عليه ، وأخذ بأيديهم ، وبغى هلكتهم : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾[1] . إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم ، وبعيرهم ، ولم يكونوا فى دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا فى دينكم أقوى منكم يومكم هذا ، على ما قد تقدم من بركة نبيكم ﷺ ، وقد وكلكم إلى المولى الكافى ، الذى وجده ضالا فهداه ، وعائلا فأغناه ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[2] الآية ، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ، ويوفى لنا عهده ويقتل من قتل منا شهيدا إلى الجنة ويبقى من بقى خليفته وذريته فى أرضه ، قضاء الله الحق ، وقوله الذى لاخلف له ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ﴾[3] الآية . ثم نزل .

وقال الحسن وقتادة وغيرهما فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [4] الآية - قالوا : المراد بذلك : أبوبكر وأصحابه ، فى قتالهم المرتدين ، ومانعى الزكاة .

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) آل عمرا : ١٠٣ .

(٣) النور : ٥٥ .

(٤) المائدة : ٥٤ .

وقال محمد بن إسحاق : ارتدت العرب عند وفاة رسول الله ﷺ ، ما خلا أهل المسجدين : مكة والمدينة ، وارتدت أسد وغطفان وعليهم طليحة بن خويلد الأسدى الكاهن وارتدت كندة ومن يليها ، وعليهم الأشعث بن قيس الكندى ، وارتدت مذحج ومن يليها وعليهم الأسود بن كعب العنسى الكاهن ، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر ، وكانت حنيفة مقيمة على أمرها مع مسيلمة بن حبيب الكذاب ، وارتدت سليم مع الفجأة ، واسمه أنس بن عبدياليل ، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة :

قال القاسم بن محمد : اجتمعت أسد وغطفان وطىء على طليحة الأسدى ، وبعثوا وفودا إلى المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم إلا العباس ، فحملوا بهم إلى أبى بكر ، على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله لأبى بكر على الحق وقال : لو منعونى عقالا لجاهدتهم ، فردهم فرجعوا إلى عشائرهم ، فأخبروهم بقلة أهل المدينة ، وطمَّعوهُم فيها ، فجعل أبوبكر الحرس على أنقاب المدينة ، وألزم أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال : « الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وإنكم لاتدرون ليلا يأتون أم نهارا ، وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ، فاستعدوا وأعدو » . فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة ، وخلفوا نصفهم بذى حُسى ليكونوا ردءا لهم ، وأرسل الحرس إلى أبى بكر يخبرونه بالغارة ، فبعث إليهم : أن الزموا مكانكم . وخرج أبوبكر فى أهل المسجد على النواضح إليهم ، فانفشَّ العدو واتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الردء فالتقوا مع الجمع ، فكان الفتح ... .

وفى جمادى الآخرة ركب الصديق فى أهل المدينة وأمراء الانقاب ، إلى من حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها ، فلما تواجه هو وأعداؤه من بنى عبس ، وبنى مرة ، وذبيان ، ومن ناصب معهم من بنى كنانة ، وأمدهم طليحة بابنه حبال ، فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيدة وهى أنهم عمدوا إلى أنحاء فنفخوها ثم أرسلوها من رءوس الجبال ، فلما رأتها إبل أصحاب الصديق نفرت وذهبت كل مذهب ، فلم يملكوا من أمرها شيئا إلى الليل ، وحتى رجعت إلى

المدينة ، ... فلما وقع ما وقع ، ظن القوم بالمسلمين الوهن ، وبعثوا إلى عشائرهم من نواحى أخر ، فاجتمعوا ، وبات أبوبكر رضى الله عنه قائما ليله يعبىء الناس ، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل ، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى الميسرة أخوه عبدالله بن مقرن ، وعلى الساقة أخوهما سويد بن مقرن ، فما طلع الصباح إلا وهم والعدو فى صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين حسا ولا همسا ، حتى وضعوا فيهم السيوف فما طلعت الشمس حتى ولوا الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حبال ، واتبعهم أبوبكر حتى نزل بذى القصة ، وكان أول الفتح ، وذل بها المشركون ، وعز بها المسلمون ، ووثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم ، وفعل من وراءهم كفعلهم ، فحلف أبوبكر ليقتلن من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ... .

فكانت هذه الوقعة من أكبر العون على نصر الإسلام وأهله ، وذلك أنه عز المسلمون فى كل قبيلة ، ورجع أبوبكر إلى المدينة مؤيدا منصورا سالما غانما ، وطرقت المدينة فى الليل صدقات عدى بن حاتم ، وصفوان والزبرقان ، إحداها فى الليل ، والثانية فى أوسطه ، والثالثة فى آخره وقدم بكل واحدة منهن بشير من أمراء الانقاب فكان الذى بشر بصفوان سعد بن أبى وقاص ، والذى بشر بالزبرقان عبدالرحمن بن عوف ، والذى بشر بعدى بن حاتم عبدالله بن مسعود ، ويقال : أبوقتادة الأنصارى رضى الله عنه . وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول الله ﷺ .

ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك بليال ، فاستخلفه أبوبكر على المدينة ، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم ، ثم ركب أبوبكر فى الذين كانوا معه فى الوقعة المتقدمة ، إلى ذى القصة ، فقال له المسلمون : لو رجعت إلى المدينة وأرسلت رجلا فقال : والله لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسى ، فخرج فى تعبئته ، إلى ذى حسى وذى القصة ، والنعمان وعبدالله وسويد بنو مقرن على ماكانوا عليه حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق ، وهناك جماعة من بنى عبس وذبيان ، وطائفة من بنى كنانة ، فاقتتلوا فهزم الله الحارث وعوفا ، وأخذ الحطيئة أسيرا ، فطارت بنو عبس وبنو بكر ، وأقام أبوبكر على الأبرق أياما وقد غلب بنى ذبيان على البلاد ،

وقال : حرام على بنى ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد ، إذ غنمناها الله وحمى الأبرق بخيول بالمسلمين ، وأرعى سائر بلاد الربذة ولما فرت عبس وذبيان صاروا إلى مؤازرة طلحة وهو نازل على بُزاخة ... » .

تعليـق :

قائد وإمام الأمة الخليفة أبوبكر الصديق أثبت بفضل الله جدارته بالمنصب الذى تولاه وأثبت بفضل الله أنه كان على مستوى الأحداث التى وقعت بعد وفاة النبى ﷺ ، كما أثبت علما وفقها يؤكد لنا عظمة هذا الإسلام الذى هم نتاجه .

وأمثال هؤلاء القادة لاتتضح معادنهم إلا فى مواجهة الأحداث العظام ، تماما كما حدث مع الصديق رضى الله عنه وأرضاه ، فى مواجهة أحداث الردة ... .

فى تلك الظروف تكاثر الأعداء على الدولة الإسلامية الوليدة ، التى رزءت بوفاة قائدها وحبيبها ونبيها محمد ﷺ ، لكن الخطر لم يدفع أبابكر إلى أن يسالم الكفر وأهله ، أو أن يساوم فى دين الله ، أو أن يتنازل عن حق من حقوق الله ، لأن الأمر بالنسبة إليه هو دين الله ، أن تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، إن الأمر بالنسبة إليه كان دين الله ككل لا يتجزأ ، فالصلاة من الإسلام ، والزكاة من الإسلام ، إلى غير ذلك .

وحينما نرجع إلى النصوص الصحيحة فى هذا الشأن :

« ارتدت أحياء كثيرة من الأعراب ، ونجم النفاق بالمدينة » وادعى النبوة من ادعاها أمثال : « مسيلمة الكذاب » ، وعظم الخطب واشتدت الحال ، وفقد الصديق جيش أسامة ، فقل الجند عند الصديق ، فطمعت كثير من الأعراب فى المدينة ... إلى آخر ما ورد فى النصوص ، منها : « وجعلت وفود العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة » .

واستشار الصديق أصحابه ، فأشار بعضهم عليه : أن يتركهم وماهم عليه من منع الزكاة ، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان فى قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ،

فامتنع الصديق عن ذلك وأباه .

فها هو عمر يقول لأبى بكر : علام تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ؟ فقال أبوبكر : والله لو منعونى عناقا ، وفى رواية : عقالا ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » .

هذا هو القائد الإمام المسلم الخليفة أبوبكر الصديق يحسم الأمر بفقهه فى دين الله ، فقد فهم أن إيتاء الزكاة من حق لا إله إلا الله ، إذن ، لابد من القتال ؛ إن الدليل قدمه الإمام من حديث رسول الله ﷺ على وجوب القتال وحتميته ، لأن مقتضيات لاإله إلا الله هو الانقياد لأوامر الله ، ومنها إيتاء الزكاة ، وإطاعة أوامر الله .

لقد لقن الصديق إخوانه درسا جيدا أنه ليس لأحد أن يتنازل عن أمر شرعه الشارع الحكيم ، أو يعطله .

لقد أشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أبى بكر أن يقبل منهم تقديرا للظروف ، المحيطة بالدولة الإسلامية ، وحرصا على دين الله عز وجل .

ولكن الصديق علمه أنه لا اجتهاد مع النص ولا تأويل ولا تحريف ، « يقول عمر رضى الله عنه : فما هو إلا أن رأيتُ الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق » .

وهكذا نلاحظ أهمية أن يكون الإمام فقيها عالما ، يوقن بأن الإسلام نظام حياة شامل لايحق لإنسان أن يرفض بعضه ويأخذ بعضه : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون ﴾[1] .

---

(١) البقرة : ٨٥ .

ووقائع الأحداث التى حفظها لنا الله سبحانه وتعالى فى كتب التاريخ ، تعطينا توجيهات وإيحاءات فيما يتصل بهذه الأحداث ووجهة نظر الصديق وأصحابه ، وموقفهم منها ، الذى يمثل قمة الانضباط مع أوامر الإسلام من مثل صحابة رسول الله ﷺ ، ويؤكد أنه لاعزة ولا تمكين للأمة المسلمة بغير هذا الدين ، وأنه لامخرج لأمة الإسلام فى مواجهة الأحداث الجسام إلا بهذا الدين :

(أ) إن قلة عدد المسلمين فى مواجهة عدو شرس حشد كل قواه ، لاتجعلهم يقبلون المساومة فى دين الله عز وجل ، أو تقوم دولة تقيم بعض نظام الله وشرعه دون البعض الآخر ، أو نقيم ركنا من أركان الإسلام وتتجاهل الركن الآخر ، إن دين الله كل لايتجزأ ، لافرق فيه بين الصلاة والزكاة والصيام وإقامة الحدود ... إلى غير ذلك من أوامر هذا الدين . ومن هنا أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال المرتدين ، لأنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة ، وأصروا على قطعها ، ونسوا أن من مقتضيات لا إله إلا الله إيتاء الزكاة .

(ب) لقد كان للصحابة وجهة نظر ، ورجحت تلك التى تستند على نص من الشارع الحكيم الذى عبر عنه رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .

(جـ) ضرورة التذكرة : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[1] . وهذا هو واجب الراعى قبل رعيته :

فها هو الصديق يذكر قومه بأن محمدا قد بعث والإسلام غريب طريد قد رث حبله ، وخلق عهده ، وضل أهله منه ، فأرسل الله محمدا ﷺ ، وجعل أمته الأمة الإسلامية الأمة الوسط : « نصرهم بمن اتبعهم ، ونصرهم على غيرهم » .

---

(١) الذاريات : ٥٥ .

أى أن الله قد منّ عليهم ببعثة خاتم الأنبياء منهم ، وهذه نعمة تستحق الشكر ، وشكرها بالدرجة الأولى معرفة حق الله ، والمنافحة عن دين الله عز وجل .

(د) إن القيادة فى الإسلام يجب أن تظل قيادة فكرية عقـدية ، مرتبطة بالله عز وجل : « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت » .

(هـ) إن القوة بيد الله ، والنصر بيده سبحانه وتعالى ، وهو الكافى لعباده ، ويجب على المسلم فى مواجهة الخطوب ، أن لايستقل شأنه ، أو قدرته ، بعد أن يأخذ بكل الأسباب المادية الظاهرة ، بل يتوكل على الله ، ويفوض الأمر إليه ، ثم يمضى ما أمر به الله سبحانه وتعالى : « وقد وكلكم إلى المولى الكافى ، الذى وجده ضالا فهداه ، وعائلا فأغناه : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[1] والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ، ويوفى لنا عهده ويقتل من قتل منا شهيدا إلى الجنة ، ويبقى من بقى خليفته وذريته فى أرضه ، قضاء الله الحق ، وقوله الذى لاخلف له » .

إذن فليس للمسلم من غاية إلا مرضاة الله ، وهى إما الشهادة أو النصر : ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾[2] .

(و) إذا نكص الناس عن دين الله ، ونكصوا عن الجهاد فى سبيلة ، استبدلهم الله بغيرهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾[3] ، ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لايكونوا أمثالكم ﴾[4] .

---

(١) آل عمران : ١٠٣ .

(٢) التوبة : ٥٢ .

(٣) المائدة : ٥٤ .

(٤) محمد : ٣٨ .

(ز) عدم السماح لأعداء الإسلام بالدخول إلى بلاد المسلمين للتعرف على عوراتهم ، ونقاط الضعف فيهم ، فها هم المرتدون : أسد وغطفان وطيء وغيرهم ، بعثوا فردا فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم إلا العباس ثم رجعوا إلى عشائرهم ، فاخبروهم بقلة أهل المدينة وطمعوهم فيها .

(ح) مسئولية الراعى المسلم فى مواجهة الأحداث اتخاذ الحيطة والحذر : ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾[1] ، فجعل أبوبكر الحرس على أنقاب المدينة وألزم أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال : « الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وإنكم لاتدرون ليلا يأتون أم نهارا ، وأدناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ، ونوادعهم ، وقرأ شيئا عليهم ، فاستعدوا وأعدوا » .

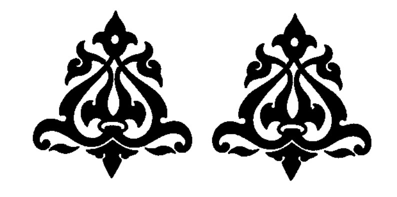
أى أن الصف المسلم لابد وأن يكون يقظا مستعدا ، مرابطا فى ثغور المسلمين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[2] .

(ط) القائد المسلم يجب أن يتقدم الصفوف لأنه أتقى لله ، وأعرف بالله من أن يتأخر عن طلب الشهادة فى سبيله ، فها هو أبوبكر يتقدم صفوف المجاهدين لمقاتلة المرتدين « وبات أبوبكر رضى الله عنه قائما ليله يعبىء الناس ، ثم خرج على تعبئة من آخر الليل ، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى الميسرة أخوه عبدالله بن مقرن ، فما طلع الصباح إلا وهم والعدو فى صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين حسا ولاهمسا ، حتى وضعوا فيهم السيوف ، فما طلعت الشمس حتى ولوا الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم » . وهكذا يجب أن يكون أئمة المسلمين وقادتهم .

---

(١) النساء : ٧١ .
(٢) آل عمران : ٢٠٠ .

(ى) ﴿ وما النصر إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم ﴾[1] . لقد كان النصر حليف المؤمنين الموحدين رغم قلة عددهم ، وتعدد الأحداث التى نزلت بهم ، وذلك لإيمانهم ، واعتصامهم بربهم ، وتوكلهم عليه ، وإعلائهم راية الجهاد ، لأنهم تعلموا فى مدرسة الإسلام ، إن رزق المسلم تحت ظل رمحه ، وأنه ماترك قوم الجهاد إلا ذلوا .



---

(١) الأنفال : ١٠ .

الجزء الثالث

خليفة رسول الله ﷺ
يتقدم صفوف المجاهدين فى سبيل الله شاهرا سيفه

« خروجه إلى ذى القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر .

وذلك بعدما جم جيش أسامة واستراحوا ، ركب الصديق أيضا فى الجيوش الإسلامية شاهرا سيفه مسلولا ، من المدينة إلى ذى القصة ، وهى من المدينة على مرحلة ، وعلىّ بن أبى طالب يقود براحلة الصديق رضى الله عنهما ، كما سيأتى فسأله الصحابة ، منهم علىّ وغيره ، وألحوا عليه أن يرجع إلى المدينة ، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال ، فأجابهم إلى ذلك ، وعقد لهم الألوية لأحد عشر أميراً . على ما سنفصله قريبا إن شاء الله .. .

وقد روى الدارقطنى من حديث عبدالوهاب بن موسى الزهرى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر قال : « لما برز أبوبكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته ، أخذ على بن أبى طالب بزمامها وقال : إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فو الله لئن فجعنا بك لايكون للإسلام نظام أبدا ، فرجع »[1] .

« هذا حديث غريب صحيح من طريق مالك ، وقد رواه أبوزكريا الساجى من حديث عبدالوهاب بن موسى بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف (و) الزهرى أيضا عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : خرج أبى شاهرا سيفه ، راكبا على راحلته إلى وادى القصة فجاء على بن أبى

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٦ ، ص ٣١٤ - ٣١٦ .

طالب فأخذ بزمام راحلته فقال إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم أحد : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، فو الله لئن أصبنا بك لايكون للإسلام نظام بعدك أبدا ، فرجع وأمضى الجيش .

وقال سيف بن عمر : عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد : لما استراح أسامة وجنده وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم قطع أبوبكر البعوث ، وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءا عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له ، ولعكرمة بن أبى جهل ، وأمره بمسيلمة وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثره إلى مسيلمة الكذاب ، ثم إلى بنى قضاعة ، وللمهاجر بن أبى أمية وأمره بجنود الأسود العنسى ، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح . قلت : وذلك لأنه كان قد نزع

وقال سيف بن عمر : عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد : لما استراح أسامة وجنده وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم قطع أبوبكر البعوث ، وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءا عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح إن أقام له ، ولعكرمة بن أبى جهل ، وأمره بمسيلمة وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثره إلى مسيلمة الكذاب ، ثم إلى بنى قضاعة ، وللمهاجر بن أبى أمية وأمره بجنود الأسود العنسى ، ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح . قلت : وذلك لأنه كان قد نزع
يده من الطاعة ، على ما سيأتى . قال : ولخالد بن سعيد بن العاص إلى مشارف الشام . ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث . ولحذيفة بن محصن الغطفانى وأمره بأهل دبا وبعرفجة وهرثمة وغير ذلك . ولطرفة بن حاجب وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوازن . ولسويد بن مقرن ، وأمره بتهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمى ، وأمره بالبحرين رضى الله عنهم .

وقد كتب لكل أمير كتاب عهده على حدته ، ففصل كل أمير بجنده من ذى القصة ، ورجع الصديق إلى المدينة ، وقد **كتب معهم الصديق كتاباً إلى الربذة وهذه نسخته** : « بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابى هذا ، من عامة وخاصة ، أقام على إسلامه أو رجع

عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى ، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ، ونكفر من أبى ذلك ونجاهده ، أما بعد : فإن الله أرسل محمدا بالحق من عنده ، إلى خلقه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا لينذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله ﷺ من أدبر عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعا أو كرها ، ثم توفى الله رسوله ، وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمته ، وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ، ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل فقال : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾(١) وقال : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن متّ فهم الخالدون ﴾(٢) قال للمؤمنين : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ﴾(٣) . فمن كان إنما يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، ولا تاخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه ، وإنى أوصيكم بتقوى الله ، وحظكم ونصيبكم ، وما جاءكم به نبيكم ﷺ ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل من لم يعنه الله مخذول ، ومن هدا بغير الله كان ضالا ، قال الله تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً ﴾(٤) . ولن يقبل الله له فى الدنيا عمل عبد حتى يقر به ، ولم يقبل له فى الآخرة صرف ولاعدل ، وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه ، بعد أن أقر بالإسلام ، وعمل به ، اغترارا بالله وجهلا بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلا ﴾(٥) . وقال :

---

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) الأنبياء : ٣٤ .

(٣) آل عمران : ١٤٤ .

(٤) الكهف : ١٧ .

(٥) الكهف : ٥٠ .

﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[1] . وإنى بعثت إليكم فى جيش من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لايقبل من أحد إلا الإيمان بالله ، ولايقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل ، فإن أجاب وأقر وعمل صالحا قبل منه ، وأعانه عليه حتى يفيء إلى أمر الله ، ثم لايبقى على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنار ، وأن يقتلهم كل قتلة وأن يسبى النساء والذرارى ، ولايقبل من أحد غير الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابه فى كل مجمع لكم ، والداعية الأذان فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم ، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ماعليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقروا حمل منهم على ماينبغى لهم . رواه سيف بن عمر عن عبدالله بن سعيد عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك .

تعليق :

إن كلمات الصديق رضى الله عنه ، ترسم للأمة منهجاً ... هذا المنهج يقوم على شهادة أن لا إله إلا الله ، هذه الشهادة لها مقتضيات ، ومن مقتضياتها طاعة أوامر الله سواء أكان رسول الله حياً أو ميتاً ، وليس لمسلم أن يطيع أمر الله فى مسألة ، ولا يطيعه فى مسألة أخرى : ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ لقد رأى خليفة رسول الله أن من واجبه أن يذكر الأمة ، علها تعود وتمتثل لأوامر الله ، وإلا أقام عليها حكم الله عزوجل أى أن الحاكم المسلم ليس مخيراً فى أن ينفذ بعض أوامر الله أو لا ينفذها حسب أهواء الأمة أو لأنه لا يناسبها ، إنما هو ملتزم بتنفيذ هذه الأوامر الربانية ، وهو ملزم بأن يأطر الأمة على الحق أطرا .

---

(١) فاطر : ٦ .

الجزء الرابع

هكذا خرج خليفة رسول الله من الدنيا

« جاءت عائشة إلى أبى بكر ، وهو يعالج ما يعالج الميت ، ونفسه فى صدره ، فتمثلت هذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى
إذاحشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان ، ثم قال : ليس كذاك يا أم المؤمنين ، ولكن : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ماكنت منه تحيد ﴾[1] . إنى قد كنت نحلتك حائطا ، وإن فى نفسى منه شىء ، فرديه إلى الميراث ، قالت : نعم ، فرددته ، فقال : أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين ، لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وليس عندنا من فىء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبد الحبشى ، وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر ، وارثى فيهن . ففعلت .

فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض ، ويقول : رحم الله أبابكر ، لقد أتعب من بعده ، رحم الله أبابكر لقد أتعب من بعده ، ياغلام ، ارفعهن . فقال عبدالرحمن بن عوف : سبحان الله ، تسلب عيال أبى بكر عبدا حبشيا وبعيرا ناضحا وجرد قطيفة ثمنه خمسة دراهم ؟؟ قال : فما تأمر ؟؟ قال : تردهن على عياله . فقال : لا والذى بعث محمدا بالحق ، أو كما حلف ، لايكون هذا فى ولايتى أبدا ، ولا خرج أبوبكر منهن عند الموت وأردهن أنا على عياله ، الموت أقرب من ذلك[2] .

---

(١) ق : ١٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

تعلـــيق :

ياله من إمام مُعَلّم ، استوعب دوره فى الحياة وأداه على الوجه الأكمل ، لقد أدرك رضى الله عنه الغاية التى من أجلها خلق الله الإنسان وهى العبادة بمفهومها الشامل ، لقد مارس أبوبكر رضى الله عنه هذا الدور حتى آخر عهده بالحياة الدنيا .

لقد قام بدور المعلم والموجه حينما أنشدت ابنته عائشة رضى الله عنها بيت شعر ردها إلى كتاب الله ، لأنه ليس هنالك أبلغ من كلام الله وآياته تعبيراً عن دقة الموقف .

ثم ها هو الصديق رضى الله عنه يغرس فسيلة أخرى ، يعلم بها الحكام فى كل زمان ، أن الحاكم فرد من الشعب ، يأكل مما يأكلون ويلبس مما يلبسون ، بل إنّه أقلهم تنعما ورفاهة ، وعند انتهاء مهمته إذا كان فى بيته شيء من الملكية العامة إستلزمتها دواعى المنصب فعليه أن يردها لبيت المال ، ولا يجوز مطلقاً أن تكون ميراثاً لأولاده .

وأكد هذا الفاروق رضى الله عنه حينما رفض رأى عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فى أن يرد العبد والبعير والقطيفة لعيال أبى بكر .

فالموقف يستلزم الوقوف موقف الإمتثال لأوامر الشارع الحكم بعيداً عن العواطف والأهواء ، فأين الناس من توجيهات صحابة رسول الله ﷺ .



الفصل السادس

تفنيد بقية مزاعم المستشرقين ومن سار على نهجهم فيما يتصل بمسألة استخلاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ونظام الحكم فى الإسلام والمبدأ الديمقراطى

أولا : دحض الزعم القائل بأن منصب الخلافة شغل بالتعيين ولم يقم على أساس الشـــورى :

والرد أن الذى حدث فى سقيفة بن ساعدة يبين حقيقة الأمر ، فالخلافة لم تنعقد لأبى بكر ولم تنعقد لغيره بمجرد ترشيح أو تعيين أحد الخلفاء الأربعة ، ولا يمكن أن تنعقد لأحد إلا بعد أن يتلقى البيعة الخاصة من جمهور أهل الحل والعقد وهم الصفوة من الأمة ، ثم تأتى البيعة العامة من جمهور المسلمين . ولذلك فإن اجتماع أبى بكر فى الثقيفة بالمهاجرين والأنصار كان تشريعا للأمة ، فإن نظام الحكم فى الإسلام يقوم فى اختيار الخليفة أو الإمام على هاتين القاعدتين بالإضافة إلى قاعدة أخرى ، وهى صفات لابد من توافرها فى الإنسان المرشح لإمامة المسلمين ، ورغم أن رسول الله ﷺ كما هو ثابت دل الأمة على أبى بكر من بعده لأفضليته على سائر المسلمين ، ولما علم أن الله يختاره والمؤمنون إلا أنه ترك لهم أسلوب تنصيبه إماما ومايتفق وظروفهم ، وهنا يمكن أن نفترض أن النص على أبى بكر كان على سبيل الخصوصية له[1] ، كما كان اختيار أبى بكر لعمر رضى الله عنه خصوصية له . ورغم استخلاف أبى بكر لعمر ، فإن الإمامة لم تنعقد لعمر

---

(١) لأنهما أفضل مَنْ فى الأمة بنص الحديث بعد رسول الله كما قدمنا .

بمجرد عهد أبى بكر له ، ولكن استلزمت اجتماع وبيعة أهل الحل والعقد ثم بيعة جمهور المسلمين ، وكذلك ترشيح عمر للستة من الصحابة ، لم تنعقد فيه الإمامة لعثمان رضى الله عنه بمجرد اختياره من إخوانه وترشيحه للإمامة ، ولكن انعقدت ببيعة أهل الحل والعقد ثم بيعة جمهور المسلمين .

أى أن الشورى لم تستبعد النص أو الترشيح إذا كان ذلك فى مصلحة المسلمين لأنه فى الإمكان لأهل الحل والعقد أنْ يرفضوا الإمام المرشح ويمكن لجمهور المسلمين أن لايعطى البيعة العامة للإمام المرشح فلا تنعقد له بيعة .

وقد كان هذا التصرف من قبل رسول الله ﷺ وصحبه من توفيق الله سبحانه وتعالى له ، لأن الدولة الإسلامية ناشئة ، ولم يكن هنالك أقدر من رسول الله ﷺ وصحبه على اختيار العنصر الأصلح القادر – بحول الله – على قيادة السفينة الإسلامية إلى بر الأمان فى تلك الظروف الطارئة بعد وفاة رسول الله ﷺ . فأبوبكر كما لاحظنا لم يرشح نفسه ، ولا طلب الأمر لنفسه لأن القاعدة التشريعية الإسلامية ألا ينهض أحد من نفسه ليستولى على الخلافة أو يركب السلطة بسعيه وتدبيره . إنما كان الناس يضعون أعنة الحكم – بعد تشاورهم – فى يد من يرونه أصلح لقيادة الأمة وأكفأ لزعامتها فلم تكن البيعة حصاد السلطة بل كانت البيعة مانحة السلطة وسببها ولم يكن لجهود المرء أو محاولاته أو تآمره أى دخل فى انعقاد البيعة له على الإطلاق وكان الناس أحرارا تماما فى أن يبايعوا أولا يبايعوا . ومن ثم لم يصل إلى السلطة من لم تنعقد له البيعة برضا الناس الحُرّ وكل واحد من الخلفاء الراشدين وصل الحكم وفق هذه القاعدة ، فما حاول واحد منهم – ولو أضأل محاولة ، أن يصل إلى الحكم بنفسه إنما كان يصل إلى الحكم إذا وصل الحكم إليه وأعطى له ، وأكثر مايمكن لأحد أن يقول فى سيدنا أبى بكر أنه قد علم أنه المرشح لهذا الأمر لأنه أفضل الموجودين ، بيد أنه لم يثبت من أى رواية تاريخية ذات اعتبار أنه سعى – ولو بمقدار ذرة من السعى – لنيل الخلافة وبالتالى فمجرد رؤيته نفسه أحق بالخلافة لايمكن اعتباره أمرا مخالفاً لهذه القاعدة .

والحق أن الخلفاء الأربعة كانوا سواء فى أن خلافتهم كانت خلافة معطاة لا مأخوذة . فالأمر كله قام على أساس الشورى لأن الشورى قاعدة هامة من القواعد الأساسية التى تسير عليها الدولة الإسلامية ، وما كانت تؤخذ المشورة إلا ممن تثق الأمة فى علمهم وتقواهم وأمانتهم وسداد رأيهم أما من كان الخلفاء الراشدون يستشيرونهم أثناء حكوماتهم فكانوا أفضل الناس فى الأمة يفقهون دينهم ويشيرون – فى حرية تامة وشجاعة كاملة – بما يمليه عليهم علمهم وضميرهم وإيمانهم . وكان الناس جميعا على يقين من أنهم لن يسحبوا الحكومة إلى طريق ضال أو يقودوها إلى متاهات مسدودة فكان كل فرد فى الأمة يعترف بهم أهل الحل والعقد فى البلاد .

والشورى فى نظام الدولة الإسلامية مضبوطة بقواعد منها : أنه لا شورى فيما فيه نص ، لاشورى فى قضايا الحق والعدل .

ثانيا : دحض الزعم القائل : إن الإسلام لم يأت ليقيم دولة ، وإنما جاء كدين :

وهذا زعم معناه أن الإسلام لايصلح أن يكون نظام حياة شامل : سياسى واقتصادى واجتماعى وتعليمى وعسكرى .. إلى غير ذلك من شئون الحياة ، وبمعنى أخص ، فى زعم الكاتب ، أن الإسلام لم يتطرق إلى شكل الحكم فى الدولة الإسلامية ، أى أن الحكم ليس من الإسلام .

وهذا الزعم غريب على الإسلام ، لأن الحكم جزء من الإسلام ، والإسلام فى ذاته وفى أصل تعاليمه ومتطلباته يقتضى من المؤمنين به إقامة دولة على أساسه ، لأن إقامة الدولة الإسلامية واجب بحكم الكتاب وسنة النبى محمد ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم أجمعين – وبحكم الإجماع لتحقيق الأهداف التى شرعها الله سبحانه وتعالى وهى :

★ نشر[1] الإسلام وحماية العقيدة الإسلامية التى بها يتم تحرير الإنسانية

---

(١) الادعاءات التى ادعاها ويدعيها بعض المعاصرين من المشتغلين بالتاريخ والسياسة ، بتأثيرات أجنبية =

ومجاهدة من يعاديها ، ويقف عقبة فى سبيل نشرها وتعليمها والدعوة إليها ، لتصبح فى النهاية كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، ليس فى دولة الإسلام فحسب ، ولكن فى الأرض كلها ، ويستلزم ذلك إرسال السفراء والرسل وإعداد الجيوش وعقد الألوية ، وتحصين الثغور .

★ تنفيذ شريعة الله عز وجل وأحكامه وإقامة الحدود . وإقامة العدل ومنع الظلم وحماية الضعفاء والعاجزين ومعاقبة المجرمين والمعتدين على حقوق الله أو حقوق الناس ، وكفاية المحتاجين والعاجزين وجباية ما يوجبه أو يسمح به الشرع من الأموال وحفظها وإنفاقها لتحقيق هذه المقاصد وبلوغ الأهداف . وكذلك تحرير الإنسان من العبودية والخضوع لغير الله مطلقا .

★ تربية الأمة على مفهوم الإسلام الشامل .

تقليد النصحاء واستكناه الأمناء أعمال الدولة ، لتكون أعمال الدولة مضبوطة على أن توكل الأعمال لمستحقيها المستأهلين لها .

ولقد حدد الإسلام قواعد وأركان يقوم عليه بناء الدولة فى الإسلام وتعتبر هى الضمان القوى لبقائها وثباتها وتنفيذ أحكام الله بمعزل عن تلاعب الأهواء بها :

أولا : وحدة الأصل البشرى : فالبشر كلهم عبيد لله ، أصلهم واحد ، فلاتفاوت بينهم فى الكرامة الإنسانية ، وفيما لهم من حقوق ، وماعليهم من

= غير إسلامية ، من أن الحكم ليس من الإسلام خروج عن جماعة المسلمين بل عن الإسلام ، وهى لا تخلو من أحد احتمالين : إغراق فى الجهل والعناء أو ضلوع فى المؤامرة التى يقوم بها أعداء الإسلام ، لتحطيمه والحيلولة دون يقظة شعوبه وقيام حكم الله فى الأرض . وكل سير فى تأييد هذا الاتجاه والاعتماد على أصحابه هو موالاة أعداء الإسلام من المستعمرين والطامعين بالنفوذ فى بلاد الإسلام من مختلف الدول والعاملين ظاهرا فى هذا الركاب باسم العلم والبحث العلمى (انظر محمد المبارك ، نظام الإسلام الحكم والدولة ، دار الفكر ، ص ٣٧) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « لابد للناس من إمارة برة أو فاجرة . فقالوا له هذه البرة قد عرفناها ، فما بال الفاجرة ، أجابهم بقوله : يؤمَّن بها السبان ، وتقام بها الحدود ويجاهد بها العدو ، ويقسم بها الفيء .

واجبات ، وينبثق عن هذا المفهوم ، أن الحكام والمحكومين، والراعى والرعية متساوون فى نظر الشريعة الإسلامية ، من جهة الحقوق والواجبات ، فلا امتياز لبعضهم على بعض ، من حيث الأصل ؛ وإنما التفاوت بحسب المقدرة والعمل والجهد ، وما يستوجبه توزيع الأعمال واختلاف الاختصاصات . وينبنى على هذا ، إنه لا يعفى من المسئولية أحد ، فكل واحد مسئول عن عمله ، فليس لأحد حصانة أمام الحق الذى عليه ، تعفيه من المسئولية أو تحميه من نتائجها .

ثانيا : لا خضوع مطلق إلا لله : ليس لأحد من البشر، فردا كان أو جماعة، يستحق أن يخضع له الآخرون خضوعا مطلقا، غير مقيد ، لأن هذه الصفة ، يستحقها الله خالق الإنسان ، فاطر السموات والأرض وحده دون شريك ، فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، بين الفرد والسلطة، بين المواطنين والدولة، علاقة تنظيم ، فهى طاعة فى حدود الشريعة ، أحكامها ومبادئها . أى أنها ليست خضوعا وإذعانا ، بل هى طاعة مقيدة بحدود نظام معين محدد لاقدرة للحاكم على تغييره ، لأنه نظام إلهى صالح للبشر ، وهو الحكم بين الفريقين إذا حصل الاختلاف والتنازع ؛ ولكن الحاكم يخضع فى أعماله وممارسته سلطته للرقابة والممارسة والمناقشة، كما يكون للأمة الحق فى تقويم الحاكم أو عزله إذا عارض الشريعة وتنكر لها ، وفى أحوال ذكرها الفقهاء ومنها العجز عن القيام بأمر الحكم.

ثالثا : الله هو صاحب الحق فى التشريع : فالحاكم ليس مشرعا، وإنما هو منفذ لشريعة إلهية تحددت فى كتاب ثابت النص هو القران ، والسنة . إلا أن الإسلام يفسح المجال، أمام الاجتهاد فيما لا نص فيه، وفيما جاء به النص فيه عاما ، فى صورة مبادىء عامة ، وقواعد كلية . فهذا الاجتهاد الذى يمكن أن يعتبر نوعا من التشريع فى حدود مبادىء الشريعة لايستبد به الحاكم وإنما يكون من حق الاختصاصيين ، وإذا تعددت الآراء الاجتهادية فالفصل بينهم لابد فيه من الشورى .

رابعا : المسلمون مستخلفون : لتحقيق رسالة الإسلام فى الأرض ، والبشر، كلهم فى الأصل مستخلفون من الله فى هذه الأرض، ابتلاء وامتحانا ، فى مقابل تمييز الإنسان، بما ميزه الله عن مخلوقاته من حرية اختيار، وإرادة وعلم وقدره.

والمؤمنون بدين الله المبلغ بواسطة أنبيائه مستخلفون من الله لتنفيذ شريعة الإسلام المنزلة على النبى محمد ﷺ .

خامسا : صلة المسلمين : الذين يجب أن ينتموا إلى دولة الإسلام ، ويرتبطوا بها ، هى صلة أخوة فى العقيدة ، وصلتهم بالدولـة ورابطتهـم التى تشدهم إليها هى رابطة انتماء اختيارى ، إلى عقيدة إيمانية ، وإلى شريعة منزلة ، وليست رابطة نسب قبلى أو عنصرية قومية . كذلك كانت دولة الإسلام دولة عقيدة وشريعة ودولة نظام الإسلام . وهى مفتوحة لمن يختارون الانتماء إليها ، وليست دولة وطن وتراب ، ولا دولة جيش أو قوم ، وإنما هى دولة الاختيار الإنسانى للنظام الإلهى فى الحياة .

سادسا : الإنسان مخلوق محكوم بحكم الله الذى خلقه وسواه ونفخ فيه من روحه ، ومنحه صفات القدرة والعلم والحياة والإرادة : ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ﴾[1]، وهو بهذه الصفة، صفة التكريم الإلهى ، له حقوق ليس لأحد أن ينتهكها ، حتى هو نفسه لا حق له أن يهدرها ، أو يتنازل عنها ، ولاحق لأحد أن يهدر حريته فيسرقه أو يبيعه ، ولاحق له هو نفسه أن يبيع نفسه أو غيره من باب أولى ، ولاحق لأحد أن يغير خلقة الله أو يشوهها فيمثل به ، ولا حق له هو نفسه أن يتلف عضوا من أعضائه ، أما العقوبات على اختلاف درجاتها فهى جزاء له فى مقابل أعمال تتناسب معها لتحقيق مبدأ الحياة الإنسانية سليمة . وعن هذا المبدأ تنبثق حقوق الإنسان فى الإسلام من حماية النفس والعقول والكرامة ومنع القتل والسكر والتعذيب والتمثيل وحجز الحريات والشتم بالنسبة لجميع البشر .

كما أنه هناك مبادىء أساسية أوجب الإسلام ضرورة مراعاتها فى تأسيس الدولة الإسلامية :

١ — التشريع مصدره ، كتاب الله عز وجل وهو القرآن الكريم ، وسنة النبى محمد ﷺ .

---

٢ – الحاكم نائب عن الأمة فيما يقوم به ، ويقوم بخدمة الأمة ، وهو مقيد بذلك بأحكام الشريعة ليس له أن يتجاوزها .

٣ – ما فى الدولة من أموال وحقوق معنوية ليست ملكا للحاكم إنما هى حقوق للعباد وهو وكيل عليها .

٤ – وعقوبة المجرم ليست حقا شخصيا للحاكم يسامح به بل هو ملزم بتطبيق ماتقرره الشريعة من عقوبة . فذلك حق الله وحق الناس فى آن واحد .

٥ – الشورى (مع ملاحظة أنه لاشورى فى قضايا العدل ، أو الحق أو ما فيه نص) .

٦ – ما يأخذه الحاكم لقاء عمله من مال يخصص له ، هو حق له .

٧ – المسئولية : ليس للحاكم حصانة خاصة ، وعلى هذا يمكن أن يكون مدعيا ومدعى عليه ، وهو مسئول أمام الله ثم أمام الأمة .

٨ – حق الأمة فى المحاسبة والمراقبة والنقد .

٩ – للأمة بمجموعها ملكية مستقلة لاحق للحاكم أن يتصرف بها إلا وفقا لقواعد الشريعة .

١٠ – المساواة بين الناس أصل من أصول الإسلام ، فقواعد الملكية وأحكام المعاملات فى البيع والإجارة والرهن والشركة لاتختلف بين الرجل والمرأة ، وبين المسلم وغير المسلم ، وجميع الناس أمام حكم القضاء سواء .

١١ – العدل مبدأ أساسى وهو واجب حتى فى حق الأعداء ، وفى مقابل ذلك ندد القرآن بالظلم والظالمين وجعل الظلم سبب هلاك الأمم .

وللعدل فى دولة الإسلام صورتان : إحداهما تتمثل فى منع الظلم وإزالته عن المظلوم ، والأخرى تتعلق بالدولة وقيامها بحق أفراد الشعب فى كفالة حرياتهم وحياتهم المعيشية .

١٢ - الحقوق الإنسانية : حماية الأنفس والأعراض والعقول والأموال والأخلاق والدين ، فمن واجب الحاكم حمايتها ومنع الاعتداء عليها .

١٣ - التكافل الاجتماعى ؛ فكفالة الناس بعضهم لبعض فى المعيشة فرض ضمنى فى الإسلام .

١٤ - طاعة الناس للحكام ضرورية لتمكين الدولة من تحقيق أهدافها وذلك فى حدود الشريعة .

كما أن الدولة فى الإسلام لها خصائص وصفات منها :

إن الدولة فى الإسلام دولة عقـدية عقيدتها ونظامها الإسلام . ولذلك فإن الدولة مطالبة بالدعوة إليه فى داخل الدولة وخارجها وتنشئة الأجيال الجديدة عليه ، وحمايتها من التيارات الفكرية المعارضة للإسلام . ويترتب على ذلك أن تكون جميع أنظمة الدولة ومؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتعليمية والثقافية والعسكرية منبثقة عن هذا الأساس وهو الإسلام الذى تقوم عليه ، وكذلك سياستها الخارجية وعلاقاتها الدولية .

وقد كان من الواجب أن نثبت هنا فى نفس الموضوع ، حقوق الأمة ، وسلطاتها ، وعلاقتها بالحاكم ، ونظام العقوبات داخل الدولة المسلمة ، ومفهوم الأمة فى الدولة الإسلامية والحقوق الإنسانية العامة فى الدولة الإسلامية والحدود التى تحد حرية الإنسان داخل الدولة المسلمة وهى :

أن أركان العقيدة الإسلامية من النظام العام الذى لا يجوز الاعتداء عليه فى الدولة الإسلامية لأنها دولة عقـدية ملتزمة . كما أنه لامجال فى الدولة الإسلامية لحرية الإلحاد أو الطعن فى النبوات باسم حرية الفكر . كما أن القيم الأخلاقية الثابتة فى الإسلام هى القيد الثانى لحرية الإنسان وذلك غير المصلحة العامة ودفع الضرر عن الغير ولكن المكان والوقت لايسمح لنا بذلك .

وعناصر تكوين الدولة فى الإسلام :

أولا : هى أرض الدولة الإسلامية أو « دار الإسلام » وهى تحصل بأحد سببين ، إما أن يسلم أهلها ، وهم عليها فتصبح دار الإسلام ، وإما أن يفتحها المسلمون فيقوم فيها حكم الدولة الإسلامية .

أما ما سوى دار الإسلام فهى دار الكفر وقد يكون أصحابها فى حالة هدنة وسلم مع المسلمين أو فى حالة حرب وتسمى حينئذ دار حرب .

ثانيا : الأمة التى تدير السلطة أمورها وتسوسها وترعى شئونها .

ثالثا : الحكومة أو الولاية أو السلطة وهى صفة من يتولى سياسة الدولة الإسلامية وتنظيم شئونها والفصل فى مشكلاتها وقضاياها .. إلى غير ذلك .

ويقوم بأمر السلطة ورئاسة الدولة الإمام أو الخليفة أو أمير المؤمنين (كما أطلق عليه فى النصوص الإسلامية) يعاونه فى ذلك جهاز من الولاة والأمراء والقضاة والعمال المنتظمين فى مؤسسات كالقضاء وديوان المظالم والوزارة وغيرها .

ومهمة السلطة أو الخليفة تحقيق أهداف الدولة الإسلامية .

وقد حدد الإسلام الأصول والقواعد التى على أساسها يختار رئيس الدولة أو رئيس الحكومة (الخليفة) .

يتحكم فى اختيار رئيس الدولة قاعدتان رئيسيتان :

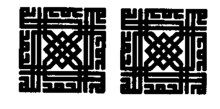
الأولى : تحدد شروطا موضوعية أو صفات يجب تحقيقها فيمن يختار رئيسا للدولة أو أميرا للأمة ومنها :

(أ) الإسلام (ب) الذكورة (ج) العلم
(د) الخبرة السياسية والإدارية (هـ) الأخلاق الفاضلة
(و) الشجاعة والأمانه (ز) سلامة الحواس والأعضاء

(ح) الرشد والعدالة (ط) القرشية وقد اختلف فيها الفقهاء[1] .

فالإسلام شرط لأنه لا يمكن أن يتولى إنسان أمرا لايعتقد بصلاحية نظامه ، إذ كيف يتولى أمر المسلمين رجل من غيرهم لا يؤمن بصلاحيته النظام الإسلامى ، وهو مفروض عليه أن يطبقه ، ويعاقب من يخالفه، وكذا الأمر ضرورى بالنسبة للذكورة ، إذ أن المرأة كثيرة العاطفة ضعيفة البنية غالبا ، لا تستطيع القيام ببعض المهمات المترتبة على صاحب هذا المنصب ، كإمامة الصلاة ، وقيادة الجيوش ، وإقامة الحدود .

والخلافة واجبة شرعا وعقلا فالمسلمون لابد لهم من حاكم يرعى أمورهم ويتولى إدارة شئون دولتهم ، والخلافة هى الدولة الإسلامية ، فكما لا يُتصور مجتمع بدون دولة كذلك لا يُتصور مجتمع إسلامى بدون خلافة » .



(١) السياسة الشرعية لابن تيمية ، الأحكام السلطانية للقاضى الماوردى ص ٤ ، ٥ ، الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى .

ثالثا : دحض الزعم القائل
أن انتخاب أبى بكر يتفق مع التقاليد
العربية القديمة(١)

بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، البيعة الخاصة يوم السقيفة ، بيعته ، البيعة العامـة فى مسـجد رسول الله ﷺ فى اليوم التالـى ، وفى كلمة الصديق رضى الله عنه من على منبر رسول الله ﷺ تبرز الملامح الرئيسية التى تحدد المعالم التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام ، والتى تضبط علاقة الحاكم بالمحكوم ، والتى تؤكد لنا ، أن بيعة أبى بكر بالخلافة ، لم تجر وفقا للعادات العربية الجاهلية القديمة ، ولكن جرت طبقا للنظام الذى فرضه الإسلام فى إختيار الحاكم المسلم .

فاختيار الحاكم فى الإسلام تتحكم فيه قاعدتان :

القاعدة الأولى : صفات شخصية لابد وأن يتصف بها المرشح لولاية أمر المسلمين ، مثل الإسلام ، والرشد ، والعدالة ، والذكورة ، والعلم والخبرة السياسية والإدارية ، والإخلاق الفاضلة والشجاعة ، والأمانة ، وسلامة الحواس والأعضاء ، والقرشية .

ولقد تبين لنا من خلال ما أوردته المصادر الموثقة أن أبا بكر الصديق كان أفضل الأمة على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ بتفضيل الله ورسوله له ، وقد شهد له بذلك جميع الصحابة بلا إستثناء .

القاعدة الثانية : هو بيعة أهل الحل والعقد وهـم الصفوة وبيعة جمهور المسلمين أو البيعة العامة . وقد بويع لأبى بكر فى السقيفة من أهل الحل والعقد بإجماع قام بعد عدة ساعات على الأكثر دون اشتباك واحد بالأيدى ، ودون إراقة

---

(١) الحياة السياسية فى الدولة العربية ، ص ١٧

نقطة دم واحدة ، وهذا ما لم تعهده البشرية بعد انتهاء عصر ذلك الجيل الأول الذى لم يتكرر أبدا حتى الآن ، فأين النزاع ، وأين الإنقسام ، وأين .... ؟؟ (١)

أما المعالم التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام ، والتى تضبط علاقة الحاكم بالمحكوم فتتمثل فى :

(أ) كون الحاكم نائب عن الأمة ، ويقوم بخدمة الأمة ، وهو مقيد بذلك بأحكام الشريعة ليس له أن يتجاوزها .

(ب) أن التشريع مصدره كتاب الله عز وجل وهو القرآن الكريم ، وسنة النبى محمد ﷺ ، ولهذا فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » .

(جـ) الشورى ، ولهذا فإن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ألقى خطبته هذه فى المسجد الجامع ، بمحضر من جمهور المسلمين .

(د) المسئولية : ليس للحاكم حصانة خاصة ، وعلى هذا يمكن أن يكون مدعيا ومدعى عليه وهو مسئول أمام الله ، ثم أمام الأمة .

(هـ) حق الأمة فى المراقبة والنقد .

ومن هذا المنطلق قال أبو بكر فى خطبته : « فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى الصدق أمانة ، والكذب خيانة » وهو فى هذا يشترط على نفسه أن يكون صادقا مع ربه ومع أمته ومع نفسه ، ويشترط على الأمة أن تكون صادقة مع ربها ومع نفسها ومع خليفة المسلمين ، فلا تغشه ولا يغشها ولا تنافقه ولا ترائيه ، بل تعينه إذا أحسن وتقومه إذا أساء .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨ .

رابعا : دحض الزعم القائل
أن الديمقراطية نظام إسلامى

ديمقراطية كلمة يونانية[1] الأصل تتكون من مقطعين « ديموس » « وكراتُوس » بمعنى حكم الشعب للشعب أى أن الشعب يحكم نفسه بنفسه .

المبدأ الديمقراطى يقوم على ما يسمى بالحريات الأربع : حرية الرأى ، حرية الإعتقاد ، وحرية التملك والحرية الشخصية ويقوم أيضا على أساس الشورى .

والمبدأ الديمقراطى كغيره من المبادىء مثل المبدأ الديكتاتورى أو « الإستبدادى » نبت على أرض أثينا (اليونان) منذ عصور ما قبل الميلاد ، واندثرت معالمه فى فترات طويلة ثم بعث من جديد فى عالمنا المعاصر مثل غيره من المبادىء كالإشتراكية والشيوعية والفاشية .

ويعتقد الكثيرون أن المبدأ الديمقراطى مبدأ إسلاميا ، وأنه لاتعارض بينه وبين الإسلام ، وكتبوا كتبا زعموا فيها ذلك ويستندون فى ذلك على أن الديمقراطية تقوم على الشورى والإسلام قد دعى إلى الشورى

وزعم البعض الآخر أن أفضل نظام للحكم هو النظام الديمقراطى[2] وسنحاول هنا - وما توفيقنا إلا بالله - أن نلقى الضوء على هذا المبدأ ليدرك أبناء المسلمين وغيرهم أن الديمقراطية بمعناها اللغوى أو مفهومها الإصطلاحى لا يمكن أن تكون مبدأ إسلاميا ، يقره الإسلام أو يدعو إليه ، وذلك من خلال المعنى الإصطلاحى لكلمة ديمقراطية ، ومن خلال استعراضنا للركائز التى تقوم عليها المبدأ الديمقراطى ، ومن خلال استعراض تاريخ الأمة التى نبت على أرضها المبدأ الديمقراطى ، وذلك كله فى ضوء التصور الإسلامى .

---

(١) الديمقراطية فى الإسلام ، تأليف إبراهيم حدّاد ؛ تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ؛ جـ ٣ ، تأليف د. أبوزيد شلبى .

(٢) علم السياسة ، تأليف د. إبراهيم درويش ، ود. بكر العمرى .

إن المبدأ الديمقراطى كما قلنا يعنى حكم الشعب للشعب ، بمعنى أن الشعب هو الذى يضع النظام والقانون الذى تسير عليه الأمة ، وذلك بمعنى أن الشعب هو صاحب الحق فى التشريع والتحليل والتحريم ، أى أن الشعب يترع الحاكمية من يد الله عز وجل ، ويجعلها فى يده وهذا ما يرفضه الإسلام ، لأن الذى خلق - وهو الله - هو الذى يأمر ، ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ ، وهو وحده سبحانه وتعالى الذى له حق التحليل والتحريم : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا يعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1] .

ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا الأمر ، نضرب الأمثلة . الأنظمة الديمقراطية تبيح الخمر ولكن الإسلام يحرمها : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾[2] .

وذلك يعنى أن الديمقراطية تحل الخمر التى حرّمها الله .

مثال آخر : النظام الديمقراطى يبيح التعامل بالربا ، ونرى ذلك واضحا فى نظام البنوك والقروض بينما الإسلام يحرم التعامل بالربا : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾[3] .

وذلك يعنى أيضا أن الديمقراطية تحلّ الربا الذى حرّمه الله عزوجل .

ومن هنا يمكن أن نجزم بأن المبدأ الديمقراطى ليس مبدأ إسلاميا .

وإذا ما انتقلنا إلى التعرف على الركائز الأربع التى يقوم عليها المبدأ الديمقراطى وهى ماتسمى بحرية التملك وحرية الاعتقاد وحرية الرأى والحرية الشخصية سوف نرى عجبا .

---

(١) يوسف : ٤٠ .

(٢) المائدة : ٩٠ .

(٣) البقرة : ٢٧٧ - ٢٧٨ .

ففى ظل النظام الديقراطى للفرد حرية التملك أى حق التملك بأية وسيلة ، فله أن يجمع ثروته عن طريق التعامل بالربا ، وله أن يجمع ثروة عن طريق الاتجار بالخمر لأنها سلعة اقتصادية ولا عائد على خزانة الدولة ، وهذا ما يرفضه النظام الإسلامى ، الذى لا يسمح للفرد أن يتاجر فى أشياء محرمة ولايسمح للفرد أن يثرى عن طريق التعامل بالربا .

وفى ظل المبدأ الديمقراطى للفرد أن يعتقد مايشاء حينما يشاء ، فيمكن أن يكون اليوم مسلما، ويمكن له أن يرتد عن إسلامه، فيصبح ملحداً أو بهائيا أو قاديانيا أو يهوديا أو نصرانيا دون آن يقام عليه حد الردة ، وهذا ما يرفضه الإسلام . فالمسلم الذى يرتد عن دينه يستتاب فإذا لم يتب أقيم عليه حد الردة وهو القتل من قبل ولى الأمر .

وفى ظل النظام الديمقراطى يمكن للإنسان الملحد أو الكافر أن يدعو إلى عقيدته الفاسدة دون قيد أو شرط ، وهذا مايرفضه الإسلام لأن الدولة الإسلامية دولة عقدية ، عقيدتها الإسلام ، عنها تنافح وإليها تدعو ، ولاتسمح لأصحاب العقائد الفاسدة أن يدعوا إلى عقائدهم .

وفى ظل النظام الديمقراطى لكل صاحب رأى أو مبدأ مخالف للإسلام أن يدعو إلى المبدأ الذى يعتنقه . فمثلا لصاحب المبدأ الاشتراكى أو الشيوعى الذى يزعم بأنه لا إله و الحياة مادة ، أن يدعو إلى هذا المبدأ الإلحادى بل وله أن يؤسس حزباً أو جماعة تقوم على المبدأ الذى يدعو إليه ، والقانون لايؤاخذه لذلك ، ولا يقف فى وجهه، لأنه فى ظل النظام الديمقراطى، للإنسان الحرية فى أن يدعو إلى المبدأ الذى يعتنقه سواءً كان يقره الإسلام أو لا يقره .

وفى ظل المبدأ الديمقراطى للأستاذ أن يعلم الطلاب فلسفة أرسطو الملحد وغيره من فلاسفة اليونان على أنه فكر إنسانى راق دون أن يجد من يردعه ، وله أيضا أن يهدف بما يريد وأن يُجرِّح غيره تحت ستار حرية الرأى .

ولايعنى ذلك أن الإسلام يصادر حرية الرأى ، على العكس فالإسلام يحترم حرية الرأى ، ولكنها الحرية المقيدة بالحلال والحرام ، كما قال ﷺ مامعناه : « أفضلّ الكلمات كلمة حق عند سلطان جائر » وسيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر ينهاه فقتله فدخل الجنة .

وأما فيما يتعلق بالحرية الشخصية ففى ظل النظام الديمقراطى ، للفرد أن يفعل مايريد ويرتكب مايهوى دون قيد من حلال أو حرام ، فله أن يشرب الخمر ، وله أن يزنى ، وللمرأة وللرجل أن يكون شاذا فيفعل فعلة قوم لوط دون أن يؤاخذه القانون وهناك فى الدول الديمقراطية نواد للعراة ، ونواد لكل الأفعال الشاذة ، تعيش فى ظل وحماية القانون . وهذا ما يرفضه ويحرمه الإسلام . فكيف يمكن بعد ذلك أن يزعم زاعم إن الديمقراطية مبدأ إسلامى أو أن الإسلام يدعو إلى الديمقراطية .

وثمة شيء آخر ، أن الديمقراطية لو كانت نظاما صالحا ، لأصلحت حال أهلها ، فالمجتمع اليونانى الذى على أرضه نبت المبدأ الديمقراطى ، كان مجتمعا مفككا ، أجهزت عليه الحروب الأهلية ، العبد الذى لايملك من أمر نفسه شيئا ، أى أن التفرقة العنصرية جزء لا يتجزأ من بنيانه ، كما هو واقع المجتمع الأمريكى اليوم مثلاً « فالتفرقة بين البيض والسود » أمر لاينكره أحد وهذا ما يرفضه الإسلام الذى يجعل التفاضل بين الناس على أساس التقوى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[1] ، لا فضل لعربى على عجمى ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى . وكما هو واقع الإنسان الإفريقى فى ظل حكومة الأقلية فى جنوب أفريقية . وعلى أرض اليونان ، قامت حكومات كان همها بالدرجة الأولى أن تحقق المكاسب لنفسها على حساب غيرها فمثلا أثينا فى عهد بركليز كانت حريصة على أن تستخدم أموال الغير فى تجميل العاصمة أثينا ، وتحول النظام الديمقراطى لنظام استبدادى « ديكتاتورى » .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

فلقد ألغى بركليز اجتماع مجلس حلف ديلوس ونقل خزانة الحلف إلى أثينا دون موافقة الدويلات الأخرى ، وأعلن أنه من أراد يخاصم أثينا فليلجأ إلى محاكم أثينا . بل أن الكثيرين من حكام أثينا كانوا يرفعون شعارات يتبنون فيها مصالح الأمة ، وإذا ما وصلوا إلى موقع السلطة ، سرعان ما يتنكرون لوعودهم ويتحولون إلى مستبدين . ومن حكام أثينا من كان يحقق أهدافه عن طريق إصدار القوانين الظالمة أى أنه كان استبدادا [1] مقننا .

فكيف يمكن بعد ذلك أن يقول قائل : إن الديمقراطية مبدأ إسلامى ، إن الإسلام يرفض المبدأ الديمقراطى لأنه يعادى الإسلام بل أنه يسعى إلى إزاحته من واقع البشرية ، ليحل محله وللحديث بقية أن شاء الله .

---

(١) تاريخ الحضارة الهيللينية تأليف أرنولدتوينبى وترجمة رمزى عبده جرجس ؛ قصة الحضارة ، تاريخ اليونان ، تأليف ول . ديورانت ، ترجمة محمد بدران .

الخاتمـــة :

أولا : إن الذين يتصورون أن الهجمة الاستشراقية الشرسة التى قامت بتشويه وتزييف التاريخ الإسلامى بغرض رد المسلمين كفارا ، حسدا من عند أنفسهم ، قد هدأت أو انتهت يقعون فى خطأ فادح يمكن أن يكلفهم حياتهم ووجودهم ذاته .

فالهجمة الاستشراقية التى كان يقوم بها اليهود والنصارى منذ زمن بعيد أصبح يقوم بها الان جمهور كبير من أبناء العرب والمسلمين ، الذين تربوا على أيدى المستشرقين واعتنقوا مبادئهم وأفكارهم ، فراحوا يروجون لها عن طريق الكتاب ، والمحاضرة والمقالة .

والأمر هكذا يبدو فى منتهى الخطورة على الأمة المسلمة ودينها وعقيدتها ، لأن الذين يقومون بالدور الذى كان يقوم به هؤلاء المستشرقون ، هم من أبناء جلدتنا يتكلمون بألستنا ، ويتسمون بأسمائنا ، وقد تربعوا على مراكز التوجيه العلمى والثقافى فى المدارس والجامعات والمؤسسات ، وتحكموا فى مراكز التوجيه الإعلامى فى كثير من بلاد المسلمين : فى الإذاعة والتلفاز ، والصحيفة والجريدة ، إلى غير ذلك .

إن الدور الذى يقوم به الكثير من أبناء العرب والمسلمين ، فى كثير من بقاع العالم الإسلامى ، فى تشويه تاريخنا الإسلامى ، ومحاولة لرد المسلمين عن دينهم ، يفوق فى فى خطورته الدور الذى قام ويقوم به المستشرقون اليهود والنصارى ، ومن هنا كان من الواجب علينا أن ينتبه إلى هذا الأمر عسى أن يتنبه المسلمون إلى خطورة ما يتعرضون له . فيتصدون لهذا المخطط الاستشراقى الذى يقوم على تنفيذه الكثير من أبناء المسلمين ، والذى يهدف إلى رد المسلمين كفارا ، حسدا من عند أنفسهم .

وقد قدمنا نموذجا فى رسالتنا هذه لكيفية معالجة المستشرقين ، ومن سار على نهجهم لتاريخ صحابة رسول الله والدولة الإسلامية فى أعقاب وفاة رسول الله ﷺ . وشاهدنا كيف أنهم وقعوا فى دائرة الاعتداء على الصحابة رضوان الله عليهم ، وشاهدنا كيف زيفوا وشوهوا هذه الفترة الناصعة فى تاريخ الأمة المسلمة وكيف كان حرصهم على التجاهل والتجهيل بالصور المشرقة فى تاريخ هذا الصدر الأول .

ثانيا : قدمنا نموذجا تطبيقيا لأسلوب البحث العلمى بالمنهج الإسلامى للدراسات التاريخية ، الذى يجب أن يتحراه المسلم فى معالجة قضايا التاريخ الإسلامى وتاريخ صحابة رسول الله ﷺ على وجه الخصوص ، فيما يتصل بالهدف والغاية التى يسعى إلى تحقيقها من عرض هذه القضايا ، والوسائل التي يجب أن يأخذ بها لتحقيق هذه الغاية ، ومنها :

(أ) الجوانب التى يجب أن تعالج فى تاريخ هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم .

(ب) صحة النص التاريخى أو الوثيقة التاريخية التى يعتمد عليها فى كتابة تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم ، وهذا يحتاج أساسا لعلوم الجرح والتعديل ، والفقه وأصول الفقه . إلى غير ذلك من العلوم الشرعية التى تعين على تحقيق هذا الجانب .

(جـ) الأسلوب الواجب اتباعه لمعالجة المادة العلمية بما فى ذلك تحليل الأحداث واستخلاص النتائج تحقيقا للهدف المرسوم .

(د) الشخص المناط به إعداد الدراسات التاريخية الإسلامية فيما يتصل بعصر الصدر الأول ، من صحابة رسول الله ﷺ . وتربية النشىء عليها ، مع تقديم النصح من خلالها .

(هـ) المعيار الذى يجب أن يستخدم فى تقويم تاريخ الأمة المسلمة ، وخاصة تاريخ الصدر الأول من صحابة رسول الله ، وهذا المنهج مستخلص من القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ .

ثالثا : بينا خطورة الاعتماد على مصادر ومراجع غير معتمدة فيما يتصل بالتاريخ الإسلامى ، وما يترتب على ذلك من استقاء معلومات غير صحيحة . وذلك يعنى أن الراغب فى الحصول على المعلومات التاريخية فيما يتصل بتاريخ الأمة المسلمة عليه أن يسلك سلوك المسلمين الأوائل ، وهو عدم التسليم بصحة الخبر التاريخى قبل تتبع مساره البشرى والناس الذين تناقلوه : دينهم ، أمانتهم ، سلوكياتهم ، عدم تحيزهم .

رابعا : التعرف على ملامح الأمة المسلمة فى خير قرونها – القرن الأول الهجرى – إمام مسلم ، وأمة مسلمة ، تنضبط حياتهم مع نظام الله وشرعه . ومن خلال العرض تبين لنا :

كيف ربى الله سبحانه وتعالى ذلك الجيل الأول بالإسلام ، فنقله نقلة ضخمة من السفح الهابط ، من ظلمات الجاهلية إلى القمة السامقة ، إلى نور الإسلام .

وبهذا يمكن أن ندرك الدور العظيم الذى أداه ويمكن أن يؤديه الإسلام فى حياة البشرية .

خامسا : التعرف على نماذج لإسلام يتحرك على الأرض تتمثل فيها الأسوة والقدوة . هذه النماذج هى صحابة رسول الله ﷺ التى عجزت النساء أن تلد مثلها ، وعجزت دور العلم بكل إمكانياتها أن تعطينا شبيها لها .

هذه النماذج نرى فيها حرصا على الانضباط مع أوامر هذا الإسلام العظيم وتؤكد لنا حقيقة التحو ل الذى يمكنه أن يحدث فى سلوك وخلق واهتمامات الرجال إذا تربوا على هذا الإسلام .

فضائل المهاجرين والأنصار من أصحاب النبى ﷺ ، وبيان أنهم كانوا أتقى لله من أن يختلفوا على الدنيا أو يتنازعوا عليها . إجماع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبى بكر الصديق رضى الله عنه على غيره من صحابة رسول الله ﷺ ، وذلك نتيجة صفات تمثلت فيه وأهلته لذلك ، ونتيجة تقديم رسول الله له .

سادسا : إن النبى ﷺ قد دل المسلمين على استخلاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله ، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك ، حامد له ، أى أن رسول الله ﷺ لم يترك أمته حائرة كما زعم كتاب التاريخ من المحدثين - لاتدرى أى شخص تختار لخلافة رسول الله ﷺ .

سابعا : انعقاد الخلافة فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه ببيعة أهل الحل والعقد فى سقيفة بنى ساعدة ، وببيعة جمهور المسلمين (البيعة العامة) فى مسجد رسول الله ﷺ ، دون صراع أو أزمات خطيرة . ولم يتخلف أحد من الصحابة عن بيعة أبى بكر بالخلافة .

ثامنا : الديمقراطية مبدأ غير إسلامى ، بل هى تناهض الإسلام وتتصارع معه فى عالم الواقع ، وديمقراطية كلمة يونانية تتكون من مقطعين : ديموس وكراتوس - أى : حكم الشعب . أى أن الشعب هو صاحب الحق فى وضع النظام والقانون الذى تسير عليه الأمة ، أى أن الحاكمية للشعب ، وهذا يناهض النظام الإسلامى الذى يجعل الحاكمية حقا لله عز وجل : ﴿ إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[1] .

تاسعا : الأحاديث النبوية التى تجعل الخلافة فى قريش واردة فى كتب الصحاح ، وليست ضعيفة أو موضوعة كما زعم أحد كتاب التاريخ من أبناء المسلمين .

عاشرا : نظام الحكم فى الإسلام يقوم على الشورى ، فالخليفة كان يستشير أهل الحل والعقد فى الصغيرة والكبيرة كما كان يستشير جمهور المسلمين فى الصغيرة والكبيرة ، ولهذا فإن أبا بكر أعلن يوم البيعة العامة التزامه بهذه الشورى حينما طلب من المسلمين : « أطيعونى ما أطعت الله فيكم » وبالتالى لايمكن أن يزعم زاعم أن أبابكر الصديق رضى الله عنه كان يحكم حكما مطلقا .

---

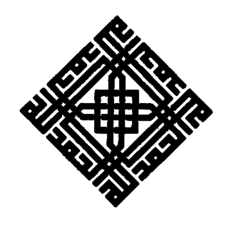
(١) يوسف : ٤٠ .

والحكومة الصحابية قد لاتسمى بمنظور العصريين حكومة دستورية ، ولكن بيقين هى حكومة شرعية لأنها تخضع حياتها لنظام الله وشرعه ، ولم تكن تخضع لدساتير من وضع البشر .

حادى عشر : إن الإسلام نظام حياة شامل : ثقافى وتعليمى واقتصادى واجتماعى وعسكرى وسياسى أى أن الحكم من الإسلام ، وقيام دولة الإسلام واجب بحكم الكتاب والسنة كما سنفرد لذلك رسالة شاملة مؤيدة بالدليل والبرهان من خلال كتب الأصول ، وتاريخ الدولة الإسلامية على مدار التاريخ ، إن شاء الله .

ثانى عشر : إن دين الله قد اكتمل قبل وفاة رسول الله ﷺ : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[1] ، بما فى ذلك الأسس والقواعد والمفاهيم العقـدية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام أى أن رسول الله ﷺ قد ترك أمته على المحجة البيضاء ، لايزيغ عنها إلا هالك .

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك وصلى اللهم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

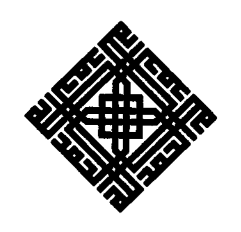


---

(١) المائدة : ٣ .

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة



رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٦/١٦٢١
الترقيم الدولى
٩٧٧ - ١٤٢٠ - ٥١ - ٨

المصادر والمراجع

المصادر :

ــ القرآن الكريم .

السنة النبوية وشروحها :

ــ المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ــ٢٤١ هـ) ، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر ١٣٧٣ هـ .

ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة ، وعن مسند الدارمي ، وموطأ مالك ، ومسند أحمد بن حنبل ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره د . أ . ي . وتسينك ، مكتبة بريل ، ليدن ١٩٣٦ م .

ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩٩ هـ .

ــ صحيح أبي عبد الله البخاري ، تأليف أبي عبد الله البخاري ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، القاهرة .

ــ صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٤٠٢ هـ .

ــ صحيح مسلم ، تأليف الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ــ٢٦١ هـ) ، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٢ م .

ــ صحيح مسلم بشرح النووي ، تأليف محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي (٦٣١ــ٦٧٦ هـ) ، ط ١ ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

ــ مختصر صحيح مسلم ، تأليف الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن سلامة المنذري الدمشقي ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩٧ هـ .

ــ فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ــ٨٥٢ هـ) ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ، وقام بإخراجه محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .

ــ فضائل الصحابة ، تأليف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ــ٢٤١ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وصي الله بن محمد عباس ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ .

المصادر التي أعدها علماء السلف والتابعون :

ــ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، ط ١ ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

ــ الأحكام السلطانية ، تصنيف القاضي أبي يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفرّاء البغدادي الحنبلي (ت ٤٥٨ هـ) ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .

ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد البر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .

ــ الإصابة في تمييز الصحابة ، لشيخ الإسلام ، إمام الحفاظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (٧٧٣ــ٨٥٢ هـ) .

ومعه :

ــ الإستيعاب في أسماء الأصحاب ، للفقيه الحافظ المحدث القرطبي المالكي (٣٦٣ــ٤٦٣ هـ) ، ج ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

ــ البداية والنهاية ، تأليف الإمام الجليل أبي عبد الله الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٤٧ هـ) ، بيروت .

ــ السيرة النبوية ، تأليف الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦ هـ .

ــ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، لتقي الدين بن تيمية ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، مصر ١٩٦٩ م ، وجوب اتخاذ الإمارة ، ص ١٦١ ــ ١٦٨ .

ــ الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تأليف شيخ مشايخ الفقه والحديث ، حافظ عصره وزمانه أبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري ، ط ٢ ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

ــ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، بيروت ، المجلد الثالث ، يذكر أخبار الصديق ابتداء من ص ١٦٩ ويورد أخبار البيعة (ص ١٧٨ــ٢١٤) .

ــ الفصل في الملل والنحل ، تأليف الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ) ، تحقيق د . محمد إبراهيم نصر ، د .. عبد الرحمن عميرة ، مكتبات عكاظ ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ج ٤ .

ــ الكفاية في علم الرواية ، تصنيف الإمام الحافظ المحدث أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى في سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، طبع تحت إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٥٧ هـ .

ــ كتاب تذكرة الحفاظ ، تأليف الإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، مطبعة مجلة دائرة المعارف العثمانية ، ط ٣ ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

ــ تاريخ الخلفاء ، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧١ هـ .

ــ تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي ، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ج ٢ .

ــ شرح العقيدة الطحاوية ، للإمام الفقيه المحدث ابن أبي العز الحنفي ، شرح وحقق أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وجماعة من العلماء ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩٢ هـ .

ــ منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية تصنيف شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي(ت سنة ٧٢٨هـ)، مطبعة بولاق الأميرية ، القاهرة ١٣٢١ هـ .

مصادر تحوي روايات تاريخية غير محققة المتن أو السند ، ومن يريد الاعتماد عليها ، يلزمه تحقيق المتن والسند :

ــ تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ــ٣١٠ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر .

مصدر ينسب خطأً إلى الإمام الحجة الثبت أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ــ٢٧٦ هـ) ، وهو ليس من وضعه ، وأخباره غير موثقة من الناحية الشرعية .

ــ الإمامة والسياسة ، تحقيق د . طه محمد الزيني ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة .

مصادر تحوي أخباراً تاريخية غير مسنودة إلى أصحابها ، فهي غير موثقة من الناحية الشرعية ، بالإضافة إلى أن أصحابها متعصبون ويلتزمون غير سبيل أهل السنة المحمدية :

ــ التنبيه والإشراف ، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤١ هـ) ، عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله بن إسماعيل ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

ــ تاريخ اليعقوبي ، وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي ، المجلد الثاني ، بيروت ١٣٧٩ هـ .

ـــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، (ت ٣٤٦ هـ) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣ هـ .

مراجع معتمدة تحوي أخباراً موثقة في غالبها :

ـــ الخلافة والملك ، تأليف أبي الأعلى المودودي ، تعريب أحمد إدريس ، ط ١ ، دار القلم ، الكويت ١٣٨٩ هـ .

ـــ نظام الحكم في الإسلام (الحكم والدولة) تأليف محمد المبارك ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٤ هـ

مراجع تحوي أخباراً تسيء إلى التاريخ الإسلامي :

ـــ الحضارات السامية القديمة ، تأليف س . موسكاتي (ترجمة د . السيد يعقوب بكر) ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، بيروت .

ـــ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، تأليف فان فلوتن ، (ترجمة د . حسن إبراهيم حسن ، د . محمد زكي إبراهيم) ، القاهرة ١٩٧٥ م .

ـــ الإدارة العربية ، تأليف مولوي س . أ . ق . حسيني ، ترجمة د . إبراهيم العدوي ، مراجعة عبد العزيز عبد الحق ، القاهرة .

ـــ الديمقراطية عند العرب ، تأليف إبراهيم حداد ، بيروت .

ـــ علم السياسة في علاقته بالاقتصاد والإدارة ، تأليف إبراهيم درويش وآخرون .

ـــ النظم الإسلامية ، تأليف د . حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٦٢ م .

ـــ الإسلام والخلافة ، تأليف د . علي حسن الخربوطلي ، بيروت ١٩٦٩ م .

ـــ العرب والحضارة ، تأليف د . علي حسن الخربوطلي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

ـــ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، تأليف د . محمد جمال الدين سرور ، القاهرة ١٣٩٣ هـ .

ـــ التاريخ السياسي في الدول العربية ، ج ١ ، ط ٢ ، تأليف د . عبد المنعم ماجد ، القاهرة ١٩٦٠ م .

ـــ التاريخ الإسلامي العام ، تأليف د . علي إبراهيم حسن ، مكتبة النهضة ، القاهرة .

ـــ تاريخ الشعوب الإسلامية ، تأليف كارل بروكلمان (تعريب نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي) ، بيروت ١٩٧٤ م .

ـــ تاريخ التمدن الإسلامي ، تأليف جورجي زيدان ، مراجعة وتعليق د . حسين مؤنس ، القاهرة .

ـــ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ٨ ، تأليف حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٧٤ م .

ـــ تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، تأليف د . عبد المنعم ماجد ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٣ م .

ـــ تاريخ الدولة العربية ، خلافة الراشدين والأمويين ، تأليف ثابت إسماعيل الراوي ، بغداد ١٩٧٠ م .

ـــ حضارة العرب ، تأليف جوستاف لوبون ، (تعريب عادل زعيتر) ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة .

ـــ دائرة المعارف الإسلامية ، تأليف مجموعة من المستشرقين ، تعريب..............................

ـــ دراسات في حضارة الإسلام ، تأليف هاملتون جب ، تحرير ستانفورد شو ، وليم بولك ، ترجمة إحسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمد زايد ، بيروت ١٩٦٤ م .

ـــ دراسات في تاريخ العرب : تاريخ الدولة العربية ، ج ٢ ، تأليف السيد عبد العزيز سالم ، الاسكندرية .

ـــ دراسات في النظم العربية والإسلامية ، تأليف توفيق سلطان اليوزبكي ، الموصل ١٣٩٧ هـ .

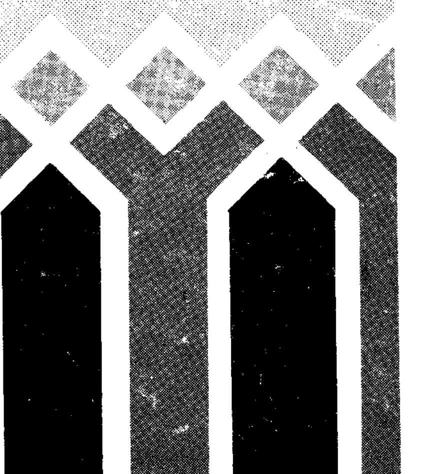
ـــ دولة الرسول في المدينة ، تأليف أحمد إبراهيم الشريف ، الكويت ١٣٩٢ هـ .

ـــ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، تأليف محمد القروي ، القاهرة ١٣٧٦ هـ .

ـــ غروب الخلافة الإسلامية ، تأليف د . علي حسن الخربوطلي ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة .

ـــ قصة الحضارة ، تأليف ول . ديورانت ، تعريب محمد بدران ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .





اقرأ فى سلسلة أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ :

- منهج كتابة التاريخ الإسلامى . لماذا ؟ وكيف ؟ .
- الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء .
- جزيرة العرب – الجزء الأول .

(سيرة هود وصالح وشعيب ولوط وسليمان وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل) .

- جزيرة العرب – الجزء الثانى .

(سيرة إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام وتاريخ حرم الله الآمن) .

- استخلاف أبو بكر الصديق رضى الله عنه .
- إفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً .
- الطريق إلى بيت المقدس (القضية الفلسطينية) جزءان .

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المنصورة – أمام كلية الطب
ت : ٣٤٧٤٢٣ – ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN